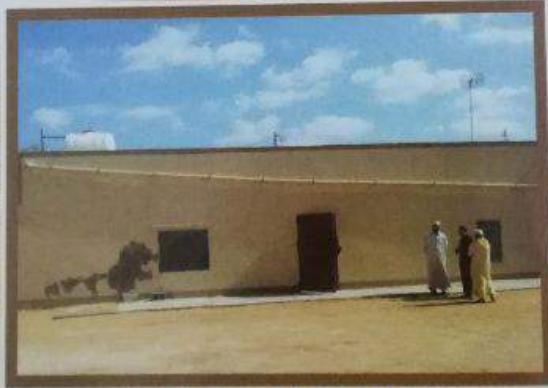


مَبْنَى أَنْ أَلْفُوا لِحِدِ
عَلَى النَّظْمِ الْمُسَمَّى بِلُبِّ الْعَقَائِدِ
كِلَاهُمَا لِمُؤَلِّفَهُمَا

صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد مفتاح قريو

- رحمه الله -

1914 - 2000 م



تقديم

الأستاذ الدكتور فاتح محمد زقلام

أستاذ علم الأصول والعقيدة بالجامعات الليبية

تحقيق وشرح وتعليق

جمعة محمود الزريقي

طرابلس الغرب - ليبيا ، 1439 هـ - 2018 م

تم طبع الكتاب بدعم من زاوية الشيخ محمد المدني بعصارة

الإهداء

إلى كافة المسلمين الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله
وبالقدر خيره وشره ، وباليوم الآخر ، ولا يدعون أنهم الفئة الوحيدة
الناجية من دون بقية المسلمين ، والذين يعملون بقول الله تعالى
{ أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى
أحسن }¹ وبطبقونها فى دعوتهم ، ولا يستعملون القوة وسفك الدماء
فى سبيل نشر ما يؤمنون به من أفكار . ولا يكفرون غيرهم من
المسلمين أو يبدعونهم ، فهم ليسوا أعلم من الله تعالى بحال العباد .
لأن الله تعالى قال بعدها : { إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بالمهتدين }² .

قال الله تعالى أيضا ، ردعاً لهؤلاء فى سورة الأنعام : { إن ربك هو
أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين }³ وقال فى سورة
النجم : { ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بمن اهتدى }⁴ ، وقال فى سورة القلم : { إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين }⁵ .

وبكفيهم ردعاً قوله تعالى : { ذلك مبلغهم من العلم } كى لا
يكفرون العباد أو يرهبونهم فى سبيل دعوتهم وهم يعتقدون أنهم
الوحيدون الذين هم على حق وأن غيرهم على باطل ، وهذا الذى
أفسد على الشعوب الإسلامية وفرق شملهم بعد أن هداهم الله
للإسلام ، وجعلهم أمة واحدة لعبادة الله وطاعته .

فإلى غير هؤلاء أهدي عملى هذا راجيا أن يكون وسيلة هداية
لهم ولغيرهم المتشددىن فى دين الله ، كما أهديه إلى روح مؤلفه
الشيخ العلامة محمد مفتاح قريو ، رحمه الله تعالى .

1 - النحل : 125 .
2 - النحل : 126 .
3 - الأنعام : 117 .
4 - النجم : 29 .
5 - القلم : 7 .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب للأستاذ الدكتور فاتح محمد زقلام

الحمد لله رب العالمين ، لا رب سواه ، ولا إله غيره ، خالق كل شيء ، ولا يعجزه شيء ، إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون ، أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، { ليس كمثل شيء وهو السميع العليم } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، النعمة المسداة ، والرحمة المهداة ، البشير النذير ، والسراج المنير ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن عمل بستته ، ودعا بدعوته ، وسار على نهجه المستتير .

وبعد

فإن أول واجب عيني على كل مكلف ، ذكرنا كان أو أنشئ ، معرفة عقائد الإسلام التي تضمنتها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، بأدلتها التفصيلية لمن كان قادراً على ذلك ، أو بأدلتها الإجمالية لمن كان عاجزاً ، وبدون معرفة هذه العقائد والتسليم بها واعتقادها لا يعتبر الشخص مؤمناً ، ولا يعد مسلماً ، لأنها أساس الإيمان ، ومفتاح الدخول في دين الإسلام ، ولذلك كانت أول شيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطفحت به آيات الذكر الحكيم ، خصوصاً ما نزل منه بمكة صانها الله .

وقد تلقى المسلمون الأوائل هذه العقائد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقوها ، وامترجت بها أرواحهم وعقولهم وأصبحت منهاج حياتهم ، ومصباح سلوكهم في جميع شؤونهم ، وكانوا بها إخواناً جاهدوا بها في سبيل الله ، وانتصروا بها في ميادين القتال على

أعداهم ، وفتحوا بها مشارق الأرض ومغاربها ، ونشروا بها السلام والعدل والرخاء .

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وكثر عدد المسلمين ، حيث دخل في الإسلام أناس كثيرون من جنسيات مختلفة عندها حصل انحراف في بعض العقائد ، وخصومات شديدة حول بعض مسائلها ، فتصدى لذلك علماء الأمة الربانيون ، وحرروا العقائد من زيف الزائفين ، وابتدع المبتدعين ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الإمام أبو الحسن الأشعري ، والإمام أبو منصور الماتريدي ، رحمهما الله تعالى ، فألفت الكتب وكثرت الدروس ، وانتشرت مؤلفاتهم فأقبل عليها المسلمون وصححوا عقائدهم وفق ما قرره أولئك الأئمة ، وعلى ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسموا بأهل السنة والجماعة .

وإذا طوبنا هذه الصفحة ، وانتقلنا إلى عصرنا الحاضر ، وجدنا التاريخ يعيد نفسه ، حيث ظهر أناس يزعمون أنهم الفئة الناجية ، وأن ما سواهم ليس كذلك ، ويتكلمون في مجال العقيدة دون دراية ومعرفة بمن سبقهم من علماء السلف الصالح ، بل اقتصروا على أقوال علمائهم المحدثين ، بل المعاصرين منهم ، وامتشقوا عصا التعصب لجمعهم ولفكرتهم دون أن يناظروا غيرهم وبطرحوا آراءهم على بساط البحث والنقاش ، كما كان سلف الأمة من العلماء الكبار وحكموا على الحق بالرجال .

وكان لعلماء بلدنا (ليبيا) دور بارز في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة ، وذلك بتأليف الكتب والقاء الخطب والمحاضرات ، والدروس في علم العقائد وغيرها على مذهب أهل السنة والجماعة ، ودافعوا عنها أشد دفاع ، نظموا المتون ، وشرحوها ، ووضعوا عليها الحواشي والتقارير ، فجزاهم الله أحسن الجزاء .

وكان من بين هؤلاء العلماء الأفاضل فضيلة الشيخ / محمد مفتاح
قربو ، الليبي المصراتي - رحمه الله تعالى - حيث ألف منظومته
المسماة ، ب (لب العقائد) جمع فيها عقائد أهل السنة والجماعة ،
وردّ على المخالفين لهم فيها رداً مفحماً ، ثم شرحها شرحاً بديعاً
بأسلوب واضح سهل جلي سماه (ميدان الفوائد على النظم المسمى
بُلب العقائد) ، وهو حقاً ميدان للفوائد العظيمة في مجال العقائد
وغيرها ، ثم قبض الله لهذا الشرح فضيلة الدكتور : جمعة محمود
الزريقى - حفظه الله تعالى - فتولى تحقيقه وأبدع في إخراجه
إخراجاً جذاباً ، علّق على ما يحتاج إلى تعليق ، وشرح جملة من
المفردات التي تحتاج إلى شرح ، وناقش بعض القضايا ، ووضع في
أول الكتاب مقدمة طويلة ترجم فيها للمؤلف ، وذكر بعض أعماله
العلمية ، وتعرض فيها لثلاث مسائل قديمة حديثة ، ناقشهم وبين وجه
الصواب فيهم :-

- 1 - مسأله خلق القرآن .
- 2 - ومسألة رؤية الله تعالى في الآخرة .
- 3 - والقول في صفات الله تعالى .

وكان بودي أن لو تمكنت من قراءة الكتاب فشاركته أيضاً في
خدمته ، ولكن ظروف صحتي وضعف بصري لم يمكّني من ذلك
والحمد لله ، وشكراً للدكتور جمعة الزريقى على قيامه بما فيه الكفاية
وعلى اهتمامه بترائنا الليبي المخطوط ، حيث حقق الكثير منه ، جعل
الله ذلك في ميزان حسناته ، ووفقه للمزيد من تحقيق التراث الأصيل .
وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فاتح محمد بن زقلام

الأثنين / 9 جمادى الأولى 1438 هـ الموافق 6 / فبراير 2017 م .

مقدمة التحقيق

لم يرغب علماء ليبيا عن علم الكلام ، أو البحث في أمر العقيدة ؛ فقد وضعوا فيه المصنفات الكثيرة بما يدل على تناولهم لهذا العلم الذي كتب فيه علماء الإسلام على مختلف العصور ، ولهذا يقول أستاذنا الفاضل الدكتور السائح حسين في رسالته التي هي بعنوان (جهود العلماء الليبيين في علم الكلام) : " يمكننا الاستنتاج بأن هذا الجزء من العالم الإسلامي الكبير - ليبيا - يحتوي على كم هائل من التراث الإسلامي العظيم ، برهان ذلك أننا وجدنا في علم الكلام ومباحثه العديد من المؤلفات في هذا العلم لعلماء المالكية من الأشاعرة و علماء الإباضية ، وإننا لو تتبعنا جهود أسلافنا في بقية المعارف الإسلامية لوجدنا إنتاجا يستحق أن تبذل فيه الجهود في سبيل جمعه وتحقيقه ودراسته " 1 .

إن من بين جهود الشيخ قريو العلمية مشاركته في هذا العلم بكتابة مجموعة من المنظومات في علم الكلام ، قام بتأليفها خدمة للمسلمين وبياناً لعقيدتهم ، وتكفل بشرحها زيادة في الفائدة وهو يستخدم في منهجه الأسلوب الثري والشعري ، فغالب تقايده وفتاواه يستعمل فيه النظم وأحياناً الشر ، ولكنه في غالب منظوماته الفقهية يقوم بشرحها بأسلوب مبسط يكفل للقارئ ، مهما كان مستواه ، من أن يستوعب ما ورد في النظم ، وطريقة نظم العلوم متبعة في التراث الإسلامي بكثرة ، فهي تمهد للطالب الصغير الصافي الذهن من الحفظ ، ثم يتكفل العلماء - إذا واصل الطلب - أن يتمكن عن طريق الشرح من استيعاب كل الفن المنظوم .

يتمثل عمل الشيخ قريو في مجال العقيدة بعدة أعمال سوف نلقي عليها الضوء فيما بعد ، وأهمها هو كتابه " شرح لب العقائد الصغير " الذي نشر سنة 1995 م ، وهو مستخلص من كتاب شرح لب العقائد

1 - جهود العلماء الليبيين في علم الكلام ، الأستاذ الدكتور السائح علي حسين - رحمه الله - ص 326 - 327 ، نشر جمعية الدعوة الإسلامية ، ضمن الأعمال الكاملة له ، الطبعة الأولى ، 2009 م ، طرابلس ، ليبيا .

الكبير ، وهذا الأخير لم يحقق أو ينشر فيما أعلم من خلال متابعتي لفتاواه وأثاره العلمية خلال عقدين من الزمن ، ونظر لحاجة بلادنا إلى مثل هذه المؤلفات التي تساعد المسلم في تكوين عقيدته وتمنعه من التيارات التي تحاول تعديلها أو تغييرها إلى عقائد لم تعرف في بلادنا أو تداول فيها ، وحتى نحافظ على ما نعتقد أنه هو العقيدة المثلى والتي تتفق مع تراث الشعب الليبي وما تركه العلماء على مر العصور ، رأيت تحقيق هذا الكتاب ، خدمة لرجال العلم ووفاء لمؤلفه .

وقد انتشرت في بلادنا آراء كثيرة حول العقيدة من خلال بعض الجمعيات التي أخذت تقوم بتوزيع مطويات عديدة في المساجد دون أن تخضع هذه المطويات إلى مراجعة من قبل علماء البلاد المختصين وفيها الكثير من التبذير والتكفير أحيانا ، وما فيها يخالف ما درج عليه المسلمون في ليبيا وتعيدهم وفقا للمدارس الفقهية التي ألفوها وفيها أيضا القول بأن تأويل الصفات ضلالة وبدعة ، وأن عقيدة أهل البلاد تحتاج إلى تصحيح .

وقد انتشرت كتب كثيرة في زماننا هذا من قبل من يميل إلى التشبيه والتجسيم ومن على شاكلتهم من تجار المنشورات الذين لا هم لهم إلا نشر أفكار شيوخهم وانفاق بضاعتهم التي تدعو إلى الأخذ بظواهر النصوص المتعلقة بالتوحيد والصفات ، وفيها النص على عدم القول بالتأويل لأنه من شعار المعطلة ، وقد راج ذلك في أوساط طلبة العلم وبسطوا سيطرتهم على المساجد وكذلك مدارس تعليم القرآن الكريم في غياب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية¹ .

¹ - يراجع في شرح وتفصيل ذلك كتاب ، دفع شبه التشبيه بكاف التزييه ، تأليف الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي الحنبلي ، (ت 597 هـ ، حققه وقدم له العلامة السيد حسن بن علي السقايف ، نشر دار الإمام الرواس ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1422 هـ / 2007 م .

ترجمة المؤلف

إن الحديث عن الشيخ العلامة محمد مفتاح قريو تناولته في أكثر من عمل علمي صدر لي في السابق ، وترجمت له في عدة مناسبات ولا أريد تكرار ما كتبت ، ويكفي الإشارة إلى المصادر التي ذكرت فيها سيرة حياته وترجمة قصته منذ ولادته إلى تاريخ وفاته¹ ولكن لا بد لي من كلمة في بداية هذه المقدمة أنقل فيها للقارئ الكريم بعض الملامح التي كونتها عنه ، وخاصة فيما يتعلق بهذا الكتاب .

كان أول لقاء لي مع هذا العلامة الكبير يوم 28 / 8 / 1995 م في بيته الكائن في منطقة الغيران بشارع بارزة بمصراته ، ومنذ ذلك الوقت صرت أختلف إليه أثناء زيارتي لمصراته ، وأغتم لحظات استمتع فيها بسماع أخباره وآرائه في بعض المسائل التي أطرحها عليه ، أو ما يتفضل بذكره من حوادث تاريخية أو معلومات حول مؤلفاته ، وتعليقاته حول ما يدور في ذلك الوقت .

لكنني لم أحظ بعلم كل ما قام به من تأليف أو كتابات أو فتاوى في الفنون التي كان يتقنها ، ذلك أن مؤلفاته متعددة الأغراض ومتنوعة المواضيع ، منها : الفقه ، الفلك ، الأدب ، النحو والصرف

¹ - كتبت عنه مقالا بعنوان : الشيخ محمد مفتاح قريو وآثاره العلمية ، وكان في الأصل محاضرة ألقيتها في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية يوم الأربعاء 1997/4/9 م ، ونشرت المقال في الجزء الأول من كتابي تراجم ليبية الذي صدر سنة 1998 ، الطبعة الأولى ، ص 234 - 249 ، ثم كتبت عنه بعد وفاته مقالا بعنوان : فقيد العلم الشيخ الأستاذ محمد مفتاح قريو ، نشر في صحيفة الدعوة الإسلامية بتاريخ الأربعاء 2000/7/19 م ، وكتبت عنه بحثا بعنوان : منهج الشيخ قريو في تراجم العلماء ، شاركت به في ندوة نظمتها صحيفة الجماهير يوم 2000/8/18 م في مكتبة الشيخ أحمد زروق بمصراته ، كما كتبت عنه بحثا بعنوان : الدور الاجتماعي للشيخ قريو من خلال بعض فتاويه ، وهي محاضرة ألقى في منارة المحجوب أثناء انعقاد ندوة الشيخ محمد مفتاح قريو ، حياته وآثاره العلمية 19 رمضان 1421 هـ 2000 م ، وكل هذه الآثار نشرت في الجزء الثاني من كتابي تراجم ليبية وقد تضمنت ترجمته ، ص 385 - 418 ، كما ذكرت شيئا من سيرته ولقائي الأول به في مقدمة كتاب فتاوى العالم الجليل الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية الذي صدر سنة 2016 .

البلاغة والإنشاء ، الشعر (منظومات وقصائد) ، والتاريخ ، والفلسفة والفرق الكلامية ، والعبادات ، والتشريع الإسلامي ، العقائد أو علم الكلام ، وكنت مهتماً بجمع فتاواه المتعددة الأغراض ، وخلال عقدين من الزمان تجمع لدي بعضها وشيئاً من آثاره العلمية ، تمكنت بفضل الله من تحقيقها ، وتم نشرها في مجلدين من قبل جمعية خيرية قامت بطبعها بعد أن تبرعت بعملى إليها¹ .

أما بشأن هذا الكتاب ، فبعد أن اطلعت على مؤلفه " شرح لب العقائد الصغير " ، عرفت أنه مختصر من كتاب كبير حسبما أشار إلى ذلك في آخر بيت من نظمه الذي يضم سبعين بيتاً من بحر الرجز ، وقد شرحه في الشرح الصغير ، وقال في آخره (وكان الفراغ منه في شعبان سنة ألف وأربعمائة وأحد عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية) - توافق شهر فبراير 1990 م - لذلك انتهزت فرصة وجودي معه ، فسألته : سيدي أين كتاب لب العقائد الكبير ؟ ، فقال لي : موجود ، فلم تحضرني الشجاعة لطلب الاطلاع عليه ، أو الحصول على صورة ضوئية منه آنذاك ، فمهابته وقدره لم تسمح لي بهذا الطلب .

مضى الزمن حتى انتقل الشيخ محمد مفتاح قريو إلى رحمة الله تعالى ليلة الأحد 7 من ربيع الثاني عام 1421 هـ الموافق 2000/7/9 م فواصلت جمع الفتاوى والآثار العلمية التي حصلت على بعضها ، ثم شرعت في تحقيقها ونشرها - كما سلف القول - ، وبعد نشرها سمعت الإشادة بها من قبل بعض القراء المتابعين في مصراتة وغيرها ، وحمدوا لي هذا العمل ، ففيه إحياء لعلم الشيخ وتراثه والحمد لله رب العالمين .

واصلت البحث عن كتاب لب العقائد الكبير بعد أن علمت يقيناً من مؤلفه أنه موجود ، فأخذت البحث عنه في خزائن المكتبات بمصراتة ومنها مكتبة الشيخ أحمد زروق ، ومكتبة الشيخ إبراهيم المحجوب التي

¹ - نشرته جمعية (وأبشروا) للأعمال الخيرية ، زاوية المحجوب ، مصراتة ، ليبيا ، 1437 هـ / 2016 م .

أوصى الشيخ بمكتبته إليها ، فلم أعتز عليه ، وسألت عنه بعض من
يظن أنه لديه بعض مخطوطات الشيخ وكتبه ، حيث كان لصيقا به
ويكتب له ، فلم ينكر وجوده ولكنه لم يمن به لمن يقوم بتحقيقه ، على
كل حال داومت البحث ، ومثلي في ذلك قول الشاعر : -

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن الطرق للأبواب أن يلجا

إلى أن حانت ساعة الفوز بهذا المخطوط القيم ، حيث زارني في
يوم الثلاثاء 12 / 1 / 2016 م ، الأستاذ الدكتور عبد الله سالم مليطان
وهو من المهتمين بالتراث والتراجم وكتب الأدب ، وله نشاط كبير في
هذا المجال ، فسلم عليّ بلطفه المعهود ، وأدبه الجم ، فرحبت به بما
يليق بمقامه ، وسلم لي ظرفا كبيرا ، وفيه بعض فتاوى الشيخ محمد
مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية ، ومنها صورة ضوئية لكتاب الشيخ
"ميدان الفوائد في شرح لب العقائد " فكانت فرحتي بالكتاب وبمن
أحضره لي لا يمثالها إلا من وجد ضالته التي وصلت إليه بسهولة ويسر
ممن سخره الله لخدمة الشيخ الجليل وتراثه الكبير ، والعقيدة الإسلامية
وتاريخ الثقافة في ليبيا ومصراته ، فجزاه الله عن الشيخ وعني كل خير.

دراسة في بعض مواضيع الكتاب

إن هذا الكتاب يستحق دراسة موسعة لموضوع علم الكلام الذي
يتناوله ، لما فيه من أفكار وآراء تتعلق بالعقيدة التي عليها أغلب
المالكية في شمال أفريقيا وغيرها ، وأن أسلوب المؤلف يقوم على
الشرح وإقامة الدليل على ما يقول به من كتاب الله تعالى وسنة رسوله
الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبطرح الحجج والبراهين على ما يدلي
به ، ولهذا يمكن القول بإمكانية القيام بدراسته ومناقشته من قبل
الباحثين أو المختصين في هذا الفن ، بعد طبعه ونشره .

وسأتناول بعض المسائل التي وردت فيه ؛ لبيان رأي الشيخ قريو
فيها ، وتوضيح حكمه في بعض مسائل الخلاف ؛ التي اشتهرت بين
العلماء في مجال العقيدة ، وهي في كل المدارس الفقهية الإسلامية

، ولكنى أنه إلى أنتى أرى أن مسائل العقيدة والخلاف فيها ، ينبغي أن لا تصل بأصحابها إلى الحروب ، والانشقاق ، ورفع السلاح ضد بعضهم البعض ، أو إلى التهجم على بعضهم بالكلام ، أو بالتنازع ، أو التكفير ، أو بشن الحروب الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية وغيرها ، كما أنه ينبغي أن لا تثار هذه المسائل أمام العامة ، أو فى وسائل الإعلام ؛ وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي ، فمجال مناقشتها من وجهة نظري المجالس الخاصة بالعلماء والفقهاء ، وفى نطاق ضيق حتى لا يتم التشويش على العامة بسماعهم إلى بعض الآراء ، فيلتقطونها ويتعصبون لها ويشيرونها فيما بينهم ، وذلك ما يجر على المسلمين الويال والقتال .

قال الأستاذ الدكتور السائح حسين : " لقد كان علماء السلف يرون أن كتاب الله وسنة رسوله فيهما الهداية والكفاية ، ومن طلب الهدى فى غيرهما فقد ضل ، ولهذا السبب تخرج كثير منهم من الخوض فى علم الكلام ، ورويت عن كثير منهم ردود فعل غاضبة تؤكد أنه بدعة لم تعرف فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته " ثم نقل إلينا آراء بعض الفقهاء الذين قالوا : إن الذين كرهوا علم الكلام ؛ إنما يريدون - والله أعلم - بالكلام كلام البدع والأهواء¹.

ونقل قول بعضهم : الكلام أصل الدين ، والفقه فرعه ، والعمل ثمرته ، كما نقل قول أحد العلماء : من اعتقد أن السلف الصالح نهوا عن معرفة الأصول وتجنبوها ، فقد اعتقد فيهم عجزا ؛ لأنه يستحيل فى العقل والدين أن يتكلموا فى مسائل الفقه وتفاصيلها ، وافترض الصور والنوازل ، وأن يتقنوا الفرائض ، ومسائل التصحيح ، والرد والعول ، ويهملوا الاهتمام بصفات الباري وأسمائه²

وأقول كلمة حق ، إنه فيما قرأت من آراء أو أفكار فى مسائل العقيدة والبراهين التى يسوقها كل طرف ، نجده متمسكا بعقيدته

¹ - العقيدة بين الوحي والفلسفة والعلم ، أ - د السائح علي حسين ، ص 263 وما بعدها ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2005 م .

² - العقيدة بين الوحي والفلسفة والعلم ، المصدر السابق ، ص 248 وما بعدها .

وبدلل عليها باستماتة أحيانا ، وذلك مشتهر في كافة المدارس الفقهية الإسلامية ، غير أن أقوالهم كلها في النهاية تنتهي إلى قوله تعالى : { ليس كمثله شيء } ¹ ، ويسلمون بهذه الآية ويؤمنون بها ، وهي محل اتفاق فيما بينهم ، إذن لماذا الخلاف حول رؤية الله تعالى من عدمه ، والقول بخلق القرآن وعدم الخلق ، وتأويل صفات الله وعدم تأويلها ، أو التفويض فيها ، إلى غير ذلك من المسائل الكلامية التي خاض فيها علماء الكلام ، ونتيجة لتعصب بعضهم قامت حروب ومذابح وأبعاد لعلماء ، وإقصاء حكام ، فهل بغنى ذلك عن الحق شيئا ؟

يقول ابن عساكر (ت 571 هـ) نقلا عن أحد العلماء : " سمعت الشيخ الإمام أبا بكر القفال المروزي - رحمه الله - يقول (في اختلاف أمي رحمة) : معناه اختلاف هممهم رحمة ، يعني قهمة واحد تكون في الفقه ، وقهمة آخر تكون في الكلام ، كما تختلف همم أصحاب الحرف في حرفهم ؛ ليقوم كل واحد منهم بما فيه مصالح العباد والبلاد ثم كل من جعل همته في معرفة دلائل الفقه وحججه ؛ لم ينكر في نفسه ما ذهب إليه أهل الأصول منهم ، بل ذهب في اعتقاد المذهب مذهبهم ؛ بأقل ما دله على صحته من الحجج ، إلا أنه رأي أن اشتغاله بذلك أنفع وأولى ... إلخ " ²

وكلمة الإمام ابن عساكر تدل على سعة صدور الأوائل وإيمانهم بحرية الرأي ، واحترام فكر الآخر ، ولذلك ، فإن تحقيق الكتاب يقتضي نقل بعض آراء مؤلفه في هذا المجال ، ولو باقتضاب واستعراضها بما يبين مضمونها ، كما يتطلب الأمر ؛ جلب الآراء الأخرى التي حاول الرد عليها خلال تأليفه ، وبسط رأيه ، ليس من باب التعصب ، بل من أجل إضفاء الصبغة الدراسية على الكتاب المخطوط ، ولكن بمناقشة هادئة كما هو المتبع في الأسلوب العلمي المتوارث من الفقهاء الأوائل ، رحم الله الجميع .

¹ - الثوري : 9

² - تبين كتب المقرئ فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي ، قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري ، ص 90 ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، 2010 م

ومع ذلك ، يجب تسليط الضوء على نشأة علم الكلام ، وهو موضوع هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ محققا ؛ حيث يقول الأستاذ أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام : " كثر البحث في العقائد الإسلامية والمذاهب الدينية في العصر العباسي الأول ، وأخذ ألوانا شتى ، لم تكن أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا للأولين من أصحابه ، وأخذت هذه البحوث تتركز ؛ ليتكون منها علم جديد ، يسير سائر العلوم التي نشأت في هذا العصر ؛ هو (علم الكلام) وقد تعاون على نشوئه وارتقائه أسباب كثيرة ؛ بعضها داخلي ، وبعضها خارجي " ¹ .

وذكر أن من الأسباب الداخلية لظهور علم الكلام ؛ أن القرآن الكريم بجانب دعوته للتوحيد والنبوة ، وما إليها ، عرض لأهم الفرق والأديان التي كانت متشرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن المسلمين لما فرغوا من الفتح ، واستقر بهم الأمر ، واتسع لهم الرزق أخذ عقلهم يتفلسف في الدين ، فيشر خلافاً دينية ، ويجتهد في بحثها والتوفيق بين مظاهرها ، أما السبب الثالث ؛ فيعود للمسائل السياسية منها على سبيل المثال ؛ مسألة الخلافة ، وهي مسألة سياسية بحثة .

يضاف إلى ذلك أسباب خارجية ، تتمثل في أن كثيرا ممن دخلوا في الإسلام ، بعد الفتح ، كانوا من ديانات مختلفة ، وكانوا قد نشأوا على تعاليم دياناتهم ، وشبوا عليها ، فلما استقروا أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم ، ويشرون بعض مسائله ، كما أن الفرق الإسلامية الأولى وخاصة المعتزلة ؛ جعلت من أهم أغراضها الدعوة إلى الإسلام ، والرد على المخالفين ، يضاف إلى ذلك ، حاجة المتكلمين إلى الفلسفة لوقوفهم أمام خصومهم يجادلونهم بمثل حججهم ² .

وعلى أن نقف على تعريف ابن خلدون لعلم الكلام ؛ حيث قال : " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل

¹ - ضحى الإسلام ، للأستاذ أحمد أمين ، المجلد الثالث ، ص 1 ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، د.ت

² - ضحى الإسلام ، المصدر السابق ، ص 1 وما بعدها .

السنة ، وسر هذه العقائد الإيمانية ، هو التوحيد ¹ ثم أخذ يتكلم عن هذا العلم بشيء من التفصيل ، مبيناً أن الفكر وحده غير كاف في بيان كافة العقائد ، فهو دون الإحاطة بالكائنات وأسبابها ، والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وأنه ميزان صحيح ، فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن ترز به أمور التوحيد والآخرة ، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال ، لكن للعقل حدا يقف عنده ² .

ولهذا يرى بعض العلماء أن المتكلمين ، غالوا كثيراً في تعريف علم الكلام ، واعتبروا تحصيل هذا العلم من الواجبات ، واستدلوا على ذلك بأن معرفة الله - تعالى - واجبة بإجماع المسلمين ، وأبرزوا أهمية هذا العلم حين تحدثوا عن مقصوده ، وغايته ، وكاد المبتدعة أن يشوشوا عقيدة أهل الحق على أهلها ، فأنشأ الله - تعالى - طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة ، بكلام مرتب يكشف عن تليسات أهل البدعة المحدثه ، على خلاف السنة الماثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ³ .

يرى بعض الباحثين : أن طرق الاستدلال بالكلام في عقائد التوحيد عن طريق القياس ، أو الاستقراء ، أو الجدل ، قد واجهت انتقادات كثيرة من علماء السنة ، فطريقة القياس لا تفيد في الإلهيات ، لأن الله تعالى { ليس كمثله شيء } ⁴ ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل ، هو وغيره ، تحت قضية كلية يستوي أفرادها ، وطريقة الجدل تقوم أصلاً على مسلمات الخصم ، وتتسم بالتدقيق ، وتعدد الاحتمالات والفروض ، وتشقيق الكلام ، وتقصد هذه الطريقة في الأغلب إلى قهر الخصم ، بصرف النظر عن صحة الدعوى ، أو عدم صحتها ، ولهذا يرى أن القرآن الكريم : قد اشتمل على البراهين العقلية الدالة على أصول

¹ - مقدمة ابن خلدون ، العالم الجليل الفيلسوف المرحوم عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب الشعب ، ص 413 ، اعتمد في نشر المقدمة على الصيغة التي أصدرتها لجنة البيان العربي بتحقيق الأستاذ علي عبد الواحد الزكي ، ص 424 .
² - مقدمة ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 424 .
³ - مسائل العقيدة ، دلائلها بين الأدلة القرآنية والاستدلال الكلامي ، الدكتور محمد رزق الحبيب ، كلية العلوم - جامعة القاهرة ، نشر دار الدعوة والتعليم ضمن سلسلة (دعوة الحق) (1) رابعة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، العدد 223 ، ص 13 ، العام 1428 هـ / 2007 .
⁴ - التورى : 11 .

الدين ، وهي كافية في إثبات كل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده ، والتصديق به ، من غير ظن ولا تقليد ¹ .

ولمعرفة موقف المؤلف - الشيخ محمد قريو - من هذه الآراء أنغل تعريفه لعلم التوحيد ، فقد قال : " حد علم التوحيد ، أي تعريفه الذي يشرح ماهيته ، ويسن حقيقته : هو علم بأصول وقواعد ، يبحث فيه عما يجب ، وما يستحيل ، وما يجوز في حق الله تعالى ، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام ، وعن السمعيات التي أخبر بها سيد الكائنات ، ونمرته أي فائدته : هي معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام ، ومعرفة السمعيات ، معرفة يحصل بها في الدنيا الثبوت على الإيمان ، وفي الآخرة الفوز بدخول الجنان إن شاء الله تعالى " ² .

لم يشر المؤلف ، إلى أن علم الكلام قصد به الرد على المخالفين في العقيدة ، أو بنية الطوائف ، وإن كان قد تناول في الكتاب بعض أقوالهم ، كالمرجئة والفلاسفة وغيرهم ، وقام بالرد عليهم ، بما يستلزم تبين عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي هي عقيدة الأشاعرة ، كما وصفهم بذلك ابن عساكر في كتابه تبين كذب المقتري : إذ وصف بيان الشيخ أبي الحسن الأشعري " خلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضهم لا يستقيم في الآراء ، فكان بيانه تقوية ما لم يدل عليه من أهل السنة والجماعة " ³ .

كما أن ابن خلدون يقول : لما ألفت المتكلمون في التنزيه ، حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب ، فقصوا بنفي صفات المعاني ، من العلم والقدرة والإرادة والحياة ، زائدة على أحكامها . . . وقصوا بأن القرآن مخلوق ، وذلك بدعة صرح السلف بخلافها ، فكان ذلك سبباً : لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد ، دفعاً في صدور هذه البدع . وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين ، فتوسط بين الطرق ، ونفى التشبيه

¹ - مسائل العقيدة ، دلائلها ، المصدر السابق ، ص 19 وما بعدها .
² - كتاب ميزان القوائد على النظر للمعنى والاعتدال ، مخطوط ، ص 2 .
³ - تبين كذب المقتري ، لابن عساكر ، المصدر السابق ، ص 88 .

وأثبت الصفات المعنوية ، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف ، وشهدت له الأدلة المختصة لعمومه ¹ .

نحاول تسليط الضوء على بعض المسائل التي تناولها المؤلف في كتابه ، وأدلى بدلوه فيها ، وهي :-

1 - القول بخلق القرآن من عدمه .

ظهرت محنة خلق القرآن الكريم في عهد المأمون والمعتصم وهي من المشاكل التي نزلت بالمسلمين ، وقد نتجت عن جدلهم في العقائد الدينية ، وهو قول المعتزلة الذين نادوا به ، رغم أنهم يتادون بحرية الرأي ، واعتنقه بعض الخلفاء ، وحاول إرغام العلماء عليه ، مما سبب في حدوث قلاقل سياسية ؛ أدت إلى سجن بعض العلماء ، أو إبعادهم من ساحات العلم ، وهذا الذي أدى إلى اعتناق الرأي من بعض الفرق الإسلامية ، والقول بخلافه ، أي أن القرآن الكريم غير مخلوق منهم الخابلية والأشاعرة ² .

أشار الشيخ قريو ، إلى تلك الفتنة التي نشأت عن القول بخلق القرآن وعدمه ، ثم تناول الموضوع عند الحديث عن صفة الكلام ، وهي إحدى صفات الله تعالى ؛ وبعد أن أفاض في تعريفها وتحليلها قال : " والحاصل أن الكلام ، يطلق على المعنى القائم بالذات المنزه عن جنس الحروف والأصوات ، وسائر أنواع التغيرات ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : { القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم } وسحب القول على كافة الكتب السماوية ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } وقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - : { ما بين دفتي المصحف كلام الله } ³ ويزيد الأمر وضوحاً قوله : إن الحروف والأصوات هي دالة على كلام الله .

وهذا الرأي يوافق قول الأشاعرة إن القرآن غير مخلوق ، قال الأستاذ الدكتور محمود قاسم : يرى بعض من أرخوا لمشكلة خلق القرآن أن الأشعري ، كان يفرق بين نوعين من الكلام ، أحدهما بنفس وهو في رأيه صفة ذاتية قديمة ، والثاني مكون من الكلمات والحروف وهو حادث مخلوق ، ومن ثم يكون على وفاق مع المعتزلة فيما يمس هذا الكلام الأخير ، لكننا وجدنا أن الأشعري كان أقرب إلى أحمد ابن حنبل ، لأنه ينص صراحة على أن كلام الله غير مخلوق ، وهو يريد بذلك القرآن لفظه ومعناه ، لأنه يقول : ولا يجوز أن يقال إن شيئاً من القرآن مخلوق ، لأن القرآن بكماله غير مخلوق ¹ .

هناك من يقول ، بأن القرآن مخلوق ، فإلى جانب المعتزلة نجد أن بعض علماء الإباضية يقولون بذلك ، وينسب إلى الشيخ أبي العباس أحمد الشماخي ، حيث يقول في رده على أحد علماء المالكية : " وإنما ننكر أن القرآن نسبة ، وإن النسبة صفة فليزم القرآن صفة الإجماع أن القرآن حالٌ باللوح المحفوظ ، واللوح محدث ، فما حل بالمحدث محدث ، وأنه منزلٌ ، وكل منزل متغير ، وكل متغير محدث ؛ يلزم القرآن محدث وأنه في صدور الذين أوتوا العلم ، وما في الصدور محدث ؛ يلزم أنه محدث ، وأنه ذكرٌ ، وكل ذكر محدث ، { وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } " ² .

تناول أبو الحسن الأشعري ذلك ، بأن ما ورد في اللوح المحفوظ هو مؤكد بنص القرآن ، وبين أن القرآن في اللوح المحفوظ ، وفي صدور الذين أوتوا العلم ؛ فهو محفوظ في مصاحفنا في الحقيقة ، محفوظ في صدورنا في الحقيقة ، منلو بالستا في الحقيقة ، مسموع لنا في الحقيقة ، أما ما يتعلق بالذكر ، فيس أن المعنى هنا ، هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس كلام الله ، ونست عدة آيات يرد فيها لفظ (الذكر) للدلالة على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 - مدافع الأئمة في عقد أهل السنة ، المصدر السابق ، ص 69 .
2 - الجواز الإلهي المالكي ، تأليف الجليلي صولة أبو عبد الله العباسي ، دواقي العباس أحمد بن سعيد الشامي ، من 254 تحقيق وإبراهيم العربي من طبع من دار ، نشر وزارة الثقافة بسلطنة عمان ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ - 1996 .

3 - مقدمة ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 424 .
4 - مدافع الأئمة في عقد أهل السنة ، لابن رشد ، المقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ص 62 ، الدكتور محمود قاسم ، عبد كلية العلوم ، جامعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1954 م .
5 - راجع تعريجه هذه الأحاديث في مختلفها من النسخ المطبوع .

١. خلاصة القول ، إن الأشاعرة لا يقولون بخلق القرآن بالمعنى الأزلّي القديم ، وإنما يعتبرون الأصوات والحروف حادثة ، وهي دالة على كلام الله القديم .

ويتفق رأي الأشاعرة في مسألة خلق القرآن وعدمه مع الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - حيث يقول في عقيدته المسماة الفقه الأكبر : " والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ ، وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل ، ولفظنا بالقرآن مخلوق ، وكتابنا له مخلوقة ، وقراءتنا له مخلوقة ، والقرآن غير مخلوق ، . . . والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف ، والحروف مخلوقة ، وكلام الله تعالى غير مخلوق " 2 .

ورد في شرح العقيدة الواسطية أن مسألة القرآن قد تنازع الناس حولها ، فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقاً منفصلاً منه ، وقال إن معنى متكلم : خالق للكلام ، وهم المعتزلة ، ومنهم من جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً ، لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، ونفى عنه الحرف والصوت ، وقال إنه معنى واحد في الأزل ، وهم الكلامية والأشعرية ، " وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته ، يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ، ولا يزال متكلماً إذا شاء ، وما تكلم الله به ، فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه ، كما تقول المعتزلة ، ولا لازماً لذاته لزوم الحياة لها ، كما تقول الأشاعرة ، بل هو تابع لمشيئته وقدرته " 3 .

ومع ذلك نجد من فقهاء الختابة المعاصرين من ينسب للإشاعرة القول بخلق القرآن ، فيقول عنهم " أن القرآن عبارة عن كلام الله

النفسي ، شيء واحد في ذاته ، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو تورا ، وإن جاء التعبير عنه بالسريانية فهو إنجيل ، وإن جاء بالعربية فهو قرآن ، فهذه الكتب عندهم كلها مخلوقة ، ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه " ، ثم يختم ذلك ، " وعلى القول بأن القرآن الذي نقرؤه في المصاحف مخلوق ، سار الأشاعرة المعاصرون ، وصرحوا بذلك ، وأشار إلى رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تسمى التسعينية ، فيها الرد على الإشاعرة بشأن القرآن " 4 ، وما ذكره الشيخ قريو من قول الأشاعرة ، بأن القرآن غير مخلوق ، يفند هذا الرأي .

2 - رؤية الله تعالى في الآخرة .

وقع الخلاف بين الفرق الإسلامية ، في رؤية الله تعالى ، في الآخرة فقال المعتزلة والزيدية والخوارج : إن الله جل جلاله لا تجوز عليه الرؤية ولا لرأيانه الآن ، وقال الأشعرية : يرى في الآخرة بلا كيف ، ولكل منهم أدلته التي يستند إليها ، وليست هنا في مقام بيان ذلك ، وإنما هي مبسطة في الكتب من الكتب 2 .

يقول أحد الباحثين في هذه المسألة : " ومسألة رؤية العباد لله سبحانه وتعالى : هي من القضايا التي لا تقبل تعدد الآراء حولها : فهي إما أن تكون ثابتة ، وإما أن تكون منقبة عنه ، سبحانه وتعالى . وبهذا يجد الباحث أن الخلاف حول قضية ، رؤية الله سبحانه وتعالى غير مقبول ، ولا يقال فيها لكل مجتهد نصيب ، فالخلاف حول إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى ، أو نفيها لم يأت من قبل المسألة نفسها ، لأنها ، لا تجيز تعدد الأفكار حولها ، بل هي رأي واحد ثابت بالأدلة المقطوع بثبوتها " 3 .

١ - مقال باسم الأناجيرة الشيخ ناصر بن محمد الأحمد - نقل من موقع مكتبة أهل الحديث بشبكة المعلومات الدولية ، نسخ بتاريخ 2017/1/27 م ، الكتاب المشار إليه بعنوان (التسعينية) تأليف شيخ الإسلام أحمد عبد العظيم بن تيمية - دراسة وتحقيق : محمد بن إبراهيم المحفلان - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى : 1420 هـ / 1999 م - شبكة المعلومات الدولية .
٢ - تراجع تفصيل ذلك في كتاب جهود العلماء القويين في طو الكلام ، الدكتور السباع علي حسين - ترجمة : د. - المصدر السابق من 321 - 324 .
٣ - الميراث القسط ، المنهج والفتاوى في دراسة وفكر زوايا رؤية الله سبحانه وتعالى - علي بن محمد بن ناصر العتيبي - من 8 مكتبة المعارف ، مسقط عمان ، عمان 1424 هـ / 2003 م .

١ - الكلمة من سؤال الفتاوى إلى المجلس الأعلى ، (258 هـ) ، تحقيق وتقديم وتقديم : الدكتور فؤاد حسين محمود ، مقدمة المطبوع : 158 هـ ، دار التأسيس ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى : 1382 هـ / 1979 م .
٢ - الفتاوى - كلامه الأشعرية إلى حياة العلماء بن ثابت (250 هـ) ، دار الفتنة ، من 8 : إفتاء محمد جابر ، دار الفتنة ، بيروت ، (2003 هـ) ، الطبعة الثانية : 2003 .
٣ - تاريخ الفتنة الرئيسية شيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف العلامة محمد جابر عرابي ، دار الفتنة / بيت الفرض إلى حياض ، من 88 - 99 ، تاريخ الفتنة الإسلامية ، شبكة المعلومات الدولية ، الطبعة الرابعة : 2003 .

بذل الباحث المذكور جهده ، في نفي رؤية الله تعالى ، وأفنى طائفة من نفيس عمره في إثبات ذلك ، وانتهى في كتابه إلى أنه : " لقد تبين بعد وزن أدلة الفريقين بالميزان القسط ، ضعف رأي المثبتين لرؤية الله سبحانه وتعالى ، وذلك ، بسبب عدم تفيدهم بالقواعد والأسس التي تدعو إليها علوم الأمة الإسلامية ، وتبين ، بعد عرض أدلة النافين لرؤية الله سبحانه وتعالى ، على علوم الأمة الإسلامية ، صواب أقوالهم وصحة رأيهم " ¹

يقول الباحث السابق : إن الرؤية قد نفاها المعتزلة ، بناء على تفهيم الجهة عن الله تعالى ، لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي ، وما دامت الجهة مستحيلة ، وهي شرط في الرؤية ؛ فالرؤية كذلك مستحيلة ، واحتجوا من النقل بقوله تعالى : { لا تدركه الأبصار } ، وأما الأشاعرة : فهم مع تفهيم الجهة كالمعتزلة ، يثبتون الرؤية ، ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية ، فمتهم من قال : يرونها من جميع الجهات ومنهم من جعلها رؤية ، بالبصرة لا البصر ، وقال المقصود زيادة الانكشاف والتجلي ، حتى كأنها رؤية عين ² .

أما المؤلف - الشيخ قريو - فهو يرى : أنه من الجائز في حق الإله عند أهل السنة ، أنه يتجلى لعباده ، فيراه المؤمنون بدون كيف ولا انحصار في الجنان ، ثم يقول : " ثم اعلم أن رؤية الله - عز وجل - هي انكشافه للرائي ، انكشافاً تاماً ، من غير أن يكون محصوراً ، أو محدوداً في جهة ، أو في مقابلة الرائي ، وبدون تكيف بأي كيفية من كيفيات رؤية الحوادث بعضهم بعضاً ، وقد وقع فيها خلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، فذهب أهل السنة ، إلى أن رؤية الله تعالى بالأبصار من غير مقابلة ، وجهة ، وتكيف بأي كيفية ممكنة عقلاً ، في الدنيا والآخرة ، ووافقه في الآخرة للمؤمنين " ³

1 - الميزان القسط ، المصدر السابق ، خاتمة الكتاب ، ص 278 .
2 - شرح العقيدة الوسطية - المصدر السابق ، ص 98 - 85 .
3 - ميزان القواعد ، المصدر السابق ، ص 60 من المخطوط .

ثم أورد سندهم في ذلك إلى دليلين : نقلي وعقلي ، فأما النقل ، فهو قوله تعالى ، حكاية عن موسى عليه السلام { رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ، ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني } ودليلهم أن موسى سأل الرؤية ، فلو كانت غير ممكنة ما سألها ، وأن الله علق رؤيته على ممكن ، وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الممكن ممكن ، وجلب اعتراض المعتزلة على ذلك : بأن سؤال موسى الرؤية ، لا يدل على إمكانها ، لأنه لم يسألها لنفسه ، لعلمه باستحالتها وإنما سألها لقومه ، حين طلبوا منه أن يريهم الله جهرة ، وبأن الرؤية علق على مستحيل ، وهو استقرار الجبل حال تحركه ، فتعلق الرؤية عليه لا يدل على إمكانها ، ثم نقل إلينا الرد على هذه الاعتراضات من قبل أهل السنة ، ودليلهم العقلي بأن الله موجود ، وكل موجود يمكن أن يرى ، فالله تعالى يمكن أن يرى ¹ .

فأنت ترى ، أن المؤلف يرد على ما قال به المعتزلة ، بعد أن يذكر أدلة الأشعرية ، في إثبات الرؤية لله تعالى يوم القيامة ، مما تجده في محله من هذا الكتاب ، وأن استدلاله بالمنقول من الكتاب الكريم وسنة رسوله الكريم ، وبالدليل العقلي الذي يستعمله المعتزلة في حجاجهم ويختتم بحثه ، في هذه المسألة ، باتفاق أهل السنة : على أن رؤية الله تعالى ، نقطة في الدنيا ، بعين رأسه ، لم تقع لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلفوا في وقوعها له ، والصحيح - كما يقول - أنه رأى ربه بعيني رأسه بقطعة ليلة الإسراء والمعراج ، كما عليه جمهور الصحابة رضي الله عنهم ² .

وهناك بعض العلماء من لم يرض بهذه المساجلات ، بل بصرح بأنها ، بدعة في الدين ، خاصة عند نشرها على العامة ، يقول الإمام ابن رشد إنه يعتقد من البدعة ، أن تفرق أئمة الإسلام في هذه المسألة ، ثم يصرحوا بهذا الخلاف للعامة ، فإن هؤلاء لا يرفون إلى إدراك ، كيف يمكن رؤية ما ليس بجسم ، أي كان نوع هذه الرؤية ،

1 - ميزان القواعد ، المصدر السابق ، ص 64 من المخطوط .
2 - ميزان القواعد ، المصدر السابق ، ص 65 من المخطوط .

فالأولى ، بنا إذن أن نكتفي معهم ، بما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز من أنه نور السماوات والأرض ، وعندئذ لا يجد الجمهور شبهة ما في رؤية الله ، أما العلماء فيعلمون أن الرؤية تعيد مزيد علم به ، سبحانه ، فهي إذن لديهم ، رؤية رمزية لا تشبه الرؤية الحسية في شيء¹ .

3 - القول في صفات الله تعالى

قال أبو الحسن الأشعري ، في كتاب الإبانة : " وزعمت الجهمية أن الله تعالى ، لا علم له ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر له وأزادوا أن ينفوا أن الله تعالى ، عالم قادر ، حتى سمع بصر ، فمضت خوف السيف من إظهار نفي ذلك ، فأتوا بمعناه ، لأنهم إذا قالوا : لا علم لله ولا قدرة له ، فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قادر ، ووجب ذلك عليهم ، وهذا إنما أخذه عن أهل الزندقة والتعطيل ، لأن الزنادقة قد قال كثير منهم : إن الله تعالى ، ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حي ، ولا سمع ، ولا بصر ، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك ، فأتت بمعناه وقالت : إن الله عالم قادر حي ، سمع بصر عن طريقة التسمية ، من غير أن يشيوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر " ² .

وقال في كتاب اللمع بعد استعراض صفات الله والتدليل عليها من القرآن الكريم : " فإن قال : أنقولون إن الله تعالى ، لم يزل عالما قادرا سميعا بصيرا ؟ ، قيل له كذلك نقول ، فإن قال : فما الدليل على ذلك ؟ ، قيل له : الدليل على ذلك : أن الحي إذا لم يكن عالما ، كان موصوفا بضد العلم من الجهل ، أو الشك أو الآفات ، فلو كان الباري تعالى لم يزل حيا غير عالم ، لكن لم يزل موصوفا بضد العلم ، ولو كان لم يزل موصوفا بضد العلم من الجهل ، أو الشك ، أو الآفات ، لاستحال أن يعلم ؛ لأن ضد العلم ، لو كان قديما ، لاستحال أن يبطل ، وإذا استحال أن يبطل ذلك ، لم يحز أن يصنع الصنائع الحكيمة ، ، إلخ

¹ - استمع الأئمة في عقائد أهل السنة ، مقدمة لأبي بكر محمد قاسم ، المصنف السلفي ، ص 88 .
² - الإبانة من أصول الديانة ، المصنف السلفي ، ص 143 .

، وانتهى إلى أن " هذا الدليل يدل على إثبات صفات الله تعالى لذاته كلها : من الحياة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، وسائر الصفات " ¹ .

يقول المؤلف في مبحث الإلهاب : إن كمالات الله لا تنهاه ، ولا يخصصها عدد ، ولا يحيط بها علما ، ولكن باعتبار النوع قسمان : - قسم لم يقم دليل ولا برهان على تعينه ، وإنما قام الدليل عليه إجمالا فوجب علينا التصديق به إجمالا ، وهو كل كمال يليق بذاته العلية ، وإليه أشرت بقولي : -

فكل ما دل على الكمال * يجب لله على الإجمال

وقسم ، قام الدليل والبرهان على تعينه وتفصيله : فوجب علينا التصديق به ، ومعرفة تفصيله ، وهو عشرون صفة يجب علينا فهمها لأجل حصول المعرفة ، حتى يكون إيمان الفاهم لها ، إيمانا ناسطا عن المعرفة ، لا عن تقليد ، ثم ذكرها نظما على النحو التالي : -

وهي الوجود قدم ثم البا * وخلف خلق وعنا مطلقا

ووحدة وقدرة وإرادة * علم حياة خالف عبادة

وسمعة وبصر ثم الكلام * وقادر ثم مريد في الدوام

وعالم حتى سمع وبصر * ومنكم بلا اللفظ الشهير

ولما وصل إلى صفة الوجدانية ، قال : هي آخر صفات السلوك الخمسة ، وحكم الصفات السلبية : أنها واجبة لله بالوجوب العقلي وواجبة على المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقادا ، والفروع معرفي ، فتنبه لذلك ولا تغفل ، وبعد شرح ما ذكر ، أخذ في بيان صفات المعاني وهي سبع : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع والبصر ، والكلام ، وسميت معنوية نسبة إلى المعاني : لأنها ملازمة لها لا تنفك عنها ، إذ لا توصف الذات بكونها قادرة ، إلا إذا انصفت بالقدرة

¹ - كتاب التكملة في الرد على أهل الزيغ والبدع - تأليف أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 330 هـ - ص 25 - 26 - 27 - ص 28 .
وقدم له ونقل عنه الدكتور محمود كوكبة مدير المركز الثقافي الإسلامي بطنس ، مطبوعا بطنس ، 1965 م .

ولا توصف بقوتها مريدة، إلا إذا انصفت بالإرادة، ولا توصف بأنها عالمة إلا إذا انصفت بالعلم، وهكذا الراكبات.

جاء في شرح العقيدة الواسطية: عند الكلام على آية الكرسي، وما فيها من صفات الله تعالى: "فقد أخبر الله فيها عن نفسه بآية التوحيد في الآية التي لا ينفي العبادة بجميع أنواعها، ويثبت صورها إلا له، ثم أورد قضية التوحيد بما يشهد لها، من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنه الحي الذي له كمال الحياة، لأن حياته من لوازم ذاته: فهي أزلية أبدية، وكمال حياته، يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له، من العزة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة وغيرها، إذ لا يخلف شيء منها، إلا نقص في الحياة، فالكمال في الحياة، يمتنع الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي".¹

أما الفاروق الكريم، هل ترقى فرقاً بين ما قاله الشيخ المؤلف، وما ورد في شرح العقيدة الواسطية من إثبات الصفات لله تعالى، اللهم إلا تقسيم المؤلف للصفات إلى سلبية ومعنوية²، ومع ذلك فإنهم يعقون على أنه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)³.

يقول الشيخ الفاضل / محمد الأمين الشنقيطي: "اعلموا أن كثرة الخوض، والتعمق في البحث في إثبات الصفات، وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع: من البدع التي يكرهها السلف، وأن مبحث إثبات الصفات، دل القرآن العظيم بأنه يتركز على ثلاثة أسس، من جاء بها كلها: فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل: أخذها هو تزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، والثاني، هو

¹ - شرح العقيدة الواسطية للشيخ الإسلام ابن تيمية، المجلد الثاني، ص 34 و 35.

² - للشيخ: 31.

الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يوصف الله أعلم بالله من الله، والملك الإبراهيمي، بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم".⁴

يذكر مع ذلك من ذكر غيره: يقول الشيخ محمد بن صالح المنجد في كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة: "فقد أخبر الله تعالى مع ذاته وهو على عرشه بعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويرى أحوالهم: يروق القدر: ويحس الكسر: يؤمن الملك من بناء: ويرى الملك من بناء: ويحس من بناء: ويدرك من بناء: ويذوق الضيق: وهو على كل شيء قدير: ومن كان هذا شأنه كان مع ذاته حقيقة: وإن كان قوهم على عرشه حقيقة (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) ولا يقول كما يقول الحوالية من الجهمية وغيرهم أنه مع ذاته في الأرض، ويرى أن من قال ذلك، فهو كافر أو ضال: لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقص".⁵

يقول المؤلف حول صفات الله تعالى: "والحاصل أن صفات المخالفة للحوادث ذلك على أن الله تعالى، يخالف للحوادث في ذاته وصفاته، وأفعاله، فليس الله تعالى جسمًا، ولا حالًا في جسم، ولا في مكان، ولا في جهة، وليست ذاته مرتبة من أحوال، فليس له يد ولا وجه، ولا عين، ولا يوصف بصفات الحوادث من نحو الحركة والزوال، والموقوفة الجسمية، والاستواء على أجسام، بمعنى الاستعراق وهذا ما أجمع عليه أهل الحق، وأئمة الأدلة القطعية".

وقد جاء للعلماء في النصوص التي أوتيت بالشبهة، مذهبان: مذهب أهل الحق، ومذهب غيرهم، أما أهل الحق: فقد اتفق سلفهم وخلفهم على تأويل هذه النصوص، وتصرفها عن ظاهرها وحملها على معان يليق بذات الله تعالى، إذ لا يصح أن يراد منها ما يفيد ظاهرها: لمخالفة لما أفادته البراهين العقلية، ولأن هذه

⁴ - جامع زوائد أئمة الإسلام والعقائد، كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، ص 34.

⁵ - جامع زوائد أئمة الإسلام والعقائد، كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، ص 34.

⁶ - جامع زوائد أئمة الإسلام والعقائد، كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، ص 34.

النصوص معارضة بنصوص أخرى، تفيد صراحة أن الله مخالف للحوادث

إلا أن طريقة السلف، في تأويل هذه النصوص، تخالف طريقة الخلف، فالسلف يؤولون تأويلا إجماليا؛ فيصرفون هذه النصوص عن ظاهرها، ويحملونها على معان يفوضونها إلى علم الله، فيقولون: ظاهر هذه النصوص غير مراد لله تعالى، بل أراد منها معاني أخرى هو أعلم بها.

والخلف يؤولون تأويلا تفصيليا؛ فيصرفون هذه النصوص عن ظاهرها، ويحملونها على معان تليق بذاته تعالى، ويبينونها؛ فيحملون اليد في { يد الله فوق أيديهم } على القدرة، ويحملون الوجه في { ويبقى وجه ربك } على الذات، ويحملون العين في { تجري بأعيننا } على القدرة، أو الإرادة، أو العلم، ويحملون الاستواء في { الرحمن على العرش استوى } على الاستيلاء والملك، أي استولى عليه وملكه ويحملون المجيء في { وجاء ربك } على مجيء أمره، ويحملون الأصابع في { أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن } على الصفات، أي بين صفتين من صفاته؛ وهما: القدرة والإرادة ويحملون وسعني في { ما وسعني أرضي ولا سمائي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن }² على وسع هيبتي وأمانتي التي أشار إليها بقوله تعالى { إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان }³.

¹ رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص، نسخة: { قلب واحد يعرفه حيث شاء } حديث رقم 2654، من 2045.
² حديث نقله الإمام النووي في الأذكار، نسخة: { قل لا اله الا الله } وذكره لفظ: { وسعني قلب عبدي المؤمن } في التواضع وقال: معجزة العبد في: لو أنه لم يعلم، وكان قال: إن أمانة، أو حاكم في الإحسان، وأما قوله: { وسعني قلب عبدي المؤمن } في التواضع وقال: وسعني. المتعبد الصلة في بيان كثر من الأمانات المشكورة على الكثرة. العلامة الشيخ محمد عبد الرحمن البخاري، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، حديث رقم 890 من 580، من كتاب العربي، بيروت، لبنان، 1429هـ / 2008م.

وطريقة السلف أسلم؛ لتخاشيهم عن بيان معان، قد لا تكون مرادة لله تعالى، وطريقة الخلف أعلم؛ لأن فيها إيضاحا ببيان المعاني وأحكام، لأن فيها إبطالا لتشبه الملحدين والضالين، وإرشادا للقاصرين.

يتضح، مما سبق، أن المؤلف يرى أن طريقة السلف أسلم في العقيدة؛ لأنهم يقولون بالتأويل الإجمالي، بصرف النصوص عن ظاهرها، ويحملونها على معان يفوضونها إلى علم الله، والله تعالى أعلم المراد بها. ولعله بذلك، يخرج من الخلاف الدائر بين ما يراه السلفية، وما يراه الأشعرية من تنزيه الله، وعدم التأويل، ومخالفته للحوادث، في ذاته وصفاته وأفعاله، على النحو الميسر سابقا، ولكنهم لم يسلموا من النقد.

يرى بعض الفقهاء، أن طريقة الخلف في التأويل التفصيلي لصفات الله تعالى، هي مخالفة لما عليه السلف الصالح، فيقول: ومن المعلوم أن الأشاعرة، من أهل التأويل لأكثر الصفات، فيكون مذهبهم باطلا، ذلك أن إجماع المسلمين قديما، ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح، من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة: الذين هم خير القرون، والتابعون بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إنبات ما أنبته الله لنفسه، أو أنبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله - تعالى - من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل¹.

ثم قال الشيخ العثيمين: إن الشيخ أبا الحسن الأشعري اعتنق مذهب أهل السنة، والحديث في المرحلة الثالثة من عقيدته، حيث أشاد بالإمام أحمد بن حنبل، ذكر ذلك في كتابه الإبانة، ونقل عنه: "وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا - عز وجل - وسنة نبينا

¹ الفوائد المتلى في صفات الله وأسمائه الحمى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، نشر منسوخة الجمعية العلمية في الكويت، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى، من 331، بشراف لجنة الدراسات والترجمة والنشر بالجمعية، الطبعة الثانية، بالجمعية العلمية للطباعة الأولى، 1421هـ.

صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه - ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، قائلون . والمتأخرون الذين يتسبون إليه ، أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته ، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات ، ولم يشئوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت :-

حَيٌّ عِلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ * إِرَادَةٌ وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها ، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : " وأما الأشعرية فعكس هؤلاء (أي ما قال به الأشعري في كتابة الإبانة) وقولهم يستلزم التعطيل ، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ¹ . وهو يقصد قول الأشاعرة : ليس الله تعالى جسماً ولا حالاً في جسم ، ولا في مكان ، ولا في جهة ، ويلاحظ القاري مما سبق ذكره ، أن الأشاعرة أثبتوا كل الصفات ولم يقتصروا على سبع فقط .

وينبني على قول الإشاعرة ، إن الله لا في مكان ولا في جهة ، أنهم قالوا : لو كان مستوياً على عرشه لكان مشابهاً للخلق ، ولكنه لم يكن مشابهاً للخلق ، فيستجوز أنه ليس مستوياً على العرش ، ذكر ذلك الشيخ محمد الشنقيطي ، وأضاف إليه ، أن صفة الاستواء التي كثر فيها الخوض ، ونفاها كثير من الناس بفلسفة منطقية ، وأدلة جدلية ، وردَّ عليها بالآتي : إن هذا الربط ، بين لو واللام ، كاذب كاذب كاذب ، بل هو مستو على عرشه ، كما قال ، من غير مشابهة للحوادث ، كما أن سائر صفاته واقعة ، كما قال ، من غير مشابهة للخلق ، ولا يلزم من استوائه على عرشه ، كما قال ، أن يشبه شيئاً من المخلوقين في صفاتهم البتة بل استوائه صفة من صفاته ، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق كما أن ذاته منزهة عن مشابهة ذوات الخلق ² .

1 - كتاب الإبانة عن أصول الديانة ، للأشعري ، المتصدر السابق ، ص 333 - 334 .
2 - منهج ودرجات لأبواب الأسماء والصفات ، المصدر السابق ، ص 259 - 260 .

ونقف ، على ما قاله الإمام الأشعري نفسه ، حول الصفات : " وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن الممارسة ، والاستقرار ، والتمكن ، والحلول والاتصال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومفهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيد قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ؛ كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد " ¹ .

ومع هذا القول الواضح الجلي للإمام الأشعري ، يعتبر الشيخ الشنقيطي أن الأشاعرة من المؤولين للصفات ، وخاصة الاستواء ونقل تشبيه الإمام ابن القيم لهم بأنهم كاليهود الذين زادوا نونا في قوله تعالى لهم : { وقولوا حطة } وقد سمى الله ذلك تبديلاً والأشاعرة زادوا لآماً لكلمة استوى ، فقالوا استولى ، (فانظر ما أشبه لاهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها) ² .

نقل إلينا الشيخ عبد السلام التاجوري (ت 1139 هـ) في تذييل المعيار بعض مقتطفات من كتاب إفاضة العلام في مسألة الكلام في تحقيق النزاع بين الأشعرية والحنابلة ³ . وقد أشار فيه إلى ما قاله ابن القيم في رده على الأشعرية حيث قال : إنهم تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله ، وتنطعوا في فهمه ، ولم يتلقوه بالقبول ، كما فعل من أخلص إيمانه من السلف الصالح ، حتى وقعوا فيما وقع فيه من قبلنا من الأمم ، من تنطعهم على أنبيائهم ، وقال : فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع ، فاليهود أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا : حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : حنطة ، فزادوا

1 - كتاب الإبانة عن أصول الديانة ، للأشعري ، المتصدر السابق ، ص 2721 .
2 - منهج ودرجات لأبواب الأسماء والصفات ، المصدر السابق ، ص 263 .
3 - الكتاب من تأليف الشيخ عبد إبراهيم القرشي أحد علماء الشافعية ، (ت 1102 هـ) وقد نقل كلامه الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري ، أحد علماء ليبيا ، في كتابه تذييل المعيار ، ص 5 / 365 . تحقيق / جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا ، 2008 م ، واحتلت في نقل على رخصة أبي سالم العباسي .

التون تنطعا ، وتقولوا على الله ما لم يقله ، والأشعرية كذلك ، قال الله تعالى { الرحمن على العرش استوى } فتنتطعوا وقالوا : استولى فزادوا اللام تنطعا¹ .

وما رواه الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : { ادخلوا الباب سجدا } قال : { دخلوا مَرَحَّيْنِ على أوراكم ، أي منحرفين } وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم { فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم } قال : { قالوا حبة في شعيرة }² ، وهذا مخالف لما نقل عن ابن القيم .

ورد الملا إبراهيم على ابن القيم ، فقال : " ولقد أساء سامحه الله الخطاب ، وتكبد بمحض العصبية الصواب ، فإن الأشعرية ، رضى الله عنهم ، لم يجحدوا استوى ، ولم يمتنعوا من قوله ، بل قالوا : استوى وبه يقرءون ، ويتقربون إلى الله تعالى ، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله ، فقال معنى استوى استولى ، لورود اللفظين معا في لغة العرب بمعنى واحد كقوله :-

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة ، هي التي أوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه ، وإلا فالكل على هدى ، إن شاء الله ، فيما يظهر الآن ، لأن المفوض مسلم لمراد الله ، تارك لما يكلف بعلمه ، والمناوول متبع لما علم صحته ، وثبوته من الكتاب والسنة ، حامل عليه ما لم يتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد ، ولا يسرع إلى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب ، فيشبهه له ، فالتأويل لأجل هذا حسن ، لأنه حراسة عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده " ³ .

¹ - نقول المجرى ، فليجوز بعد التمام الدخول ، المصدر السابق ، ص 368 / 5 .
² - نقول المجرى ، المجمع الصحيح ، المصدر السابق ، أبواب تفسير القرآن ، حديث رقم 4032 ، ص 273 / 4 ، طبعة دار الفكر .
³ - نقول المجرى ، المصدر السابق ، ص 290 - 270 / 5 .

فأنت ترى هذا الفقيه الشافعي كيف حاول التقريب بين الفريقين وهو ما قام عليه كتابه المذكور ، وبين أن مخالفة الأشعرية دون مخالفة اليهود بالقول والفعل ، ويدلل على رأيه بسلامة العقيدة الأشعرية بالقول : " فإذا سمع قاصر الفهم [استوى] لم يبادر إلى فهمه إلا المعنى المستحيل ، فإذا سمع قول العالم : معناه [استولى] عليه القهر والغلبة ، زالت تلك الشبهة من قلبه ، وهذا الذي أولنا به الاستواء ، وإن لم يكن هو مراد الله ورسوله ، فهو لا شك معنى ثابت لله ، منصف به ، لا يتنافى ما هو معناه عند الله ، فلا كبير ضرر في ذلك ولا تحكم ، إذ لم نقل ليس له معنى إلا هذا ، بل نقول : يحتمل أن يكون معناه هذا ، وهذا صدق لأنه محتمل¹ .

ونقل عن الإمام ابن أبي زيد القيرواني قوله في الرسالة (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته)² ، فنلقفها الحنابلة واعتبروها تأييدا لرايهم ، يقول ابن تيمية على ذلك : " وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة ، ليلحق لجميع المسلمين : لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد ، ولم يرد على ابن أبي زيد في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة " ³ .

ويجد أحد علماء المالكية خلال القرن الحادي عشر يفسر قول الإمام ابن أبي زيد (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته) فيقول : " وفوقه تعالى على عرشه ، فوفية استلاء وملك وعلية وقهر ، كقولك السيد فوق عبده ، لأن المالك فوق المملوك ، والخالق فوق المخلوق ، فهي راجعة لمعنى القهر ، وكأن المصنف رحمة الله حاذى بهذا الكلام قوله تعالى { ذو العرش المجيد } فقد قال بعض المحققين : إن ذو بمعنى صاحب لا تسعمل غالبا إلا وصفا لأعلى وأغلب من مضافها ، بخلاف

¹ - نقول المجرى ، المصدر السابق ، ص 370 / 5 .
² - نقول الرسالة ، لابن أبي زيد القيرواني ، ص 126 ، طبعة مكتبة الثقافة ، بيروت .
³ - نقول المجرى ، المجمع الصحيح ، المصدر السابق ، أبواب تفسير القرآن ، حديث رقم 4032 ، ص 273 / 4 ، طبعة دار الفكر .
⁴ - نقول المجرى ، المجمع الصحيح ، المصدر السابق ، أبواب تفسير القرآن ، حديث رقم 4032 ، ص 273 / 4 ، طبعة دار الفكر .
⁵ - نقول المجرى ، المجمع الصحيح ، المصدر السابق ، أبواب تفسير القرآن ، حديث رقم 4032 ، ص 273 / 4 ، طبعة دار الفكر .

صاحب ، ولذا يقال صاحب النبي ولا يقال ذو النبي ، فغير المصنف - رحمه الله - عما أفادته ذو ي فوق ، ويحتمل أن تكون فوقه تعالى بمعنى الشرف والجلال والكمال ، فهي بمعنى المخالفة وعدم المماثلة فيكون راجعة لمعنى التزبه . " 1

يقول الإمام العز بن عبد السلام : " استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن المماساة والاستقرار ، والتمكن والخلول ، فتعالى الله الكبير المتعال ؛ عما يقوله أهل البغي والضلال ، بل لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهرون بقبضته ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا " 2

وختاما تجب الملاحظة على كلام بعض الفقهاء واستعمالهم بعض الألفاظ في المحاجة لا تليق بالعلماء بله بالأفاضل من غيرهم ، فتنبيه قول الأشاعرة بأن اللام في قولهم (استولى) كإضافة النون من قبل اليهود في قولهم (حنطة) فهذا لا يجب أن يقوله مسلم في حق غيره ، إضافة إلى مخالفته لما ورد في حديث الإمام الترمذي المشار إليه ، أما قول الآخر في حديثه عن النزول : " لأن الأشاعرة ينكرون علو الله ، وهذا من طامأنهم التي تدرکہا حتى البهائم .. " 3 فهذا القول لا يليق برجل العلم ، ناهيك عن الإنسان العادي ، فالاختلاف في الرأي لا يوجب نعت الآخرين بنعوت ، قد تعود على صاحبها ، فالأشاعرة ينزهون الله أن يكون في مكان ، والقول بأنهم ينكرون علو الله في غير محله ، لأن الله فوق العلو والسفل والمكان والزمان ، فإذا كان هذا الرأي لا يعجب القائل ، فليكن محترما في كلامه ، ولا يوصف الآخرين من البشر بصفات لا تليق ، أسأل الله الهداية للجميع .

1 - شرح توحيد أرساق ، شرح محمد بن قاسم جوسين (1089 - 1182 هـ) ترجمة وتفريق ، أ - إسماعيل الطوطي ، المطبع الشامي ص 411 - 412 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، الطبعة الأولى 1429 هـ - 2008 م .
2 - رسالة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب ، تأليف سلطان المعتمد العز بن عبد السلام ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشامي (ت 560 هـ) تحقيق أ - عبد الله الطباع ، ص 11 - 12 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، ودار الفكر تحقيق جريدة ، الطبعة الأولى 1425 هـ - 1995 م .
3 - الشريعة ، شرح محمد بن محمد الأحمدي ، حقق المشار سابقا ، سراج مائتي أهل الحديث بشبكة المعلومات الدولية .

أكتفى . بهذا القدر من الآراء المتعلقة بقضايا العقيدة ، وإترك للفارء الكريم الاطلاع ، وتكوين عقيدته وفق ما يرجح لديه من أقوال ، وكما أسلفت أن الجميع الذين يطرحون قضايا العقيدة بمختلف توجهاتهم ، يسهون إلى نقطة واحدة يجمعهم ، وهي قوله تعالى : (ليس كمنله شيء وهو السميع البصير) وبالتالي فهم جميعا ينزهون الله تعالى عن الشبه والتمثل ، ويسلمون بقول الله تعالى ، وما خلافهم إلا جدل في مسائل تناولها الفقهاء القدماء ، قد لا نستفيد منها حاليا ويجب علينا التزبه عن التكفير ، ورمى بعض الفرق بالخروج عن الدين أو الابتعاد عن العقيدة الصحيحة .

وقال المؤلف الشيخ قريو - رحمه الله - لم يجب على بني الإنسان وجوب الأصول إلا الإيمان : لأنه أكتفى به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال { أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله : عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله } فهذا الحديث النبوي ، من أقوى الأدلة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتفى من الأعراب الذين آمنوا به ، بمجرد النطق بالشهادة من غير مطالبتهم بتفصيل العقائد ، ولا ذكر أدلتها ، وهو المعتمد كما لا يخفى .

وأختم بما قاله الرحالة الشيخ أبو سالم العياشي ، ونقله عنه الشيخ عبد السلام التاجوري : " ولقد أحسن شيخنا ، رضي الله عنه ، التوفيق بين كلامهم وكلام الأشعرية ، وبرأهم من كثير مما نسب إليهم متأخروا الأشعرية ، كما أن الأشعرية مبرعون مما نسب إليهم متأخروا الحنابلة من التعطيل والتحريف لكلام الله عن مواضعه ، والكل على هدى إن شاء الله تعالى ، متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة ، يصدق كلام بعضهم بعضا ، ويصدقون كلهم بكلام الله ورسوله ، وهو

مصدقهم وإن اختلفوا في التأويل والتفويض ، فهما طريقان مسلوكان
متتهجان منسوبان معا لأهل السنة والجماعة " 1 .

أرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا الكتاب المفيد ، وفي
تقديمه للقارئ الكريم ، بشيء من الشرح والتعليق ، أملا أن يستفيد
منه كل من يقف عليه ، ويطلع على ما ورد به ، ولقد حاولت أن أكون
محايدا في نقل رأي العلماء الذين وفقت على أقوالهم ، والرأي
المقابل لكل منهم ، فإن وفقت في ذلك فبفضل الله وإعانتة ، وإذا
أخطأت فمني ومن الشيطان ، راجيا من الله المغفرة والثواب وأن
يكون في ميزان الحسنات ، والمغفرة للوالدين إنه الغفور الرحيم
وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين .

الراجي عفو ربه محقق الكتاب

جمعة محمود الزريقي

طرابلس الغرب ، الجمعة 13 جمادى الأولى 1438 هـ الموافق 10
فبراير 2017 م .

1 - تنزيل المعيار ، المصدر السابق ، ص 371 / 5 . ويشير الشيخ العياشي إلى كتاب إفضة العلام في مسألة الكلام ، في تحقيق
النزاع بين الأشعرية والحنابلة ، من تأليف الشيخ الملا إبراهيم الكردي ،

النسخ المعتمد عليها في تحقيق النص

اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاثة مصادر تراثية من أعمال
الشيخ محمد مفتاح قريو - رحمه الله - وهي مختلفة منها المطبوع
ومنها المخطوط ، فكانت على النحو التالي :-

أولاً : كتاب شرح لب العقائد الصغير

طُبعت للشَّيخ قُربو في السابق بعض المؤلفات في مجالات متعددة، منها كتاب "لب العقائد الصغير" ¹، وهو من الحجم الصغير يضم 165 صفحة، تتضمن النظم الذي صاغه تحت هذا العنوان (لب العقائد)، ويتكون من مقدمة و 70 بيتاً من بحر الرجز، وشرح لهذه الأبيات، يبدأ ببيان حد علم التوحيد والحكم العقلي وأقسامه، ثم مبحث الإلهيات، ومبحث النبوات، ومبحث السمعيات، وما تضم هذه المباحث من مسائل وموضوعات، وقد تولى شرح هذه المنظومة بعبارة واضحة، فأصبحت معلوماتها ميسورة للقراء على مختلف مستوياتهم ².

يضم الكتاب أيضا منظومة الفرق الكلامية في الأمة الإسلامية ، وهي اثنان وثلاثون بيتا من بحر الرجز ، وعليها هوامش يفسر فيها بعض ما ورد في النظم من مصطلحات ، وهي من صميم علم الكلام إذ تناول فيها بعض أقوال هذه الفرق وشيئا من تاريخهم ، ولم ينشر إليها الدكتور السانح حسين في رسالته القِّمّة " جهود العلماء اليبسين في علم الكلام " ولكنه أشار إلى كتابه " شرح لب العقائد الصغير " ونقل منه بعض النصوص ، وألمح إلى كتابه هذا " لب العقائد الكبير " في معرض استعراضه لمؤلفات علماء ليبيا خلال القرون الماضية دون أن يذكر عنه شيئا من المعلومات .

قال الشيخ قريو في نظم الفرق الكلامية :-

بِأَسْوَءِ مَا سَأَلَ عَنْ فِرْقِ الْكَلَامِ * مَنِ بَدَأَ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ
فَلَمْ تَكُنْ فِي زَمَنِ الْعَدْنَانِي * وَنَعْدَ مَوْتِ سَيِّدِي عُمَانَ
بَدَأَ ثَلَاثُ فِرْقٍ مُتَبَدِّلَةٍ * خَوَارِجٌ وَشِيعَةٌ وَمُرْجَانَةٌ
وَجَاءَ فِي خِلَافَةِ الْمَرَاوَةِ * طَوَائِفُ ثَلَاثَةٍ مَكُونَةٍ
جَبَرِيَّةٌ قَدْرَةٌ وَمُخْلِصَةٌ * كَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَاقَهُمْ مَخْلُصَةٌ
وَقَالَ فِي آخِرِهِ قَبْلَ الْخَتْمِ :-

وَلَيْسَ يُوجَدُ مِنَ الْخَوَارِجِ * إِلَّا الْأَبَاطِيَّةُ ذَوْنَ خَرَجٍ
وَيُوجَدُ السَّعَةِ فِي الْبِلَادِ * يَكْثُرُهُ عَلَى مَدَى الْأَرْصَانِ
كَقَوْمِ زَيْدٍ وَالْإِمَامِيَّاتِ * إِسْمَاعِيلِيَّاتٍ نُصَيْرِيَّاتِ
وَبَائِيَّاتٍ وَهَاشِيَّاتِ * قُدْبَائِيَّاتٍ وَدُرُزِيَّاتِ
وَكُلٌّ مِنْ جَارُوا عَلَى الْآثَانِ * حَمَعْنَهُمْ حَمَعَ الْمُؤَثَّنِ
أَفْرَبَهُمْ فِي الْفِكْرِ لِلْجَمْهُورِ * أَنْعَامِ زَيْدٍ بِنِ عَلَى الْمَذْكُورِ

ثم تناول فيها آراء تلك الفرق في هامش النظم بما أضفى عليه شيئا من الشرح الذي جعله مفهوما رغم الاختصار الذي صاحبه . ويعتبر شرحه لكتابه لب العقائد الصغير ولنظم الفرق الإسلامية مدخلا مهما لفهم وتحقيق نظم لب العقائد الكبير .

والنظم الذي يضمه كتاب شرح لب العقائد الصغير : مختصر من كتاب شرح لب العقائد الكبير ، فقد أشار إليه الشيخ محمد مفاتيح قريو في نظمه المختصر في آخر بيت بقوله : -

[illegible]

١- تأليف دار ومكتبة العلماء - مصر سنة ١٩٩٥
٢- جريدة العلماء النسخة في عام ١٩٩٠ - الأستاذ الدكتور الشيخ علي حبيب - جريدة ٨٨ - من ١٩٩١ - طبع جامعة القاهرة
٣- الأستاذ الدكتور الشيخ - ناصر الأحمد الشاذلي - الهيئة العامة للإعلام ١٩٩٠ من ٢٠٠٠ - طبع تأليف - ليبيا

سَمَّيْتُهُ لِبَّ الْعَقَائِدِ الصَّغِيرِ * مُخْتَصِرًا مِنْ نَظْمٍ لَهَا الْكَبِيرُ¹

وذلك يكون مصدرا مهما في تحقيق الشرح الكبير خاصة وأن شروحه وتعليقات الشيخ وردت في الكبير مع الإضافة عليها ، لهذا اعتبرته نسخة أولى من الكتاب المحقق .

ثانيا : كتاب كشكول الفنون .

لم يكن عمله السابق هو الوحيد في ميدان علم الكلام ، فقد وقفت على كتاب آخر ضمنه بعض المنظومات المتعلقة بهذا الفن ، وهو كتاب " كشكول الفنون في الصواب والفوائد والقواعد والامتون " لا يزال مخطوطا لم يحقق بعد² ، وهو - كما يلاحظ من العنوان - كتاب جامع لعدة فنون . ومما ورد فيه ويتعلق بعلم الكلام ، ما يأتي :-

- 1 - نظم شروط التكليف وما يتعلق بها . 12 بيت من بحر الرجز .
- 2 - نظم أفعال العباد وما يتعلق بها . 17 بيت من بحر الرجز .
- 3 - نظم الفناء والقدر والاختيار . 8 أبيات من بحر الرجز .
- 4 - نظم الرسل الخمسة والعشرين . 8 أبيات من بحر الرجز .
- 5 - نظم اندراج العقائد تحت الشهادتين . 25 بيت من بحر الرجز .
- 6 - نظم الطوائف المنطرفة في التوحيد والاعتقاد . 13 بيت من بحر الرجز .
- 7 - نظم أسماء مطلقة لبعض أئمة التوحيد . 9 أبيات من بحر الرجز .

إلى جانب ذلك توجد بالكتاب منظومات أخرى لها علاقة بالعقيدة لتناولها مسائل داخلية في مباحثها ، وأقتصرت على أهمها بياناً لجهوده في هذا الميدان . لهذا اعتبرته معينا لي في تحقيق الشرح الكبير خاصة وأنه قد أحال عليه في بعض المسائل .

¹ - تراجعت في المطب الصغرى - المتضمنة للمجلد 1 من 259
² - وهذا على نسخة منه كتبها من إهداء الشيخ فريو ، السيد الشيخ جلال الهاشمي طاب الله فرطه ، المتضمنة على صورة ضوئية أحفظها لي في مكتبي

ثالثا : النسخة الوحيدة التي تشتمل على نص الكتاب

بكامله ومصدرها - كما أسلفت - الدكتور عبد الله مليطان ، هي صورة مصورة عن الأصل ، وقد تبين أن خطها من كتابة الشيخ فريو¹ ، وهو خط جميل واضح ومفروق ، وعدد صفحاته مائة وأربعون صفحة من الحجم الكبير وعدد أسطر كل صفحة خمسة وعشرون سطرا ، عدا الغلاف والصفحة الأخيرة ، وصفحاته مرقمة من أعلى ، وفيها من أسفل ما يدل على تنابع الصفحات بالطريقة القديمة المعروفة في المخطوطات ، وهي كتابة أول كلمة في الصفحة الموالية تحت آخر سطر في الصفحة السابقة .

هذه النسخة هي مصورة (ضوئية) عن الأصل وفيها ما يدل على أن الكتاب من مؤلفات الشيخ محمد مفتاح فريو ، فقد جاء في صفحة الغلاف اسم الكتاب (ميدان الفوائد على النظم المسمى لب العقائد ، كلاهما لمؤلفهما محمد مفتاح فريو) - أي النظم والشرح - يضاف إلى ذلك أن الأبيات التي وردت في النظم ؛ تضمنت الأبيات التي وردت في شرح لب العقائد الصغير المطبوع والمنشور سابقا ، وأن بعض شروحه وردت أيضا في الشرح الكبير ، الخلاف فقط في عدد الأبيات ، ففي الصغير سبعون بيتا وفي الكبير 102 بيتا ، وذلك ما يؤكد نسبة الكتاب إليه .

عملى في تحقيق النص

شرعت في رفن النص على جهاز الكمبيوتر من النسخة المصورة بالاستعانة بكتاب شرح لب العقائد الصغير لضبط النص (الأبيات والشرح) وفي أكثر النصوص تجد تطابقا بين النصين في السبعين بيتا التي وردت في لب العقائد الصغير ، وكذلك الشروح ، فيما عدا بعض الأبيات وقع فيها التغيير ، فأشرت إلى ذلك في الهامش ، واستعنت أيضا

¹ - وقد اطلاع عليها الأستاذ الدكتور عبد الحكيم أبو زيد ، وكذلك الشيخ محمد الجبري ، من مصادرنا - وقد شهدا بأن الصورة تمثل الشرح محمد مفتاح فريو ، رحمه الله

بكتاب (كشكول الفنون) وهو من مؤلفات الشيخ فيما أحال به عليه سواء ذكره بالنص أو ألمح إليه ، وذلك فيما يتعلق بالتوحيد والعقيدة .

قامت أيضا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها وبيانها في الهامش ، كما ترجمت للأعلام الذي ورد ذكرهم بالعودة إلى كتب التراجم ، وعدت إلى كافة المصادر والمراجع التي نقل منها أو أشار إليها إذا استعان بها في الكتاب ، للتأكد من النقل أو ذكر المعلومة فيها ، علما بأن أغلب الآيات الشعرية التي وردت في الكتاب هي من بحر الرجز ، إلى جانب ذلك التعليق على بعض النصوص أو الآراء التي وردت به إذا رأيت فائدة لذلك .

لم يعنون المؤلف كل المسائل التي وردت به ، ولكنه وضع بعضها في الفصول والمباحث ، وتسهيلا للقارئ الكريم في دراسة الكتاب أو البحث فيه ، رأيت وضع عناوين لبعض الفقرات والمسائل المهمة التي تستحق إبرازها في الكتاب ، وهذا هو الأسلوب الذي يخدم النص ويجعل من المحقق - كما يقال - شريكا مع المؤلف في إظهار الكتاب ونشره مبسرا لكل من يطلع عليه ، والله أرجو أن يتقبل عمله وعملي ويجعله في ميزان الحسنات ، والحمد لله رب العالمين .

وقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مصادر عديدة من أهمها القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المتضمنة للسنة النبوية الشريفة ، وكتب العقيدة التي هي من مؤلفات علماء المالكية ، ومن أهمها أم البراهين للإمام السنوسي وشروحه ، وكتب الشيخ مباركة في شرح منظومة ابن عاشر ، وخريدة التوحيد للشيخ الدردير ، إضافة إلى كتب التاريخ والفلسفة والفرق الإسلامية ، وما كتب في العقائد الإسلامية ، ويبدو أن المؤلف على اطلاع واسع في هذا المجال .

عدت إلى الكثير من المصادر التي استعان بها المؤلف أو نقل منها وأحيانا يشير إليها للتأكد من النقول التي ضمنها كتابه (ميدان الفوائد على النظم المسمى بلب العقائد) وخرجت كل ما ذكره بإبراز اسم

الكتاب والمؤلف والبيانات المتعلقة بالمصدر ، من دار النشر والبلد والسنة والمحقق إن وجد ، والناشر ، ورقم الصفحة والجزء الذي نقل منه ، كل ذلك من أجل التأكد من صحة النقل أو الاقياس من المصدر وهذا مما يجب على المحقق أن يقوم به ، علما بأن بعض مصادره لم أقف عليها مطبوعة بل مخطوطة استعنت بالوسائل الحديثة لنقلها من شبكة المعلومات الدولية من أجل المطابقة في المعلومات ، ولكن أغلب مصادره وقفت عليها مطبوعة والحمد لله رب العالمين .

وأدرج بآخر الكتاب عدة فهارس فكانت على النحو التالي :-

الفهرس الأول : الآيات القرآنية الكريمة .

الفهرس الثاني : الأحاديث القدسية .

الفهرس الثالث : الأحاديث النبوية الشريفة .

الفهرس الرابع : فهرس الأعلام المذكورين في النص المحقق .

الفهرس الخامس : الحكم والقواعد والأمثال والشواهد التاريخية

الفهرس السادس : الكتب والمؤلفات المذكورة في النص .

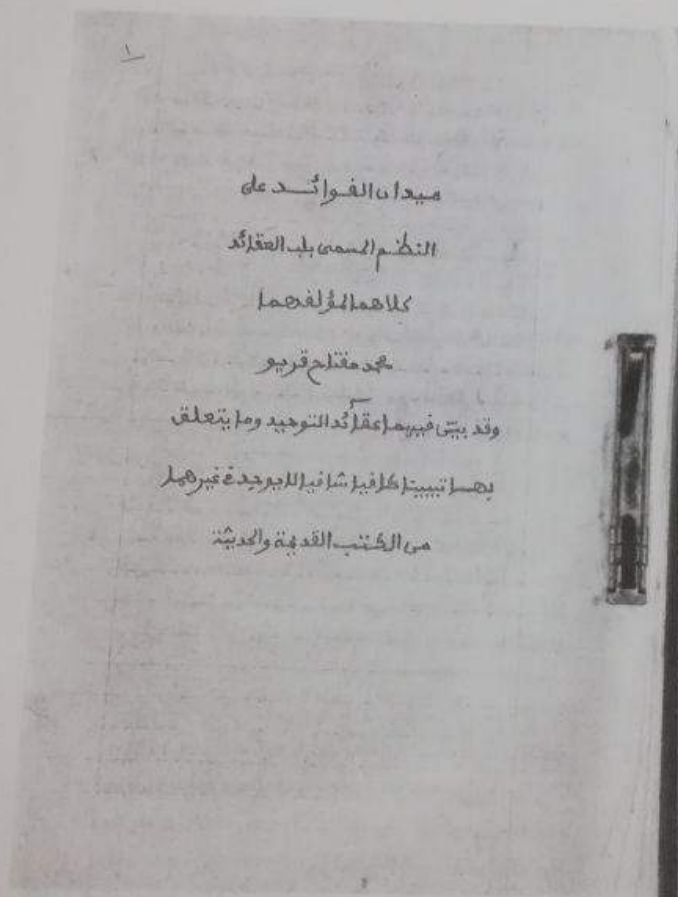
الفهرس السابع ، الطوائف والجماعات والأهالي .

الفهرس الثامن : الأماكن والبلدان والمواقع .

الفهرس التاسع: المصادر التي تمت الاستعانة بها في التحقيق والدراسة

الفهرس الأخير : المواضيع التي وردت في الكتاب .

والحمد لله رب العالمين



صورة الغلاف وعليها اسم الكتاب والمؤلف بخطه

صور المخطوطات مصادر التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وفيه استعصى
 الحمد لله الذي جعل كلمة الخلاص مفتاح الجنة وجعل اجمع المذاهب
 في التوحيد مذهب اهل السنة واشهد ان لا اله الا الله وحده
 لا شريك له شهادة تدخره اليوم لا يتفزع فيه مال ولا بنون
 واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد بجميع
 الخلق انس وجن عرب وعجم احرار وعبيد هاهنا الله عليه وعلى
 آله واصحابه الذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
 انزل معه اولئك هم المفلحون
 وبعد فهذه اشرح لتفهم هذا المسمى بلب العقل اذ هو يبين معناه
 ويوضح ما اشار اليه من القوائد وسميته ميذا القوائد
 على لب العقل اذ هو الله اسأل ان يتفزع به كل من قرأه لو كتبه
 او اقتنأه من المؤمنين وان يعينته على اتعلمه انه نعم المنافع
 ونعم المعين قلت في المتنى

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله وعلى الله وعلى نبينا وعلى تلاميذه
 وأقول الخلاص على البسطة والحمد لله والحمد لله والحمد لله
 الانعام شريرو وكثير حتى افرد بعض العلماء بالتأليف فلا
 تطيل بذكره في هذا الشرح فمن اراد البحث في هذه الثلاثة فعليه
 بالتحقيق المطولة ثم قلت

وهذه عقائد التوحيد في رجز مختصر مقيد
 اسم الاشارة عائد على العبارات المعقولة المستحضرة في الذهني
 لتتميز بها منزلة المحسوس والمعنى ان هذه العبارات التي اردت
 جمعها في هذا النظم هي عقائد التوحيد بحال كونها مؤلفة في
 رجز اي نظم موزون على بحر الرجز الذي اجزاؤه مستفعلات ست صرات
 مختصرا قليل اللفظ كثير المعنى مقيدا اي يقيد الله من قرأه بسببه
 لسهولة

لناذ ثوبنا وكفرنا سينا تنار و توفنا مع الابرار و يتلو: انتا
ما وعدتنا على وسلف والقرن تاليوم القيامة انت الخلف الميعاد
صدق الله العظيم

وكان الفراغ من تنقيح كتابه عشية الأربعاء
الثالث والعشرين من شعبان سنة ثمان
مستمدة وتسعين وثمانمائة والف
هجيرة على صاحبها افضل

الحمد لله واكثره

الحقبة

نعم أبيت النظم ملاحقة ويتنزل الغير

صورة الصفحة الأخيرة من الكتاب

« عالم الغيباء والعز والاضيقار »

تعالى العلم بما قد سبقنا في العلم له ان كان متعلما

منه من اقصى ومنه من اقصى : من اقصى من اقصى

وان يعلق به حذرة ، فهو في ضلالة الفناء

وإنما الغلبة لله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

ثُمَّ بَدَأَ يَتَعَفَّيْنا وَنَحْنُ ذَاهِبَةٌ ۖ فَرَأَيْنَا أَكْبَادًا يَرْفَعُونَ

قاله هو الفاعل والقمار " حتى لعلنا وجدنا القمار

اذن هو هذا القصار والاعتدال مع القصار والاعتدال مع القصار

میں کی ما فیہ اتمیل ایچٹنا، فیہ اتمیل ایچٹنا، بالوفا

تقديم المؤلف

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين

و قد تم في سنة ١٢٩٥ هـ : الحفائر والنحو والنقوش

قسم اول: اوست، دواخ، شعور، وصال، ابراهيم، و...

كذلك انما اجمعوا على انهم انما يسمون بغير يوسف الفقيه

أبو عبد الله الفيلسوف المشهور في عصره من الأندلس

تحت القاسم وفيه السبع اونس داود سلطنا

وكتبه ابي عبد الله في سنة ١٠٠٠

عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَبِشَاوَا وَتَعْبِ الْبَشَارِ

31

نظم القضاء والقدر والاختيار ، ونظم الرسل الخمسة والعشرون

و جسد القدر الفلانی اور - بنویسند، نه انجمنی و تحقیق

وَقَدْ اَتَيْتُكَ بِهَذِهِ الْاَنْبِيَاءِ الْكَلِمَاتِ وَنَسِيتُ عَنْكَ حُرُوفَاتِ

وَأَقْرَبُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ : إِلَى الْوَيْسِيِّ سَلَامٌ

و بعد از آنکه در آنجا رسیدند

فقطیم او صاوات و احوال و خبر و اخبار
و ما یستغفر

جعل الله امره مع السالكين الصالحين

هذا هو حرام في امور العقيدة و في صحة وجود النفس في جسمي

وَقَدْ أَخَذَ الْيَهُودُ مِنَ الْكِتَابِ وَلَمْ

فَأَمَّا بِيَوْمِ الْقِيَامِ فَكَانَ أَهْلُهَا كَذِبًا

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

في

1891

[Faint handwritten notes]

نصف اسفند ۱۳۰۲
کتابخانه آستان قدس

عند المذبح - رتبة في المذبح لخدمة القديسة

وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّهُ بِأَعْيُنِنَا هَاهُنَا مُتَعِدًّا

فأشبهوا بالبرق الذي يضيء في سماء الليل

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

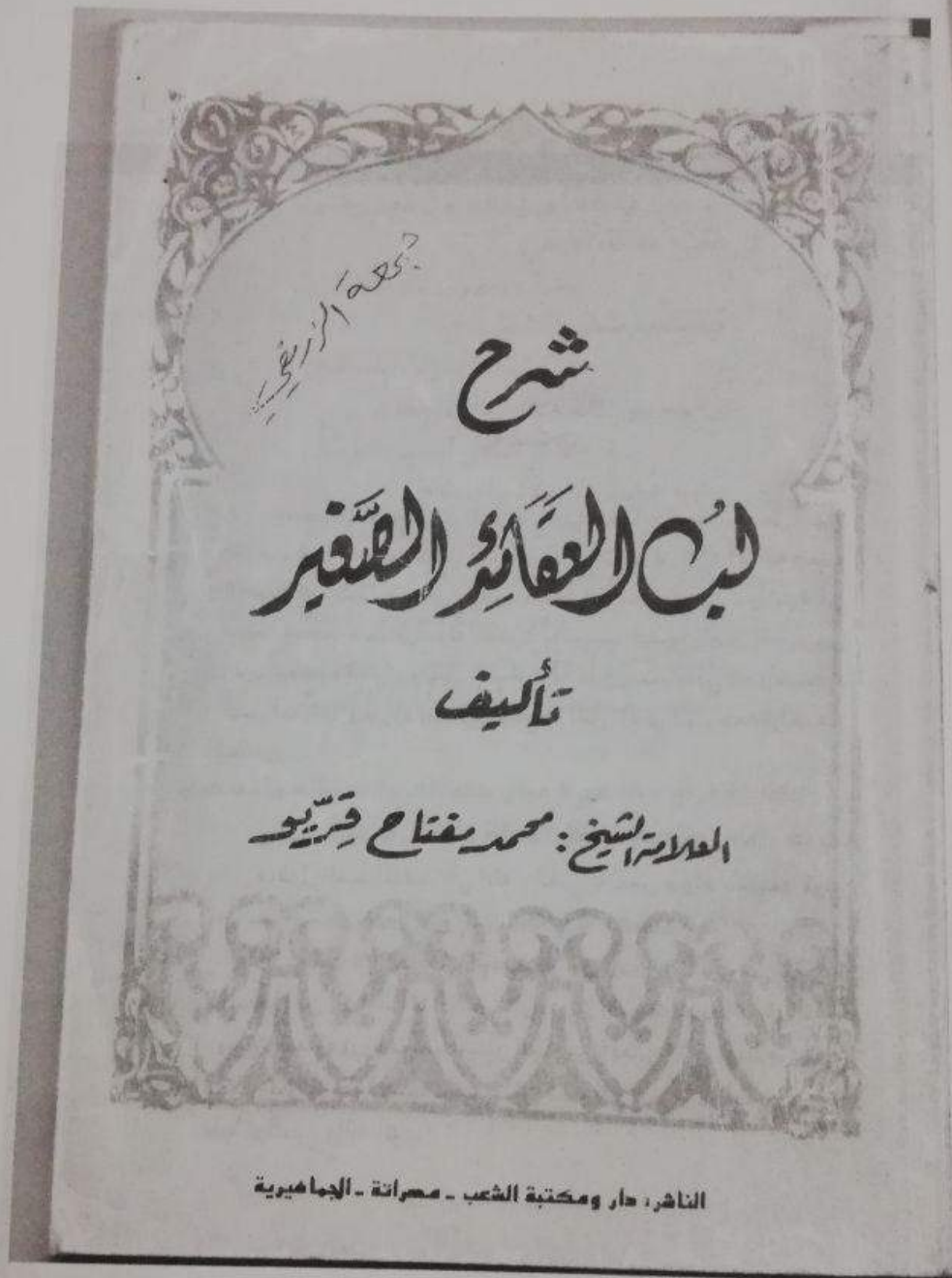
وحيار شتم من الإسلام في العالمين وحق الزمان

[illegible]

أئمة التوحيد

100

نظم بعض أسماء أئمة التوحيد



صورة غلاف كتاب شرح لب العقائد الصغیر

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد مفتاح الجنة ، وجعل أصبح
الذهاب في التوحيد مذهب أهل السنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، شهادة تدخرها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . وأشهد أن
سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد لجميع الخلق إنس وجن
وعرب وعجم ، أحرار وعبيد . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه
الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم
المفلحون .

وبعد :

فيقول العبد الفقير إلى الله ، الغني به عمن سواه ، محمد قريو
ابن مفتاح ، بن محمد قريو الجد الفلاح :

لما نظمت لب العقائد الصغير ، ورأيت أنه أنسب في القراءة
للمبتدئين من لب العقائد الكبير ، أردت أن أشرحه شرحاً يحل الغائبة
، ويبين معناه ويوضح ما أشار إليه من المعنى الذي أردناه ، ليكون
مفيداً لكل من قرأه بنية حسنة - إن شاء الله - ، وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت ، وإليه أنيب .

ثم قلت :
وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ الْكَرَامِ
وَقَدْ مَضَى إِرسَالُهُم إِلَى الْأَنَامِ

وأقول :
يجب الإيمان بالرسول الكرام ، الذين تقدم ذكرهم في إرسال
الرسول للأنام - أي للخلائق - وقد مضى البحث عنه في بعث الرسول .
عليهم الصلاة والسلام - فلا تغفل .

ثم قلت :
وَيَمِجُّ الْيَوْمَ الْآخِرَ الشَّدِيدُ
وَهُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَضَا بَيْنَ الْعَبِيدِ

وأقول :
(ويمجئ) الواو للعطف ، داخل على محذوف ، أي : ويجب
الإيمان بمجيئ اليوم الآخر ، الذي هو يوم القيامة .

وقولنا : (الآخر) يقرأ بالدرج ، أي بالفتحة المنقولة من الهمزة
التي بعدها ك (بئس الاسم) .

وقولنا : (الشديد) نعت للآخر ، وسكن للروي .

وقولنا : (وهو الذي فيه القضا .. إلخ) بيان لمعنى اليوم الآخر ،
كما لا يخفى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة الإخلاص مفتاح الجنة ، وجعل أصح المذاهب في التوحيد مذهب أهل السنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نذكرها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد ، لجميع الخلق : أنس وجن ، عرب وعجم ، أحرار وعبيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون .

[تعريف الكتاب]

وبعد ، فهذا شرح لنظمنا المسمى (بَلْبُ الْعَقَائِدِ) يبين معناه ويوضح ما أشار إليه من الفوائد ، وسميته (ميدانُ القَوَائِدِ عَلَى لُبِّ الْعَقَائِدِ) والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه ، أو كتبه ، أو اقتناه من المؤمنين ، وأن يعيتنا على إتمامه ، إنه نعم النافع ونعم المعين .
قلت في المتن : -

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) - الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ * عَلَى نَبِيِّنَا وَمَنْ تَلَّاهُ¹

وأقول : الكلام على البسملة والحمدلة ، والصلاة والسلام على سيد الأنام ، شهير وكثير حتى أفرد به بعض العلماء بالتأليف ، فلا نطيل بذكره في هذا الشرح ، فمن أراد البحث عن هذه الثلاثة ، فعليه بالكتب المطبولة²

¹ - إن أول بيت في كتاب لب العقائد الصغير هو : أحمد زين وأحمد ليد * على النبي ومن بعده اهتدى ، وهو يقع في التعبير من البيت الوارد في المتن ، وإن كان الخطأ ولعدا ، لب العقائد الصغير ، من 4 .
² - هناك 62 كتاب من الكتب الفقهية التي ورد فيها شرح البسملة والحمدلة ، وأكثر إلى بعضها : منها شرح العلامة الشيخ أحمد زروق على متن رسالة ابن أبي زينة القيرواني ، طبعة دار الفكر ، 1402 هـ / 1982 م ، من 4 - 5 ، ومنها شرح العلامة قاسم بن دغلي

ثم قلت : -

(2) - هَذِهِ عَقَائِدُ التَّوْحِيدِ * فِي رَجَزٍ مُخْتَصِرٍ مُفِيدٍ

اسم الإشارة عائد على العبارات المعقولة المستحضرة في الذهن لتنزيلها منزلة المحسوس ، والمعنى أن هذه العبارات التي أردت جمعها في هذا النظم : هي عقائد التوحيد كونها مؤلفة في رَجَزٍ ، أي نظم موزون على بحر الرجز الذي أجزأوه : مُسْتَفِيدٌ ست مرات مختصر : أي قليل اللغة كثير المعنى ، مفيد : أي يُفيد من قرأه بسببه (ص 2) . لسهولة ووضوحه .

مقدمة

قد نص العلماء على أن المقدمة مقدمتان : الأولى مقدمة علم ، وهي عبارة عن المبادئ العشرة المنظومة في قول بعضهم : -

إِنَّ مَبَادِ كُلِّ فَنٍ عَشْرَةٌ * الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ
وَقَضْلُهُ وَتَسْبِيهِ وَالْوَاضِعُ * وَالْإِسْمُ الْإِسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعِ
مَسَائِلُ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى * وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَارَ الشَّرْقُ

فهذه المبادئ العشرة ينبغي لكل شارح في فن أن يعرفها ليكون على بصيرة فيه ، وإذا أراد الاختصار على بعضها ، فينبغي له أن يقتصر على معرفة : الحد ، والثمره ، والواضع ، لأن هذه الثلاثة هي أهم المبادئ العشرة عندهم ، ولذلك نظمناها في بيتين .

فقلت : -

أَهْمُ جُمْلَةِ الْمَبَادِي الْعَشْرَةِ * نَظَمْتُهَا فِي حَدِّهِ وَثَمَرِهِ

التوحي . على متن الرسالة لهذا ، منشورة مع الشرح السابق في الطبعة المصغرة ، من 5 ، أهدأ ما ورد في كتاب البهجة في شرح التحفة ، لأبي الحسن علي بن عبد السلام التتوي على لغة الحكم لأن عاصم الأندلسي ، ط 1 دار فؤاد الحديثة - د ت - المطب الأول ، من 3 - 4 ، وبها شرح الإمام أبي عبد الله التتوي ، المسمى بخطي المعاصم ليدت هارون عاصم - من 5 - 7 ، وهذه الشروح تضمنت لتفسير معنى البسملة والحمدلة .
¹ الألفاظ مأخوذة للشيخ محمد بن علي الصديق ، (ما 3208 هـ) كتاب جامع زوائد الزيادة في شرح نظم الأبرار ومبدأ شبكة المنظومات الأولية للملكة الشاملة ، وموقع ويكيبيديا العربية ، 2016/9/30 .

وَوَاصِعٌ وَبَعْضُهُمْ قَدْ اكْتَفَى * يَهْدُو عَنْ التَّوَاقِي قَاعَرُفَا

[تعريف علم التوحيد]

ولذلك أريد الإقصار عليها ، فأقول : حد علم التوحيد ، أي تعريفه الذي يشرح ماهيته ، وبين حقيقته ، هو علم بأصول وقواعد يبحث فيه عما يجب وما يستحيل ، وما يجوز في حق الله تعالى ، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام ، وعن السمعيات التي أخبر بها سيد الكائنات وتمرنه ، أي فائدته : هي معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام ، ومعرفة الفوز بدخول الجنان إن شاء الله تعالى .

على الإيمان ، وفي الآخرة الفوز بدخول الجنان إن شاء الله تعالى .
وواصله أبو الحسن الأشعري¹ وأبو منصور الماتريدي² في أول القرن الرابع الهجري ، لأن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يأخذون عقائد التوحيد من الكتاب والسنة ، وكانوا على طريقة واحدة فيها ، فلم يختلفوا في شيء منها ، وكانوا إذا وجدوا في الكتاب أو في السنة شيئا يوهم ظاهره تشبيه الله تعالى بالحوادث ، أولوه وصرفوه عن ظاهره إلى معنى لائق بقله العقل ، ووقصوا المعنى المراد منه إلى الله تعالى (ص 3) .

واستمروا على ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، وكذلك في أول عهد علي كرم الله وجهه³ ولما وقع التحكيم أحدث الخوارج القول بأن جميع الذنوب كبائر ، وأن كل كبيرة مكفرة ، وأن المسلم إذا ارتكب كبيرة يكفر ويخلد في النار وصاروا يكفرون الناس بالذنوب⁴ .

1 - ولد الأشعري في سنة 276 هـ ، وصار من أهل القدر والاجتهاد ، وكان تلميذاً لأبي علي الجبلي المعزلي ، ثم ترك مذهبه ومال إلى مذهب أهل السنة ، وتكون عقائد التوحيد ، له مؤلفات . توفي سنة 330 هـ ، معجم المؤلفين ، لعمر رمضان كندة ، مكتبة المتقي بغان ، وجاز أحياء التراث بيروت ، ص 735 ، وترجم له المؤلف في كتابه شرح لب العقائد الصغير ، ص 9 .
2 - ولد الماتريدي في أواسط القرن الثالث الهجري ، بغزة مشرب من أصل سمرقند ، وصار من أهل العلم والاجتهاد ، وقد ألف في علم الكلام عدة كتب في الرد على المعتزلة ، وتوفي سنة 333 هـ ، معجم المؤلفين ، ص 11/300 ، وترجم له المؤلف أيضاً في شرح لب العقائد الصغير ، ص 10 .
3 - هم خلفاء الراشدين ، رضي الله عنهم ، ترجمته معروفة في مصادر كثيرة ، وهم أشهر من ناز على علم .
4 - كل من خرج عن الإيمان الحق لظفت عليه الجماعة يسمى خارجياً ، وأول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة من كل مع في حرب صفين ، وهم عدا فري ، يجمعهم القول بالشورى من عثمان وعلي ، ويقسمون ذلك على كل طاعة ،

ثم حدث مذهب المُرَجئة (بضم الميم وسكون الراء وكسر الجيم) فخالقوا الخوارج ، وذهبوا إلى أن جميع الذنوب صفائر وأنها لا تضر مرتكبها ما دام مؤمناً ، وقالوا : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة¹ .

[الحسن البصري]

وفي أواخر القرن الأول من الهجرة ظهر الحسن البصري ، وهو من كبار التابعين المجتهدين في الدين ، وكان له مجلس في مسجد البصرة² ، لتعليم العلم ، وكان من تلاميذه واصل بن عطاء³ وقد دخل على الحسن البصري في يوم من الأيام رجل فقال : يا إمام الدين قد ظهر في زماننا جماعة يكفرون بالذنوب ، وجماعة آخرون يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فكيف تحكم لنا ؟ .

فنبطق واصل بن عطاء قبل أن يجيب الحسن البصري عن السؤال وقال : أنا لا أقول إن مرتكب الكبيرة مؤمن خالص ، ولا كافر خالص وإنما منزلة بين المنزلتين ، ولكنه يخلد في النار ، فعندئذ قال الحسن البصري : اعترلنا واصل .

[ظهور فرقة الاعتزال]

ومن ذلك الوقت ترك واصل مجلس الحسن البصري ، وجعل لنفسه مجلساً في مسجد البصرة لتعليم العلم ، وصار يقرر أصولاً في العقائد

ويكفرون أصحاب الكبار ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة : حقا واحداً ، المثل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، (479 - 548 هـ) تحقيق : محمد سيد كيلاني ، المجلد الأول ، ص 114 - 115 ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 1395 هـ / 1975 م . والبصرة : مدينة بالعراق ، لها أخبار كثيرة ووصف لمعالها ، وهي مشهورة ، معجم البلدان ، لياقوت الحموي الرومي البغدادي ، ص 430 - 436 / 1 ، دار صادر بيروت ، 1399 هـ / 1979 م .
1 - أطلق الاسم عليهم لأنهم كانوا يأخرون العمل عن التوبة والعقد ، وكانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وأقبل الأراء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، ومن كونه من أهل الجنة أو أهل النار ، فعلى هذا المرحلة ، والوعية ، فرقان مغايلتان ، المثل والنحل ، للشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 1/139 .
2 - أبو سعيد الحسين بن أبي الحسن البصري ، كان من منادات التابعين وكبرائهم ، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، نشأ بالبصرة ، وتوفي بها في سنة 116 هـ وفیات الأعيان ، لأبي العباس أحمد بن خلكان (ت 681 هـ) ت / د يوسف علي الطويل ، و / د / مريد قاسم الطويل ، ترجمة رقم 156 ، ص 56 - 59 / 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1419 هـ / 1998 م .
3 - أبو خنيفة واصل بن عطاء المعزلي ، كأحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره ، ولد بمدينة المنورة سنة 80 هـ وتوفي سنة 180 هـ ، وأورد ابن خلكان قصة اعتزاله مجلس الحسن البصري ، على أثر خلاف بينه وبين الحسن البصري ، وفیات الأعيان ، المصدر السابق ، ترجمة رقم 768 ، ص 3 - 5 / 8 .

لم يأخذها عن أساتذة الحسن البصري ، فهو رئيس المعتزلة ، وهو أول من سعى معتزلاً ، وقد نبهه كثيرون في حياته وبعد مماته وسميت أتباعه بالمعتزلة ، وأخذوا مذهب الاعتزال الذي يقول بالمعزلة بين المنزلتين ، وقد تنسب مذهبهم حتى أخذوا خلافاً في كثير من (ص 4) العقائد .

وكان وكثرت أتباع وأصل بن عطاء في عهد الدولة العباسية ، وكان معظمهم من فارس¹ واستخرجوا من كتب اليونان المترجمة ما لاقى بحقولهم ، وراق في نظريهم ، وأخذوا ببعض قواعد الفلاسفة الباطلة ونوا عليها كثيراً من العقائد ، وأبداً علماءهم في تأليف الكتب ، وأبدنهم الدولة العباسية حتى غلب رأيهم ، فعندئذ أخذ المتمسكون بمذهب السلف يناضلونهم متمسكين بقوة اليقين ، وإن لم يكن لهم عصم من التاكيد .

[فتنه القول بخلق القرآن]

تم نزول الناس في قول بخلق القرآن ، وقد تخلقت في عهد الأمويين ، وتكامل خلفها في عهد العباسيين ، واشتهر أمرها في عهد المأمون² والمعتصم³ حتى أتهن فيها كثير من العلماء الأجلة ، منهم الإمام أحمد بن حنبل⁴ لامتناعهم عن القول بخلق القرآن ، وما زال الخلاف في عقائد التوحيد يكثر ويتشعب .

¹ - قرأ من « رواية رابعة » ، وأقيم فتح ، أول حادثة أجهل العراق في حياة بحر الهند ، لها ترجمة طويلة في معجم البلدان لياقوت الحموي في نسخة معقولة ومكتوبة ، ومكتوبة بقرص ، من 226 - 228 / 4 .
² - هو المأمون عبد الله بن هارون بن الرشيد ، ولد سنة 170 هـ وتوفي بخلخلة سنة 188 هـ ، وتوفي سنة 238 هـ تاريخ الخلفاء لخطيب جلال الدين السيوطي ، من أشراف العلماء ، عن طبع دار الفكر بيروت لبنان ، د - ث ، ص 284 - 308 .
³ - المصنف بقاء لم يلق معاصر الرشيد ، ولد سنة 178 هـ ، وتوفي بخلخلة سنة 238 هـ ، وتوفي سنة 227 هـ ، تاريخ الخلفاء للمصنف السابق ، من 309 - 315 .
⁴ - ولد بقرص المواقف بكونية العباس في نظام نشر ضمن كتاب فتاوى الشيخ محمد مفتاح فريو وبعض آثاره العلمية ، تحقيق : [جامعة الكويت] ، الطبعة الأولى من 263 - 269 ، نشر جمعية وأبشروا للأبحاث الخيرية - الكويت المحمدي ، مصر 1437 هـ 2016 .
⁵ - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ولد ببغداد سنة 164 هـ وكان إمام الحديث ، صنف كتابه المستدرج في الحديث كثره ، توفي ببغداد سنة 241 هـ ، وفاته الأجل ، المصنف السابق ، ترجمة رقم 20 ، من 87 - 89 / 1 .

[ظهور مذهب أهل السنة في العقائد]

حتى ظهر أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماثريدي في أوائل القرن الرابع الهجري ، فرأى كل منهما أن عقائد السلف قد لعبت بها الأهواء ، فأخذوا في بيانها للناس ، وتناولوا بالطعن المذاهب المخالفة وأبانا فسادها ، واشتغلا بتدوين عقائد التوحيد التي كان عليها السلف فكتبها فيها كتاباً جامعة لم تدون قبل ، لأنه لم يوجد في عقائد التوحيد كتاباً جامعة يطلق عليها علم إلا بعد أن ظهر ما كساه فيها ، وقبل ذلك كانت محفوظة في الصدور لا غير لمة التدوين .

[وقد أصلح الأشعري في ناحية العراق ، وأصلح الماثريدي في ناحية خراسان ، فكانا عوناً لأهل السنة ، وخرباً على غيرهم ، فرجع إليهم سواد كثير ، ولكن الأشعري كان أكثر أتباعاً ، وأعز نقراً]¹ .

[نشأة المذهب الأشعري في العقيدة]²

[ترجمة الإمام الأشعري]

وقد ولد الأشعري في آخر القرن الثالث الهجري ، وصار من أهل العلم والاجتهاد في أول القرن الرابع ، وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي ، ولما تبين له فساد مذهبه تخلى عنه ، ومال إلى مذهب أهل السنة ودون عقائد التوحيد ، التي كان عليها السلف ، فكتب فيها كتاباً جامعة مدعمة بالبراهين ، وتناول فيها بالطعن المذاهب المخالفة .

ومن أشهر تأليفه (كتاب الإبانة في أصول الديانة) وهو كتاب عجيب غريب ، لم يوجد له نظير حيث رتبته ترتيباً حسناً ، وتناول فيه الرد على - لمعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والحرورية

¹ - ما بين القوسين نقل من كتاب شرح نية العقائد المصنف المؤلف نفسه ، ولكنه لم يذكرها هنا ، وهي ضرورية لاستيفان المعنى .
² - من 9 . نشر دار ومكتبة الشعب ، مطبعة : ليبيا ، الطبعة الأولى ، 1995 م .
³ - نقل عن كتاب شرح نية العقائد الصغير ، من 9 .

وغيرهم ، وبين فيه فساد مذهبيهم بالأدلة والبراهين ،¹ وبعد وفاته سار تلاميذه على طريقته ، ومنهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، وقد أخذ عن الباقلاني جماعة ، وساروا على طريقته - أيضا - منهم إمام الحرمين والأساذ أبو إسحاق الإسفراييني .

وأخذ عن إمام الحرمين جماعة ، وساروا على طريقته - كذلك - منهم حجة الإسلام الإمام الغزالي ، والفخر الرازي ، والقوا في العقائد كتابا قيمة ، ونصروا مذهب الأشعري ، وسموه مذهب (أهل السنة والجماعة) ، وقد اعتنقوا الجم الغفير من أهل الإسلام ، وناصروه حتى هزموا مذاهب المخالفين ، ولم يبق من معتقها إلا فئات قليلة من أطراف البلاد الإسلامية .

[ترجمة الإمام الماتريدي]

وولد الماتريدي في أواسط القرن الثالث الهجري ، بقرية ما تريد من أعمال سمرقند ، وصار من أهل العلم والاجتهاد في آخره ، ولكنه لم يشتهر بعلم الكلام إلا في القرن الرابع ، وقد ألف فيه كتابا سماه (ناولات أهل السنة) وألف كتاب (الرد على الكعبي المعتزلي) وكتاب (أوهام المعتزلة) وكتاب (الرد على الرافضة) وغير ذلك .

إذا علمت ذلك تعلم أن تدوين علم التوحيد على طريقة أهل السنة والجماعة كان في أوائل القرن الرابع الهجري ، وأن أول من دونه - على هذه الطريقة - هو الأشعري والماتريدي ، وأنهما أول من ألف فيه ، وقد اشتهر بعدهما الباقلاني ، وإمام الحرمين ، والإسفراييني والغزالي ، والرازي ، وغيرهم ، فجزاهم الله عن أمة الإسلام خيرا حيث خدموا الدين ، ونفعوا بما خدموا عامة المسلمين .²

¹ - تفتش الملاحظات إلى أن تاريخه هو كتاب (الفهم في الرد على أهل الزنوع والبدع) فهو الذي يبين فيه العقيدة الأشعرية بكل وضوح ، طبع في مصر سنة 1955 م ، بتحقيق الدكتور محمد زكي غرابية ، مطبع مركز الدراسات الإسلامية بطنين ، مطبعة مصر .

² - من آثاره كتاب المذهب الأشعري في العقيدة ، في هذا مختار من كتاب شرح أب العقائد الصغير ، للمؤلف ، ص 9 - 11 .

وقد نظمت أسماء هؤلاء الأئمة - في كتابنا (كشكول الفنون والصواب والمنون)¹ - على الترتيب فقلت :-

قَدْ قَالَ زُرُقُ بَارِزِيَّةً * فِي الشَّرْحِ لِلرَّسَالَةِ الْقُدْسِيَّةِ
إِنْ ذَكَرَ الشَّيْخُ يَذُونُ قَيْدَ * فِي كُتُبِ الْكَلَامِ وَالتَّوْحِيدِ
قَالِقُصْدُ مِنْ ذَاكَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِي * بِالِاتِّفَاقِ دُونَ خَلْفِ بَا سَرِي
وَلَقِطَةُ الْقَاضِي إِذَا مَا أَطْلَقَتْ * لِلْبَاقِلَانِي عِنْدَهُمْ قَدْ وَضَعَتْ
وَلَقِطَةُ الْأَسَازِ يَنْفَاقُ * لِلْإِسْفَرَايِينِي لَدَى الْإِطْلَاقِ
وَلِلْخَوَيْسِي قَدْ أَتَى يَذُونُ مِّنْ * لَدَى جَمِيعِهِمْ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ
وَجَاءَ عَنْهُمْ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ * إِلَى الْغَزَالِي دُونَمَا إِبْهَامِ
ثُمَّ الْإِمَامُ عِنْدَهُمْ إِنْ أَطْلَقَا * فَإِنَّهُ الرَّازِي عَلَى مَا حَقَّقَا
لَأَنَّ هَذَا هُوَ فَخْرُ الدِّينِ * ابْنُ خَطِيبِ الرَّيِّ دُونَ مِّنْ²

(والثانية : مقدمة الكتاب)

وقد عرفها بعضهم بأنها " عبارة عن الأمور التي تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها ، وانتفاع بها فيه " ، وهذا التعريف لا يصدق في فن التوحيد إلا على الحكم العقلي وأقسامه³ ، لأن مدار الاعتقادات على أقسام الحكم العقلي الثلاثة ، فمن لم يعرف حقيقة كل واحد منها لم يعرف ما أنبئه ولا ما نفاه من العقائد .

¹ - الكتاب مخطوط من تأليف الشيخ محمد مفتاح فريو ، وعنوانه (كشكول الفنون في الصواب والمنون والقرآن والقواعد والفنون) ، ص 9 - 10 ، نسخة مبنورة كتبها الشيخ خليل الهادي خليل فرطج ، إمارة جامع بابل بمصر سنة 1955 .

² - إضافة إلى كتاب كشكول ، وردت القصيدة في شرح أب العقائد الصغير ، ص 12 ، وترجم الشفاء مفرد فيما يلي من صفحات الكتاب .

³ - سوف يشرحه المؤلف فيما يلي .

[الحكم العقلي]

والحكم العقلي هو إثبات أمر لأمر ، أو نفي أمر عن أمر من غير توقف على تكرار ولا وضع واضح ، فقولهم : إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر : جنس ، وقولهم : من غير توقف على تكرار ، فصل مخرج للحكم العادي الذي يتوقف (ص 5) على تكرار وتجربة ، كأنواع الأدوية ، فإنها لا يحكم عليها بالنفع إلا بعد التكرار والتجربة ، وقولهم ولا وضع واضح ، فصل ثان ، مخرج للحكم الشرعي الذي يتوقف على وضع واضح ، وهو الشارع الذي وضع الأحكام الشرعية ، نحو قوله تعالى : { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا }¹ وقوله صلى الله عليه وسلم : { خمس صلوات كسهن الله }² فإن وجوب الصلوات الخمسة لم يعرف إلا بعد وضع الشارع لهذه النصوص ونحوها .

ولم يبق لنا بعد إخراج ما ذكر إلا الحكم العقلي لا غير ، وإنما سمي عقليا نسبة إلى العقل ، لأن الإنسان لا يستند فيه إلا لعقله ، مثال الحكم الذي فيه إثبات أمر لأمر : قولك : العالم حادث ، ومثال الحكم الذي فيه نفي أمر عن أمر : قولك : المولى عز وجل ليس بخادث فالتمثال الأول فيه إثبات أمر وهو الحدوث لأمر ، وهو العالم (يفتح اللام) ولم يستند الإنسان في هذا الحكم إلا لعقله ، والتمثال الثاني فيه نفي أمر : وهو الحدوث عن أمر ، وهو المولى عز وجل لم يستند الإنسان في هذا الحكم إلا لعقله .

[أقسام الحكم العقلي]

ثم الحكم العقلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام : واجب ، ومستحيل وجائز ، فالواجب ما لا يقبل النفي بحال ، أو مالا يتصور في العقل عدمه ، والمستحيل ما لا يقبل الثبوت بحال ، أو مالا يتصور في العقل

¹ - التمام : 303 .

² - رواد الإمام مالك عن عباد بن الصامت ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { خمس صلوات كسهن الله عز وجل على عباده ، فمن جاء بهن ، لم يضعن حزين شيئا ، استغفارا يظنون : كان له عند الله عهد أن ينظره الجنة ، ومن لم تأت بهن ظنن أنه عند الله عهد ، أن شاء عليه وإن شاء انظره الجنة } موطأ الإمام مالك بن أبي (95 - 179 هـ) ، حديث رقم 270 ، ص 77 ، ذكر الرشد الحديثية ، الفوارق ، القضاء ، ط ، أولى ، 1409 هـ / 1989 م .

وجوده ، والجائز ما يقبل الثبوت والانتفاء معا ، أو ما يصح في العقل وجوده وعدمه ، فهذه هي أقسام الحكم العقلي الثلاثة التي يدور عليها حكم عقائد التوحيد .

ولذلك قلت في النظم :

(3) وَحَكْمُهَا لِلَّهِ أَوْ لِلرَّسْلِ * يُؤْخَذُ مِنْ أَقْسَامِ حُكْمِ الْعَقْلِ

صمير حكمها يعود على عقائد التوحيد التي تقدم ذكرها في البيت السابق ، ولله جاز ومجرور متعلق بحكمها : لأنه مصدر حكم بحكم والمصدر يعمل عمل الفعل ، وقد تقدم أن الحكم هو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر ، والمعنى المراد من هذا البيت أن حكم عقائد التوحيد ، أي إثبات ما وجب منها لله ورسله ، ونفي ما استحال منها عن الله ورسله (ص 6) ، وجواز ما جاز منها في حق الله ورسله ، كله يؤخذ من أقسام حكم العقل ، أي يأخذ الإنسان :-

- أن كل ما وجب من العقائد لله أو للرسل : فهو واجب بالوجوب العقلي الذي لا يتصور في العقل عدمه .
- وأن كل ما استحال منها عن الله أو عن الرسل : فهو مستحيل بالانتفاء العقلي الذي لا يتصور في العقل وجوده .
- وأن كل ما جاز منها في حق الله أو في حق الرسل ، فهو جائز بالجواز العقلي الذي يصح في العقل وجوده وعدمه ، هذا هو المعنى المراد من هذا البيت .

ثم قلت :-

(4) وَكُلُّهَا وَاجِبَةٌ بِالشَّرْعِ * عَلَى الْمُكَلَّفِ بِنَصِ قِطْعِي

والمعنى أن عقائد التوحيد التي تقدمت الإشارة إليها : سواء كانت من قبيل الواجب العقلي ، أو من قبيل المستحيل العقلي ، أو من قبيل الجائز العقلي ، كلها واجبة على المكلف ذكرها أو أنفي بالوجوب الشرعي ، اعتقادا ومعرفة الوارد بنص قطعي ، وهو قوله تعالى :-

{ فاعلم أنه لا إله إلا الله }¹

لأن (اعلم) فعل أمر ، وصيغة الأمر عند الإطلاق والتجرد عن القرينة تكون للوجوب حقيقة ، كما نص عليه الأصوليون في مبحث الأمر² إنما قلت : اعتقاداً أو معرفة ، مع أن هذا التنويع لم يأت به أحدٌ غيري في هذا المبحث ، لأن الواجب الشرعي نوعان : نوع يجب وجوب الأصول ، وهو كل ما يرجع للمعرفة ، وحقيقته هو ما يتاب على فعله يعاقب على تركه .

فائدتان

[في الوجود والقدم والاعتقاد والمعرفة]

[الفائدة الأولى : إذا قيل لك ما الفرق بين قولهم : يجب لله الوجود والقدم ، وغيرهما من الصفات الإلهية ، وبين قولهم على كل مكلف شرعاً أن يعتقد ويعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز ، وما يستحيل وما يجوز ؟]

فالجواب : أن قولهم يجب لله الوجود والقدم ، إلخ ، معناه أن هذه الصفات تجب لله تعالى بالوجوب العقلي الذي لا يتصور في العقل عدمه ، وأن قولهم يجب (ص 7) على كل مكلف شرعاً أن يعتقد ويعرف .. إلخ .

معناه أن عقائد الإيمان كلها تجب على المكلف بالوجوب الشرعي لكن اعتقادها يجب عليه وجوب الأصول الذي يتصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، ومعرفة تجب عليه وجوب الفروع الذي يتاب على فعله ويعاقب على تركه ، ففرق بين أن يقال يجب لله كذا

ويجب على المكلف كذا ، فافهم هذا الفرق ، وأحرص عليه ، فإنه لم يوجد ما يشير إليه في الجملة إلا كلام البيهقي¹ على أم البراهين².

الفائدة الثانية : إذا قيل لك : ما الفرق بين الاعتقاد والمعرفة ؟

فالجواب أن الاعتقاد هو الجزم بالعقيدة وعدم إنكارها مع التصديق بشوئها إن كانت واجبة ، وبانتفاءها إن كانت مستحيلة ، وبقبولها للثبوت والانتفاء إن كانت جائزة ، ولو لم يفهم الإنسان حقيقتها ولا دليلها ، وأن المعرفة هنا هي فهم العقيدة بالحقيقة والدليل ، ففرق بين أن يقال أعتمد فلان كذا ، وفهم فلان كذا ، فافهم هذا الفرق وأحرص عليه فإنه لا يوجد ما يشير إليه في الجملة : إلا قولهم : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتفي في الإيمان من الأعراب باللفظ بكلمتي الشهادة المنى عن الاعتقاد الجازم مع أنهم لسوا من أهل النظر ، ولا حصل منهم فهم للعقائد بحقائقها وأدلتها .

ثم قلت : -

(5) وَلَمْ يَجِبْ وَجُوبَ أَصْلَ إِلَّا * إِيْمَانُ مَنْ كَلَّفَ لَيْسَ إِلَّا³

(الأولى حرف استثناء مفرغ ، و (إلا) الأخيرة : اسم بمعنى غير والمعنى لم يجب شرعاً وجوب الأصول الذي يتصف من اعتقده بالإيمان ومن أنكره بالكفر ، إلا إيمان المكلف ليس غير .

[معنى الإيمان لغة واصطلاحاً]

والإيمان له معنيان : معنى في اللغة ، ومعنى في اصطلاح الشرع فمعناه لغة : مطلق التصديق .

¹ - محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي شمس الدين المصري الشافعي ، المتوفى سنة 863 هـ ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ومؤلفات المؤلفين ، من كتب الطوائف ، لإسماعيل باشا البغدادي ، ص 6/202 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1413 هـ / 1992 م .

² - أم البراهين في العقائد ، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحبشي ، (895 هـ) جامع معجمات المتن ، المتجدد الأول من 7 - 10 ، جمعها خالد عبد الله الكرعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2008 م .

³ - ما ورد في شرح لب العقائد الصغير : ولم يجب على بني الإنسان * وجوب أصل ما عدا الإيمان ، ص 19 .

¹ - يقول الأستاذ الكبير الدكتور فلاح محمد زكّام في تعليقه : ملحة الوصول إلى أساليب علم الأصول : - والأمر أن أطلق الضمير * أن ليس من ملوكة للكرار وهذا ولا يستلزم لغة * للاستقلال السمعاء تارخه ص 28 ، مطبعة المنبر ، طرابلس ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2007 .

وَمَعْنَاهُ اصْطِلَاحًا فِيهِ مَذَاهِبٌ ، اُسْهَرَهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَاتَرِيْدِيَّةُ
وَمَحَقَّقُو الْأَشَاعِرَةِ ، وَبَعْضُ الْمُعْتَرِلَةِ مِنْ أَنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ تَصْدِيقُ النَّبِيِّ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ (8) مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ
الَّتِي عَلَّمَ مَجْنِبَةً بِهَا وَاشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنَ الدِّينِ ، حَتَّى
صَارَتْ مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ بِالضَّرُورَةِ ، بَحْثَ بَعْلَمِهَا الْخَاصَّ وَالْعَامَّ مِنْ غَيْرِ
إِفْغَارٍ إِلَى نَظَرِ اسْتِدْلَالٍ ، كَوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَكَوْجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ ، وَكَحَرَمَةِ الزِّنَا
وَالْخَمْرِ وَالْعُصْبِ وَالسَّرْقَةِ ، وَكَفَى التَّصْدِيقَ الْإِجْمَالِيَّ فِيمَا عَلَّمَ مِنْ
ذَلِكَ إِجْمَالًا ، وَلَا يَدْرِي مِنَ التَّصْدِيقِ الْفَصْلِيَّ فِيمَا عَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ تَفْصِيلًا .

[النطق بالشهادتين والعمل الصالح]

وعلى هذا المذهب : فالنطق بالشهادتين والعمل الصالح غير داخلين في حقيقة الإيمان ، لما علمت من أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، لكنه أمر باطنى خفى يتوقف على علامة تدل عليه فجعل الشارع النطق بالشهادتين علامة دالة على إيمان من نطق بهما بحيث يقبله ، ويخرى عليه أحكام الإسلام الدنيوية ، وحينئذ فالنطق بالشهادتين على هذا المذهب شرط لا بشرط وشرطية مخصوصة

تاريخ: ٢٠٢٠
الصفحة: ١٢

باجراء أحكام الإسلام الدنيوية بالنسبة للكافر الذي يريد الدخول في الإسلام ، وكان قادرا على النطق .

وعليه فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين؛ فهو مؤمن عند الله وعندنا ، فيستحق الجنة ، ونعامله معاملة المسلمين ، فإذا مات غسله وكفنه ، ونصلى عليه وندفنه في مقابر المسلمين، ومن صدق بقلبه منهم لم ينطق بالشهادتين مع قدره (ص 9) على النطق ، فهو مؤمن عند الله فقط ، فيستحق الجنة وليس بمؤمن عندنا ، فلا نعامله معاملة المسلمين .

ومفهوم الكافر أن من بلغ من أولاد المسلمين لا يكون النطق بالشهادتين شرطاً لإجراء الأحكام الدينية عليه ، لأنه مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته ، إذ الأصل فيه الإيمان تبعاً لأبويه ، إلا إذا ظهر عليه ما يدل على عدم إيمانه فتحكم عليه بالكفر حشداً ، ومفهوم (وكان قادراً على النطق) أن العاجز لا يشترط فيه النطق بالشهادتين ، بل يكفي منه بأي علامة تدل على أنه آمن .

وأيضاً العمل الصالح على هذا المذهب شرط في كمال الإيمان لا غير ، فمن صدّق بقلبه ونطق بالشهادتين وعمل صالحاً ؛ كان مؤمناً كاملاً الإيمان ، ومن صدق ونطق ولم يعمل صالحاً ؛ كان مؤمناً عاصياً ناقص الإيمان ، والنصوص معاصرة لهذا المذهب ، كقوله تعالى : { أولئك كذب في قلوبهم الإيمان } ¹ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : { اللهم ثبت قلبي على دينك } ² فجعل الإيمان في القلب فقط

22. المصاحفة: ٢٢
١- سورة الفاتحة: ١- ٥
٢- سورة البقرة: ١- ٥
٣- سورة آل عمران: ١- ٥
٤- سورة النساء: ١- ٥
٥- سورة المائدة: ١- ٥
٦- سورة الأنعام: ١- ٥
٧- سورة الأعراف: ١- ٥
٨- سورة الأنفال: ١- ٥
٩- سورة التوبة: ١- ٥
١٠- سورة الحج: ١- ٥
١١- سورة المؤمنون: ١- ٥
١٢- سورة المجادلة: ١- ٥
١٣- سورة الحنف: ١- ٥
١٤- سورة البقرة: ١- ٥
١٥- سورة آل عمران: ١- ٥
١٦- سورة النساء: ١- ٥
١٧- سورة المائدة: ١- ٥
١٨- سورة الأنعام: ١- ٥
١٩- سورة الأعراف: ١- ٥
٢٠- سورة الأنفال: ١- ٥
٢١- سورة التوبة: ١- ٥
٢٢- سورة الحج: ١- ٥
٢٣- سورة المؤمنون: ١- ٥
٢٤- سورة المجادلة: ١- ٥
٢٥- سورة الحنف: ١- ٥
٢٦- سورة البقرة: ١- ٥
٢٧- سورة آل عمران: ١- ٥
٢٨- سورة النساء: ١- ٥
٢٩- سورة المائدة: ١- ٥
٣٠- سورة الأنعام: ١- ٥
٣١- سورة الأعراف: ١- ٥
٣٢- سورة الأنفال: ١- ٥
٣٣- سورة التوبة: ١- ٥
٣٤- سورة الحج: ١- ٥
٣٥- سورة المؤمنون: ١- ٥
٣٦- سورة المجادلة: ١- ٥
٣٧- سورة الحنف: ١- ٥
٣٨- سورة البقرة: ١- ٥
٣٩- سورة آل عمران: ١- ٥
٤٠- سورة النساء: ١- ٥
٤١- سورة المائدة: ١- ٥
٤٢- سورة الأنعام: ١- ٥
٤٣- سورة الأعراف: ١- ٥
٤٤- سورة الأنفال: ١- ٥
٤٥- سورة التوبة: ١- ٥
٤٦- سورة الحج: ١- ٥
٤٧- سورة المؤمنون: ١- ٥
٤٨- سورة المجادلة: ١- ٥
٤٩- سورة الحنف: ١- ٥
٥٠- سورة البقرة: ١- ٥
٥١- سورة آل عمران: ١- ٥
٥٢- سورة النساء: ١- ٥
٥٣- سورة المائدة: ١- ٥
٥٤- سورة الأنعام: ١- ٥
٥٥- سورة الأعراف: ١- ٥
٥٦- سورة الأنفال: ١- ٥
٥٧- سورة التوبة: ١- ٥
٥٨- سورة الحج: ١- ٥
٥٩- سورة المؤمنون: ١- ٥
٦٠- سورة المجادلة: ١- ٥
٦١- سورة الحنف: ١- ٥
٦٢- سورة البقرة: ١- ٥
٦٣- سورة آل عمران: ١- ٥
٦٤- سورة النساء: ١- ٥
٦٥- سورة المائدة: ١- ٥
٦٦- سورة الأنعام: ١- ٥
٦٧- سورة الأعراف: ١- ٥
٦٨- سورة الأنفال: ١- ٥
٦٩- سورة التوبة: ١- ٥
٧٠- سورة الحج: ١- ٥
٧١- سورة المؤمنون: ١- ٥
٧٢- سورة المجادلة: ١- ٥
٧٣- سورة الحنف: ١- ٥
٧٤- سورة البقرة: ١- ٥
٧٥- سورة آل عمران: ١- ٥
٧٦- سورة النساء: ١- ٥
٧٧- سورة المائدة: ١- ٥
٧٨- سورة الأنعام: ١- ٥
٧٩- سورة الأعراف: ١- ٥
٨٠- سورة الأنفال: ١- ٥
٨١- سورة التوبة: ١- ٥
٨٢- سورة الحج: ١- ٥
٨٣- سورة المؤمنون: ١- ٥
٨٤- سورة المجادلة: ١- ٥
٨٥- سورة الحنف: ١- ٥
٨٦- سورة البقرة: ١- ٥
٨٧- سورة آل عمران: ١- ٥
٨٨- سورة النساء: ١- ٥
٨٩- سورة المائدة: ١- ٥
٩٠- سورة الأنعام: ١- ٥
٩١- سورة الأعراف: ١- ٥
٩٢- سورة الأنفال: ١- ٥
٩٣- سورة التوبة: ١- ٥
٩٤- سورة الحج: ١- ٥
٩٥- سورة المؤمنون: ١- ٥
٩٦- سورة المجادلة: ١- ٥
٩٧- سورة الحنف: ١- ٥
٩٨- سورة البقرة: ١- ٥
٩٩- سورة آل عمران: ١- ٥
١٠٠- سورة النساء: ١- ٥

فائدتان [في الإيمان والإسلام]

[الفائدة الأولى :-] حد الإيمان :- [حد الإيمان]
قد ظهر من حد الإيمان بما ذكر أن مجرد النطق بالشهادتين ليس
إيمانا ، خلافا للكرامية^١ الذين زعموا ذلك . بل الإيمان أمر قلبي
وذلك صرح به عن بعض المقررين باللسان ، قال الله تعالى : { قالت
الاعراب أما قل لم يؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في
قلوبكم }^٢ . وأيضا حكى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، رضى
الله عنهم ، بكفر المنافقين وتخليد لهم في الدرك الأسفل من النار مع
نطقهم بكلمتي الشهادتين^٣.

وانعقد الإجماع على أن من صدق بقلبه وصدقته النطق مانع ، من
حكم ونحوه ، فهو مؤمن كما تقدم ، فينظر قول الكرامية المذكور
ويظهر من ذلك أيضا أن الأعمال الصالحة المسمومة بالإسلام غير داخلة
في مفهوم الإيمان شرعا ، وبذلك لذلك عطفها على الإيمان في الكتاب
والسنة كثيرا . كقوله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }^٤
وقوله : { فأما من باب وأمن وعمل صالحا }^٥ ، ونفي العمل الصالح
بالإيمان في قوله تعالى : { فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ... }
{ ١٠ } وأما الإيمان لمن (ص ١٠) ارتكبوا ما نهى الله عنه في قوله
تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... } إلخ^٦.

وبذلك سقط قول المعتزلة : أن الأعمال الصالحة جزء من
مسمى الإيمان ، ينتفى بانتفائها ، حتى جعلوا العاصي خارجا عن
الإيمان غير داخل في الكفر ، فأثبتوا منزلة بين المنزلتين ، وسقط أيضا

^١ - هم أصحاب أبي حنيفة المصنف لأحد من مجتهدي المذاهب الأربعة ، دعا أتباعه إلى تسمية دينهم بـ "الإيمان" ، وإنه كان ممن
بأنه الصواب . لأنه يفرق بين الإيمان وبين العمل الصالح ، وهو ما عرفت ، وبذلك وافق ما ذهب إليه أصحابنا . وفيه خلافات بينهم . انظر
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

^٢ - أي حد الإيمان هو ما في من الإيمان ، قال الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

^٣ - أي حد الإيمان هو ما في من الإيمان ، قال الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

^٤ - أي حد الإيمان هو ما في من الإيمان ، قال الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

^٥ - أي حد الإيمان هو ما في من الإيمان ، قال الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

^٦ - أي حد الإيمان هو ما في من الإيمان ، قال الله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... }
في المجموع ١٠٨ من ١٠٨

قول الخوارج : إن الإيمان هو العمل الصالح ، فصدقه كل من ترك
العمل الصالح وارتكب ذنبا يكون كافرا مطلقا في النار ، وصاروا
بكفرهم الناس بالذنب .

الفائدة الثانية :- [الإسلام بغير الإيمان]

في كون الإسلام معيارا للإيمان . اعلم أن علماء هذا الفن قد
عرفوا الإسلام لغة : بأنه مطلق التصوع والانقياد . وشرعا بأنه امتثال
المأمورات واجتناب المنهيات ، أي قبولها وعدم إنكارها . سواء فعلها أم
لا . فهو معيار للإيمان لغة وشرعا . وإن تلامها باعتبار النفع . لأنه لا
يوجد إيمان نافع في الدنيا بحيث تحرق على صاحبه أحكام المسلمين
الدينية إلا بالإسلام . وأما كاسم الإيمان : فلا ينفع بإيمانه إلا في
الآخرة . كما لا يوجد إسلام نافع في الآخرة بحيث يحتج صاحبه من
عذاب النار يوم القيامة إلا بالإيمان . وأما إسلام المنافقين فلم ينفعهم
إلا في الدنيا لا غير . والدليل على أنهما معياران قوله تعالى : { قالت
الاعراب أما قل لم يؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في
قلوبكم }^١.

تنبيه [علامة الإيمان وعلامة الكفر]

اعلم أن الشارع الحكيم . كما اعتبر النطق بالشهادتين علامة على
الإيمان . كذلك اعتبر أمورا علامة على الكفر . وجعل وجودها بدل
على فقد الإيمان من قلب مرتكبها . منها السجود لصنم . ووصف الله
تعالى بما لا يليق بذاته العلية . وسب أنبيائه وملائكته وكتبه ورسله
وسب دين الإسلام الذي أرى رضاه الله للناس دينا . والاستخفاف
بالمصطفى والكعبة . والاستهزاء بالشريعة . واستحلال المحرم المجمع
على تحريمه . كالزنا وشرب الخمر . وكذلك إنكار ما علم أنه من الدين
بالضرورة . كإنكار وجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان . فمن أصف

بهذه الأمور أو ببعضها ، حكمنا عليه بالكفر (ص 11) لأن وجودها فيه دليل على أن قلبه غير عامر بالإيمان .
ثم قلت :-

[الاكتفاء بالنطق بالشهادتين]

(6) لِأَنَّهُ اكْتَفَى بِهِ نَيْبًا * مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ بِهِ قَدْ آمَنَّا 1

وأقول : هذا البت تعليل لما قبله ، أي لم يجب على بنى الإنسان وجوب الأصول إلا الإيمان ؛ لأنه اكتفى به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : { أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله ؛ عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله } .
2

فهذا الحديث من أقوى الأدلة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتفى من الأعزاب الذين آمنوا به ، بمجرد النطق بالشهادة ، من غير مطالبتهم بتفصيل العقائد ولا ذكر أدلتها ، وهو المعتمد - كما لا يخفى - .
3

ثم قلت :-

(7) وَمَا سِوَاهُ مُطْلَقًا لَمْ يَجِبْ * إِلَّا وَجُوبَ الْقَرَعِ فِي شَرَعِ النَّبِيِّ

(8) وَلَوْ أَدْلَةُ الْعَقَائِدِ عَلَى * مَا اخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ الْفَضْلًا

[الفرق بين وجوب الأصول ووجوب الفروع]

والمعنى المراد من هذين البيتين : أن ما استقر وثبت سوى الإيمان مطلقاً إطلاقاً شاملاً لجميع الواجبات الشرعية ، لم يجب في شرع النبي

صلى الله عليه وسلم إلا وجوب الفروع الذي يثاب على فعله ويعاقب على تركه ، لأن القاعدة الكلية أن كل ما يرجع إلى الاعتقاد يجب وجوب الأصول ، وكل ما يرجع إلى المعرفة يجب وجوب الفروع وليس لنا ما يرجع إلى الاعتقاد إلا الإيمان ، وأما ما عداه من بقية الواجبات ، فكله يرجع إلى المعرفة ، ولو أدلة العقائد على القول الذي اختاره المحققون الفضلاء .

وإنما أثبت بالأدلة في المبالغة لأنها جرى فيها خلاف بين العلماء فقال بعضهم : إنها واجبة وجوب الأصول ، وهو ضعيف ، وقال آخرون : إنها واجبة وجوب الفروع ، وهو الراجح المختار ، ولذلك قلت على ما اختاره المحققون الفضلاء .

[تقسيم الأدلة عند المتكلمين]

ثم الأدلة جمع دليل ، والمراد به - عند المتكلمين - ما يوصل إلى اليقين بعقائد التوحيد ، وهو قسمان : نقلى وعقلى :-

فالنقلى : هو ما ينقل من الآيات القرآنية الصريحة في دلالتها والأحاديث المقطوعة بصحة روايتها ، كقوله تعالى : { إن الله على كل شيء قدير } 1 ، فإنه يوصل إلى اليقين بثبوت القدرة لله تعالى وكقوله عليه الصلاة والسلام ، : { أنا العاقب فلا نبى بعدى } 2 فإنه يوصل إلى اليقين بأنه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين .

و كقوله عليه الصلاة والسلام :- { فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون } 3 قوله صلى الله عليه وسلم : { وختم بي النبيون } فإنه يوصل إلى

1 - البقرة : 20

2 - رواه الإمام مسلم في صحيحه بعدة روايات . عن الزهري ، وفي حديث عقيل : قال قلت : لفرس : (وما العقب ؟) قال : الذي لو من بعدني (كتاب الفضائل) حديث رقم 125 (2354) من 1838 4/

3 - رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم 5 - 523 ، من 17 371 2/

1 - هذا البيت مع شرحه الباقى لا يوجد في كتاب شرح لب العقائد الكبير (ميزان القوائد) ولكنه يوجد في الصغير ، ولاسيما نقلته هذا مع شرحه بالكمال ، وهذا صدر النظم بضم 103 أبيات ، شرح لب العقائد الصغير ، من 26 .

2 - رواه الإمام مسلم في صحيحه بعدة روايات ، منها هذه الرواية عن أبي هريرة - وهي الله عنه - كتاب الإيمان ، حديث رقم 33 - 21 من 52 1/

3 - شرح لب العقائد الصغير ، من 26

البقيين بأنه عليه الصلاة والسلام : خاتم النبيين ، أي آخرهم فلا نبيء معه في عصره ولا بعد عصره¹ [والدليل العقلي : هو الذي لم يكن من الكتاب ولا من السنة ، وهو قسمان : تفصيلي وإجمالي :-

فالتفصيلي : هو المقدور على تقريره وتفصيله ودفع الشبه الواردة عليه ، كقول الشخص العالم - بكسر اللام - والدليل على وجود الله وجود هذه المخلوقات ، فإنه يقدر على تفصيله بقوله : هذه المخلوقات حادثة ، وكل حادث لا بد له من محدث (ص 12) موجود وذلك المحدث الموجود يجب أن يكون وجوده لذاته ، والوجود الذاتي لا يكون إلا لمن انتصف بالالوهية ، ولم يتصف بالالوهية إلا الله تعالى وإذا وردت عليه شبهة أمكنه دفعها ، وحسنت فالأدلة العقلية التي يستدل بها العالم كلها أدلة تفصيلية ، سواء فصلها بالفعل أم لم يفصلها .

والدليل الإجمالي : هو المعجز عن تقريره وتفصيله ودفع الشبه عنه كقول العامي : الدليل على وجود الله ، وجود هذه المخلوقات ، لأن العامي يعجز عن تقريره وتفصيله ، وإذا أوردت عليه شبهة لا يستطيع دفعها ، وحسنت فالأدلة العقلية التي يستدل بها العامي كلها أدلة إجمالية لعجزه عن تفصيلها ودفع الشبه عنها ، فنأمل !! .

[ما يجب معرفته من الأدلة]

ثم قلت :-

(9) وَلَمْ يَجِبْ مِنْهَا وَجُوبَ عَيْنٍ * إِلَّا الَّذِي أَجْمَلَ دُونَ مَبِينٍ

(10) عَلَى خُصُوصٍ قَادِرٍ تَمَكَّنَا * مِنْ نَظَرٍ دُونَ سِوَاهُ قَافِطِنَا²

ضمير (منها) يعود على الأدلة التي تقدم ذكرها في البيت السابق والمعنى أن الأدلة التي تقدم ذكرها أنها من جملة ما يجب وجوب

¹ - ما بين القوسين زيادة من شرح لب العقائد الصغير ، ص 27 - 28 .
² - هذا البيت لم يوجد في شرح لب العقائد الصغير .

الفروع لم يجب منها وجوباً عينياً إلا الدليل الذي أجمل ، أي الدليل الإجمالي ، دون مبن ، أي دون كذب ، ولا يتعين وجوبه إلا على خصوص الشخص القادر ، الذي تمكّن من النظر ، دون سواه وهو العاجز ؛ والقادر الذي لم يتمكن من النظر بسبب مفاجأة موت أو بسبب عدم وجود من يعلمه ويرشده إلى الأدلة .

وحاصل المعنى باختصار : أدلة العقائد التي هي من قبيل ما وجب وجوب الفروع : لا يجب منها وجوباً عينياً إلا الدليل الإجمالي ، ولا يتوجه وجوبه العيني إلا على خصوص القادر الذي تمكن من النظر دون غيره ، وقولنا : (قافطنا) تكملة للبيت ، وهو فعل أمر يدل على التفتن ، لأن المقام فيه خلاف .

وما ذكرناه هو القول الوجيه الذي تشهد له الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كقوله تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها }¹ وقوله صلى الله عليه وسلم : { يسروا ولا تعسروا }² فهذه الآية وهذا الحديث يدلان دلالة واضحة على أن أدلة العقائد لا تجب إلا على القادر دون العاجز (ص 13) ، ولا يتعين منها عليه إلا الدليل الإجمالي ، لأنه هو الذي يكون في وسع عامة الناس ، ولأنه هو المتيسر لهم .

أما الدليل التفصيلي : فهو من خصائص العلماء ، وليس في وسع عامة الناس ، ولا في مسورتهم ، فلا يكلفهم الله به ، للآية والحديث المتقدمين ، وهذا هو الراجح الذي اختاره علماء التوحيد واعتمدوه .

[التقليد في الدليل بين العاجز والقادر]

ثم قلت :-

(11) فَيَكْتَفِي الْعَاجِزُ بِالتَّقْلِيدِ * لِلْعَجَزِ فِي عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ

(12) وَيَكْتَفِي الْقَادِرُ فِي حُصُولِ * مَعْرِفَةِ يَمَجْمَلِ الدَّلِيلِ

¹ - البقرة : 285 .
² - رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، عن أبي إس ، { يسروا ولا تعسروا } و { يسروا ولا تكلوا } ص 25 طبعة دار الفكر عن طبعة دار الطباعة باستانبول ، بدون تاريخ .

(13) أما مفصل الدليل والسنن * فوجيا كفاية فيما اشهر

القضاء الدارسة على (يكنى) للفرج، وخليفة فاء الفرع هي التي يكون ما بعدها مفهوما مما قبلها ضمنا، والمعنى أن السنين السابقين على هذه الآيات الثلاثة، بهم من تاريخها أن العاخر عن الدليل يكنى بالعلم لغيره في عمارة التوحيد.

والفيلد هو الاعتقاد الحارم المطابق للواقع الناشئ عن الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليل إذا كان ذلك الغير ليس بمعضوم، فإذا أجعل شخص غير معضوم بأن البعث حق فاعتقدت هذا الحكم اعتقادا خاطئا مطابقا للواقع من غير أن تعرف له دليلا، كنت مقلدا له في ذلك الحكم.

وبهم من [البس الثاني] : أن العاقد على الدليل يكنى في حصول المعرفة بمقتضى الدليل من إضافة الصفة للموصوف، أي بالدليل المتعلق بمعنى الإجمالي.

و (المعرفة) : هي الإدراك الحارم المطابق للواقع الناشئ عن دليل كاعتقاد من يوصل بالدليل إلى أن البعث حق، ف (الإدراك) جنس يشمل جميع الإدراكات، والحارم فصل، مخرج للظن والشك والوهم فلا يسمى واحد منها معرفة، و (المطابق للواقع) فصل مخرج للإدراك الحارم المخالف للواقع، فلا يسمى معرفة، بل يسمى جهلا مركبا، كاعتقاد الفلاسفة قديم العالم.

و (الناشئ عن دليل) : فصل مخرج للإدراك الحارم المطابق للواقع الناشئ عن الأخذ بقول الغير، فإنه لا يسمى معرفة، بل يسمى تقليدا كما تقدم.

[المعرفة بالدليل الإجمالي والتفصيلي]

والمعرفة التي عرفوها (ص 14) بهذا التعريف : نحصل بالدليل الإجمالي، ولا يتوقف حصولها على الدليل التفصيلي، خلافا لمن توهم ذلك، لأن الدليل التفصيلي لا يتوقف عليه إلا رد الشبهة الواردة على العقائد، ورد الشبهة واجب كفاية، وكل ما يتوقف عليه الواجب الكفاية يكون واجبا كفايا لا غير.

وذلك قلت في البس الثالث : (أما مفصل الدليل) من إضافة الصفة للموصوف، أي أما الدليل المفصل بمعنى التفصيلي، وكذلك النظر (فوجيا كفاية)، أي وجبا معا وجوبا كفايا فيما اشهر، أي في القول المشهور، بل قال بعضهم إن الدليل الذي اختلفوا في إنه شرط في حصول المعرفة، أو غير شرط، هو الدليل الإجمالي، لأنه المبسوط لعامة الناس.

أما الدليل التفصيلي فلا خلاف بينهم في عدم توقف حصول المعرفة عليه، وأنه ليس واجبا عينيا على كل مكلف، لأنه ليس في مقدور إلا للعلماء، وإنما هو واجب كفاية لرد الشبهة الواردة على العقائد، فإذا قام به البعض سقط وجوبه على الباقين.

وقولنا : (والنظر) المراد به النظر الذي طلبه الله من عباده في كتابه العزيز بقوله : { أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج }¹، وقوله : { أو لم ينظروا في ملكوت السماوات الأرض }²، وقوله : { أو لم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم }³، وقوله { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت(*) وإلى السماء كيف رفعت(*) إلى الجبال كيف نصت(*) وإلى الأرض كيف سطحت }⁴، وقوله : { أو لم يفكروا في أنفسهم ما

1 - ق 6
2 - الأعراف : 185
3 - الروم : 9
4 - العنكبوت : 17 - 20

1 - في الأصل يجرى من [الوجه] الصحيح يجرى من تحت الثاني، كما ورد في شرح لبه العلامة الصغير، ص 29.

خلق الله السموات الأرض وما بينهما¹، وقوله: { وفي أنفسكم أفلا تبصرون }²، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على طلب النظر.

وقد نظم صاحب الجوهرة³ بقوله:-
فانظر إلى نفسك ثم انقل * للعالم العلوي ثم السفلي
تجد به صفات بروج الحكيم * لكن به قام دليل القدم
وكل ما حار عليه القدم * عليه قطعاً يستحيل القدم⁴

فائدتان [الرأي الراجح في التقليد]

[الفائدة الأولى]، في بيان الخلاف في التقليد، وبيان الراجح فيه :-
اعلم أن علماء هذا الفن اختلفوا في كفاية التقليد في العقائد
وعدم كفايته، فذهب جماعة إلى أن التقليد لا يكفي في عقائد التوحيد
(ص 15) ولا يحصل به الإيمان المطلوب، وأن المقلد في العقائد غير
مؤمن عند الله وعندنا، فلا يدخل الجنة ولا تعامله معاملة المسلمين.

ودليلهم على ذلك أن المكلف مطالب بالمعرفة، والمعرفة هي
الاعتقاد الحازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، وبالتالي الدليل
يستفي المعرفة، ومتى انتفت المعرفة انتفى الإيمان، لأن الإيمان، أما
نفس المعرفة، وأما حديث النفس التابع للمعرفة عندهم، وبنوا هذا
على أن الدليل في العقائد واجب وجوب الأصول، وأنه شرط لصحة
الإيمان، وهذا المذهب خلاف الراجح.

وذهب آخرون إلى أن التقليد يكفي في العقائد، ويحصل به
الإيمان المطلوب، وأن المقلد مؤمن عند الله وعندنا، ودليلهم على

¹ - الروم: 8، وفي نسخة من شرح أب العبد الصغير، ص 32.

² - البقرة: 21.

³ - هو أبو إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن القاسمي، أبو الأمان المصري المالكي، ت 1041 هـ، له تصانيف كثيرة منها جوهرة التوحيد.

⁴ - في علم الكلام، حجة المعرفي، وسماعين بن عبد الحادي، المصدر السابق، ص 30-31/5.

⁵ - ذكر النظم في الآيات الثلاثة في شرح تكملة العقائد الصغير، ص 32. بينما لم يذكر في الكثير (ميدان القوائد) إلا البيت الأول.

وقد رأيت نظم القاسمي، جمع ميدان المدن، المصدر السابق، ص 117.

ذلك أن المكلف مطالب بالإيمان، والإيمان بيته المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف حين سأل جبريل عليه السلام بقوله أخبرني عن الإيمان؟ فأجاب بقوله: { هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره }¹

فذكر عليه الصلاة والسلام التصديق مجرداً عن الدليل، وحينئذ فلا يكون الإيمان متوقفاً على الدليل، والمقلد وجد منه التصديق الجازم بالعقائد، فيكون آمناً بالمطلوب، إلا أنه إذا كان قادراً على الدليل وتركه يكون آمناً بتركه، كما ياتم بترك الصلاة والصوم ونحوهما، وبنوا هذا على أن الدليل في العقائد واجب وجوب القروع، وأنه غير شرط لصحة الإيمان، بل لكماله فقط. وهذا المذهب هو الراجح.

بل القول بكفاية التقليد في العقائد نسيه الشيخ زروق² في شرح الرسالة القدسية³ للمذاهب الأربعة، وعليه عوّل كل من ذكر العقائد مجردة عن الدليل.

[الرأي الراجح في الدليل الإجمالي]

الفائدة الثانية، في بيان الخلاف في الدليل الإجمالي وبيان الراجح فيه.

اعلم أن علماء هذا الفن اختلفوا في كفاية الدليل الإجمالي في حصول المعرفة، وعدم كفايته (ص 16) فذهب جماعة إلى أنه لا يكفي في حصول المعرفة، ولا تحصل به المعرفة المطلوبة، وأن المقتصر عليه لا يسمى عارفاً، ولا يعد من أهل المعرفة، لأن المعرفة المطلوبة عندهم في عقائد التوحيد: هي المعرفة الموصلة

¹ - ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقل ما الإيمان؟ قال: { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره }، المصدر السابق، ص 18/1.

² - هو الشيخ الكبير أحمد بن أحمد الترمذي القاسمي المشهور بزروق، ولد بقراس سنة 846 هـ وفيها تلقى تعليمه الأول ثم توجه للشرق حيث زار القاهرة ثم الحجاز بعدها عاد لقراس، ثم عاد واستقر في مصر سنة 899 هـ وتوفي بها، ترجم له الشيخ قزويني في كتابه تراجم أعيان العلماء من الطلاب، وفيها ألف بعض كتبه، توفي في مصر سنة 899 هـ وتوفي بها، ترجم له الشيخ قزويني في كتابه تراجم أعيان العلماء من أئمة مصر سنة القضاء، كما ترجم له مصطفى أبو عجلة في كتابه للشيخ أحمد زروق مختصب العلماء، صدر عن مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1، 1435 هـ / 2014 م، لأوربع مكتبة بن نصر.

³ - شرح عقيدة الغزالي، وسمي: شرح العقيدة القدسية، توجد منه نسخ مطبوعة في طرابلس وتونس، وله ترجمة في الحديث من المصادر.

⁴ - شرح علي فهمي ختم من 109، نشر المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، مصر سنة 1392 هـ / 1970 م.

إلى القدرة على رد الشبهة ، ورد الشبهة لا يحصل إلا بالدليل التفصيلي وينبوا ذلك على أن المعرفة واجبة وجوب الأصول ، وهذا المذهب خلاف الراجح .

وذهب الجمهور إلى أن الدليل الإجمالي يكفي في حصول المعرفة وتحصل به المعرفة المطلوبة ، وأن المقتصر عليه يسمى عارفا ، وبعد من أهل المعرفة ، لأن العلم اليقيني لا غير ، وعلم اليقين يحصل هي المعرفة الموصلة إلى علم اليقين لا غير ، وينبوا ذلك على أن المعرفة واجبة وجوب حتى بالدليل الإجمالي ، وهذا المذهب هو الراجح المنصور ، لأن المعرفة عند الفروع ، وهذا المذهب هو الراجح المنصور ، نعم هي أول واجبي الأنشاعة واجبة وجوب الفروع لا وجوب الأصول ، نعم هي أول واجبي بعد الإيمان ، ولذلك قال صاحب المرشد المعين ¹ :-

أول واجب على من كلفا * ممكنا من نظر أن يعرفا الخ ²

وقال اللغاني في جوهره التوحيد :-

واجزم بأن أولاً مما يجب * معرفة وفه خلف متتصب . الخ ³

[علم اليقين يحصل حتى بالدليل الإجمالي]

(فإن قلت) : ما ذكرته هنا من أن من اقتصر على الدليل الإجمالي يسمى عارفا ، وبعد من أهل المعرفة ، يناقض ما ذكرته فيما تقدم من أن الأدلة لا تسمى إجمالية إلا إذا استدلت بها العامي لعجزه عن تقريرها وتفصيلها ، ودفع الشبهة عنها ، والعامي لا يسمى عارفا ولا يعد من أهل المعرفة ؟

(فالجواب) أنه لا منافاة بين ما هنا وما تقدم ؛ لأن المراد بالعامي في اصطلاح أهل الشرع : من تحصل على شيء من الثقافة العامة ، ومن

¹ - هو العلامة الشيخ عبد الواحد بن عاشر الأنصاري ، مؤلف منظومة (المرشد المعين على الصوري من علوم الدين) للشيخ الدقيقي الشهير بابن عاشر ، له مؤلفات أخرى ، توفي سنة 1040 هـ ، هدية المعارف ، المصدر السابق ، ص 636 / 5 .
² - منحصراً في الدين والعبادة ، المصدر السابق ، ص 636 / 5 .
³ - من 19 ، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب ، بمطبعة مطبع القرآن الكريم ، سنة 1400 هـ / 1981 م .
⁴ - جوهره التوحيد ، إيراد الدين إبراهيم اللغاني ، (ت 1041 هـ) جامع مهمات القرون ، ص 17 / 1 .

الفهم لبعض مسائل العلم ، وكل من كان كذلك يسمى عارفا ، وبعد من أهل المعرفة في عقائد التوحيد إذا فهمها ، بخلافها ، وأدلتها الإجمالية ، وليس المراد به من كان خالياً من الثقافة العامة ، ومن الفهم لبعض مسائل العلم (ص 17) لأن من كان كذلك لا يسمى عامياً عند أهل الشرع ، وإنما يسمى جاهلاً مغفلاً .

ثم إن كان عاجزاً عن النظر يسمى مؤمناً غير عاصي ، وإن كان قادراً عليه وتركه يسمى مؤمناً عاصياً ، ومن هنا يظهر أن أكثر جهلة الأمة مؤمنون عصاة لأنهم قادرون على النظر وثاركون له ، كما لا يخفى . نعم في اصطلاح أهل اللغة كل من لا يفهم من غيره ، ولا يحصل منه التفهم لغيره إلا باللغة الدارجة العامة ، يسمى عامياً ، سواء تحصل على شيء من الثقافة ، ومن مسائل العلم أم لا ، وعلى هذا فجهلة المؤمنين عوام بحسب اللغة ، لا بحسب الشرع .

ولما فرغت من شرح آيات المقدمة ، شرعت في شرح آيات المقصود بالذات

فقلت :-

باب أصول الإيمان ¹

(14) وَجَمَلَةُ الْأَصُولِ لِلْإِيمَانِ * سِتُّ بِنَصِّ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِي

(15) إِيْمَانًا بِاللَّهِ ثُمَّ الرَّسُلِ * وَالْكِتَابِ وَالْأَمَلِكِ أَهْلُ الْقُضَلِ

(16) آخِرُ الْأَيَّامِ أَيْضًا وَالْقَدَرِ * وَفِي جَمِيعِ السِّتِّ تَفْصِيلُ ظَهَرُ

والمعنى : أن جملة أصول الإيمان ست بنص المصطفى ، أي نبينا المختار العدناني ، أي المنسوب إلى عدنان ؛ الذي هو جده الأعلى ، في نسبه المتفق عليه ² .

¹ - هذا الباب غير موجود في شرح لب العقائد الصغير ، لا الآيات ولا الشرح .
² - سيق يذكر المؤلف في الترجمة رقم 25 لأئمة ، فيما يلي من الكتاب .

الأول من الستة : إيماننا بالله تعالى .

الثاني : إيماننا بالرسول عليهم الصلاة والسلام ، والرسول جمع رسول .
ويصح في الرسل ضم السنين وسكونها ، والسكون هنا متعين في
النظم لأجل الوزن ، ونم : حرف عطف بمعنى الواو .

والثالث : إيماننا بالكتب ، جمع كتاب ، والكتب بضم التاء وسكونها لغتان
فيه ، لكن السكون هنا متعين في النظم لأجل الوزن .

الرابع : إيماننا بالأملاك ، أي بالملائكة أهل الفصل .

الخامس : إيماننا بآخر الأيام من إضافة الصفة للموصوف ، أي باليوم
الآخر ، وأيضاً من المصادر الملازمة للنصب على المصدرية بفعل
محذوف وجوبا ، ومعناه الرجوع ، أي أرجع رجوعاً .

السادس : إيماننا بالقدر ، وقد ذكره المصطفى صلى الله عليه وسلم
(ص 18) في الحديث الشريف بقوله : { الإيمان هو أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره }¹
وفي بعض الروايات زيادة { حلوه ومره }² .

فأتى بها كلها على سبيل الإجمال ، ولم يترك فيها إلا التفصيل الذي
أتى به علماء التوحيد ، كما ترك تفصيل الإسلام في الحديث المذكور
لعلماء الفقه ، وتفصيل الإحسان لعلماء الأخلاق ، ولذلك قلت : وفي
جميع السبب تفصيل ظهر ، ثم شرعت في التفصيل الذي أتى به علماء
التوحيد في العقائد .

¹ - سبق شرح الحديث برواية الإمام البخاري ، وفي رواية الإمام مسلم من صحيحه عن عمر بن الخطاب : { أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بآخره } ، كتاب الإيمان حديث رقم 1 - 8 ، ص 1/36 .
² - هذه الرواية رواها أبو نعيم في المصنف عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : جواً عن : ما الإيمان ،
قل : { تؤمن بالله ، وتؤمن بالآخر ، والملائكة ، والكتب ، والنبين ، والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره } ، كتاب الإيمان والرواية ،
حديث رقم 31068 ، ص 151/626 .

مبحث الإلهيات

فقلت : -

(17) فُكِّلَ مَا دَلَّ عَلَى الْكَمَالِ * يَجِبُ لِلَّهِ عَلَى الْإِجْمَالِ¹

(18) وَقُصِّلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَشْرُونَ صِفَةً * يَجِبُ فَهْمُهَا لِأَجْلِ الْمَعْرِفَةِ

الفاء للفصيحة : وحقيقتها هي ما وقعت في جواب شرط مقدر
تقديره إذا أردت بيان التفصيل الذي أتى به علماء التوحيد في أصول
الإيمان الستة ، فأقول لك : كل ما دل على الكمال . . إلخ .

والمعنى أن كمالات الله لا تنأى ، ولا يحصى عدد ، ولا يخطط بها
علمنا ، ولكنها باعتبار النوع قسمان : -

قسم لم يقم دليل ولا برهان على تعيينه ، وإنما قام الدليل عليه
إجمالاً ، فوجب علينا التصديق به إجمالاً ، وهو كل كمال يليق بذاته
العلية ، وإليه أشرت بقولي : فكل ما دل على الكمال يجب لله على
الإجمال .

وقسم قام الدليل والبرهان على تعيينه وتفصيله : فوجب علينا
التصديق به ومعرفة تفصيلاً ، وهو عَشْرُونَ صِفَةً يجب علينا فهمها
لأجل حصول المعرفة ، حتى يكون إيمان الفاهم لها إيماناً ناشئاً عن
معرفة لا عن تقليد ، وإليه أشرت بقولي : -

وفصلت من ذلك عَشْرُونَ صِفَةً * يجب فهمها لأجل المعرفة

[بيان صفات الله تعالى]

ثم شرعت في بيان هذه الصفات العشرين بذكر أسمائها اللغوية لا
الاصطلاحية ، فقلت : - (ص 20) .

¹ - هناك تغيير في هذا البيت ، بحيث ورد في شرح أبي الطاهر الصغير : يجب لله على الإجمال * جميع ما دل على الكمال ، ص 37
، والمعنى واحد فيما أسبق .

- (19) وَهِيَ الْوُجُودُ قَدَمٌ ثُمَّ الْبَقَاءُ * وَخَلْفَ خَلْقٍ وَغِنَاهُ مُطْلَقًا
(20) وَوَحْدَةً وَقُدْرَةً إِرَادَةً * عِلْمٌ حَيَاةٌ خَالِفَتْ عِبَادَةً
(21) وَسَمْعَةً وَبَصَرٌ ثُمَّ الْكَلَامُ * وَقَادِرٌ ثُمَّ مُرِيدٌ فِي الدَّوَامِ
(22) وَعَالِمٌ حَتَّى سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ * وَمُتَكَلِّمٌ بِلَا أَلْفَظٍ الشَّهِيرِ
- والمعنى أن الصفات العشرين التي يجب على المكلف فهمها بالحقيقة والدليل لأجل حصول المعرفة : هي الوجود وما عطف عليه إلخ . وهذا ما أشرحها على الترتيب : .
- فأقول : .

[صفة الوجود]

الصفة الأولى : الوجود : ومعناه لفة : ضد العدم ، واصطلاحاً : صفة حالة غير معطلة بعلّة ثابتة للذات ما دامت الذات .
فقولهم (صفة) : جنس يشمل جميع الصفات ،
وقولهم (حالة) : فصل مخرج لصفات السلوك الخمسة ، وصفات المعاني السبعة ، لأنها ليست بأحوال ،
وقولهم : (غير معطلة بعلّة) : فصل مخرج للصفات المعنوية السبعة لأنها معطلة بصفات المعاني ،
وقولهم : (ثابتة للذات ما دامت الذات) : قيد لبيان الواقع لا للاحتراز .
وحكمها أنها واجبة لله بالوجوب العقلي الذي لا يتصور في العقل عدمه ، وواجبة على المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقاداً ، والفروعي معرفة .

[صفة القدم]

الصفة الثانية : القدم : بكسر القاف وفتح الدال ، وهو في النظم معطوف على الوجود بإسقاط العاطف ، ومعناه لفة ضد الحدوث واصطلاحاً ، عدم أولوية الوجود ، أي ليس لوجوده أولية وإبداء ، وهو تعريف بالحد الناقص ، حيث وقع بالفصل فقط من غير جنس قريب .
وه خرجت جميع الصفات ما عدا المعرف الذي هو القدم .

[صفة البقاء]

الصفة الثالثة : البقاء ، بالمد ، وهو في النظم معطوف بنم التي بمعنى الواو ، ومعناه لفة : ضد إلفاء ، واصطلاحاً عدم آخرية الوجود ، أي ليس لوجوده آخرية وانتهاء ، وهو تعريف بالحد الناقص أيضاً ، حيث وقع بالفصل من غير جنس قريب قبله ، وه خرجت جميع الصفات ما عدا المعرف الذي هو البقاء الدائم الذي لا نهاية له . (ص 20) .

[صفة المخالفة للحوادث]

الصفة الرابعة : المخالفة للحوادث ، وقد عبرت عنها في النظم بخلف خلق ، فخلف ، بضم الخاء المعجمة وسكون اللام ، اسم مصدر بمعنى المخالفة ، وخلق ، بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، معناه الحوادث ، والمخالفة للحوادث معناها لفة : ضد المعاملة ، واصطلاحاً عدم مماثلة الحوادث له في الذات والصفات والأفعال لقوله تعالى (ليس كعقله شيء وهو السميع البصير) .¹

وهذا التعريف قد اقتصر عليه أكثر علماء التوحيد ، وهو تعريف بالحد الناقص ، كما تقدم في القدم والبقاء ، وه خرجت جميع الصفات ما عدا المخالفة للحوادث .

¹ - يجوز أن يثبت لفظه في حقه بغيره مخالفة لفظه بغيره عوداً فهو له ، في الصفات الوحدانية له تعالى .

لا يحد بغيره بغيره * مع ذلك لا يحد به تعالى
من لفظه في لا يحد * ولا يحد به لفظه
ومع بغيره بغيره * بغيره بغيره بغيره

وقد تضمن أن المولى لا يكون جرماً ولا عرضاً يقوم بالجرم ، خلاق للمجسمة¹ ولا يكون في جهة للجرم ، ولا تكون لذاته جهة خلاف للجهوية² ولا يتقيد بزمان أو مكان ، ولا يتصف ذاته العلية بالحوادث من حركة أو سكون ، أو نحوهما ، ولا يتصف بالصغر أو الكبر ، ولا يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام خلافاً للمشيئة³.

[صفة الغنى المطلق]

الصفة الخامسة : الغنى المطلق ، وقد عبرت عنه في النظم بغناه وتبصت بعده مطلقاً على الحال ، ويقال له القيام بالنفس ، ومعناه لغة : ضد الافتقار ، واصطلاحاً : عدم افتقاره تعالى إلى المحل والمخصص والواسطة ، لقوله تعالى : { يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد }⁴ ، وهذا التعريف قد اقتصر عليه أكثر علماء التوحيد .

وهو تعريف بالحد الناقص ، كما تقدم في نظرائه ، وبه خرجت جميع الصفات ما عدا الغنى المطلق ، والمراد بالمحل : الذات ، أي لا يفتقر إلى ذات يحل فيها ، لأنه لو افتقر إلى ذات يحل فيها : لكان صفة والصفة لا تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية ، ومولانا حل وعز يجب انصافه بهما فليس بصفة ، خلافاً للنصاري الذي قالوا إن المولى صفة قائمة بذات عيسى عليه السلام⁵.

¹ - المجسمة ، مصطلح إسلامي يطلق على من يؤمن بالله بالمشاكلة ، ومن أشهر الفرق التي توصف بالتجسيم والتشبيه ، هي الزنانية ، والمثل والحق للثيوساني ، من 102/1.

² - لم يأت في كلامهم ، واعتقد أنه يقصد به من يصورون الذي هو وحل في جهة معينة من الكون ، ويقال للشيء مجازة : أي ، أنه لا يفتقر إلى شيء فاعلم أن الحق فاعلم أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف⁶ ، ذكر الثاني في المورد المعين ، شرح الشيخ محمد بن أحمد المالكي الشيرازي (شرح الكبير) وبما أنه شرح حفظه الله والقرآن الكريم أن فرافيه الثاني الثاني ، من 29/1 ، اتفاقية لثلاثة ، برون فيل : 20-21.

³ - هم الذين يشيرون الله تعالى ، منهم جماعة من الشيعة العلية ، وجماعة من أصحاب الحديث المشيوية ، أصروا بشتيتيه ، فقلوا : متوحد على صورة ذات أعضاء وأعضاء ، أما ووحانية ، وأما جمعية ، ويعجز عنه الانتقال والذوق والصعود والاستقرار والتمسك ، ومنهم مشيئة التجوية ، فهم جازوا في ربه العلامية والمصادفة ، المثل والشئ ، للثيوساني ، من 105/1.

⁴ - قصير : 15.

⁵ - النصاري : أما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنهه ، عليه السلام ، وانفصل النصارى في كيفية نزوله والصلابة بأمه ونسب الكفة ، وبما فهو وأبوه في كيفية الاتحاد والصلابة كلام ، وبما في ذلك عدة آراء ، منها : من قال : يظهر به ظهور الروحاني بالشمعاني ، ومنهم من قال : خرج للألوهة بكمالات ، ومنهم من قال : مزجت الكلمة ضد المسيح معزجة لثلاث الماد ، والماء النقي ، وقلوا : لا تعالى قائم ثلاثة ، ويعجز بالآتي صفات الوجود والعدم والعدم ، وسورها : الأب والابن وروح القدس ، المثل والحق ، للثيوساني ، من 220 - 222/2.

والمراد بالمخصص : الموجد ، بكسر الجيم ، أي لا يفتقر إلى موجد بوجوده ، لأنه لو افتقر إلى (ص 21) موجد ، لكان حادثاً ، والحدوث في حق الله تعالى محال .

والمراد بالواسطة هنا : الأسباب العادية التي أنشأها بعض الجهلة أي لا يفتقر في إيجاد الأفعال إلى واسطة الأسباب العادية التي زعم بعض الجهلة أنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ، فعندهم الشمس والقمر تؤثران الاضطرار في البلع والبطيخ بقوة أودعها الله فيهما ، وعند أهل السنة : المؤثر في البلع والبطيخ هو الله تعالى ، والشمس والقمر من الأسباب العادية التي يخلق الله الشيء عندها لا بها ، لأنه لو افتقر إلى ذلك لما كان متصفاً بالغنى المطلق ، كيف وهو جل وعز الغنى عن كل ما سواه .

[صفة الوجدانية]

الصفة السادسة : الوجدانية ، وقد عبرت عنها في النظم بالوحدة وهي لغة : ضد التعدد ، واصطلاحاً : عدم تعدده تعالى في الذات والصفات والأفعال ، لقوله تعالى : { قل هو الله أحد . . . } الخ السورة¹ ، وهذا التعريف قد اقتصر عليه علماء التوحيد .

وهو تعريف بالحد الناقص ، كما تقدم في نظرائه ، وبه خرجت جميع الصفات ما عدا الوجدانية ، وقد تضمن نفى الكموم ، أي الأعداد الستة المستحيلة عن الله تعالى² -

¹ - الاختصاص 1.

² - هذا الموضوع محل خلاف بين العلماء ، جاز في طبيعة الأخرى في ضم التوحيد ، ويستعمل فيه بعض حكمه واحد ، وذلك يتضمن الكموم (جمع كل) ستة ، والمتصل صفات هو المتصل فعلاً ، والمتصل ذات ، والمتصل صفات هو المتصل فعلاً ، ويعارضه غيره ويعتبره شقة ، ويضرب الشيخ ركنه ركناً على أن ذلك يتصور التوحيد بأنه في الكموم الحس : لكم المتصل ، ولكن المتصل في صفات تعالى ، ولكن المتصل في أفعاله ، لم يقول : إن هذا الكموم خمسة صفات كلامية ما كثر الله بها في كتابه من سلطان ، شذذ المتوحد الولية.

وهي : الكم المتصل بالذات ، والكم المنفصل فيها ، والكم المتصل في الصفات ، والكم المنفصل فيها ، والكم المتصل في الأفعال والكم المنفصل فيها .

[تفصيل الكموم الستة]

فالكم المتصل في الذات قد عرّف بأنه عبارة عن تركيب الذات من دم ولحم وعروق وعظام ، وهو مستحيل عن الله تعالى ، لأنه ينافي وحدانيته في الذات ، إذ معناها أن المولى لا يكون متعددا في ذاته ولو بالتركيب من أجزاء ، والكم المنفصل فيها قد عرف بأنه عبارة عن وجود ذات أخرى كذات مولانا ، وهو مستحيل عن الله أيضا لأنه ينافي وحدانيته في الذات من غير تفصيل .

والكم المتصل في الصفات : أن عرّف بأنه عبارة عن تعدد الصفات للذات من جنس واحد ، كأن يكون له قدرتان فأكثر ، أو إرادتان (ص 22) فأكثر ، أو علمان بأكثر ، يكون مستحيلا عن الله تعالى ، لأنه ينافي وحدانيته في الصفات ، وإن عرف بأنه عبارة عن تعدد الصفات للذات من أجناس مختلفة ، كأن يكون له قدرة واحدة ، وإرادة واحدة وعلم واحد إلى آخر الصفات ، فلا يكون مستحيلا عنه تعالى ، لأنه لا ينافي وحدانيته في الصفات ، إذ معناها أن المولى له قدرة واحدة يقدر بها على كل شيء ، وإرادة واحدة يريد بها كل شيء ، وعلم واحد يعلم به كل شيء ، وهكذا .

وليس معناها أن المولى ليس له إلا صفة واحدة ، لأن البراهين العقلية والنقلية كلها تدل على أنه متصف بجميع الصفات التي ذكرها علماء التوحيد . والكم المنفصل في الصفات قد عرّف بأنه عبارة عن وجود صفات كصفات مولانا في ذات أخرى ، وهو مستحيل عنه تعالى ؛ لأنه ينافي وحدانيته في الصفات من غير تفصيل .

والكم المتصل في الأفعال ، أن عرّف بأنه عبارة عن مشاركة غيره له في فعل من الأفعال ، كأن لا يخلق ولا يرزق إلا بمشاركة ذلك

الغير يكون مستحيلا عنه تعالى ، لأنه ينافي وحدانيته في الأفعال ، وإن عرّف بأنه عبارة عن تعدد أفعاله تعالى ؛ فلا يكون مستحيلا عنه تعالى لأنه لا ينافي وحدانيته في الأفعال .

إذ معناها أن المولى واحد لا شريك له في أفعاله ، وليس معناها أن أفعاله واحدة لا تتعدد ، لأن البراهين العقلية والنقلية كلها تدل على أن أفعاله كثيرة ، وأنه يخلق ويرزق في كل يوم عددا لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى .

والكم المنفصل في الأفعال ، قد عرّف بأنه عبارة عن وجود أفعال كأفعال مولانا في ذات أخرى ، وهو مستحيل عنه تعالى ، لأنه ينافي وحدانيته في الأفعال من غير تفصيل .

والحاصل أن الكموم ستة ، وأن جميعها منفية بالوحدانية ، إلا أن الثلاثة المتصلة لا تنفي إلا بالتعاريف التي تنافي الوحدانية دون التعاريف التي لا تنافيها ، وأما الثلاثة المنفصلة ؛ فهي منفية من غير تفصيل ، فتأمل ! .

تنبيه [الوحدانية هي آخر صفات السلوب]

الوحدانية هي آخر صفات (ص 23) السلوب الخمسة ، وحكم الصفات السلبية ؛ أنها واجبة لله بالوجوب العقلي ، وواجبة على المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقادا ، والفروعي معرفة ، فتنبه لذلك ولا تغفل .

[صفة القدرة]

السابعة : القدرة ، وهي لغة : ضد العجز ، واصطلاحا : صفة وجودية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة ، فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات ، وقولهم (وجودية) ، فصل مخرج للصفة النفسية ، والخمسة السلبية والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية

وقولهم (ينأى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه) فصل ثان مخرج لبقية
صفات المعاني ، لأنها ليست للإيجاد الإعدام .
وقولهم (على وفق الإرادة) : أتوا به للرد على المعتزلة القائلين إن
القدرة تجز على وفق الأمر ، لا على وفق الإرادة ، لأنه قول باطل لا
يؤيده عقل ولا نقل .
والدليل على انصاف المولى - عز وجل - بالقدرة قوله تعالى
{ إن الله على كل شيء قدير }¹ ، إذ لا يكون قديرا إلا من اتصف
بالقدرة .

[صفة الإرادة]

الثامنة : الإرادة : وهى فى النظم معطوفة بإسقاط العاطف ، وتعين
قراءتها بالهاء الساكنة المبذلة من ثاء التانيث لأجل الروي ، ومعناها لغة
ضد الكراهة ، واصطلاحا : صفة وجودية تخص الممكن ببعض ما
يجوز عليه من الممكنات المتقابلات على وفق العلم .

فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات .
وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية
والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية ،
وقولهم (تخصص الممكن) فصل ثان مخرج لبقية المعاني ، لأنها
ليست للتخصص ، وقولهم (ببعض ما يجوز عليه من الممكنات
المتقابلات) المراد بها الممكنات التى نظمها العلامة القصار² فى
قوله :-

المُمكناتُ المُتقابلاتُ * وَجُودنا وَالْعَدَمُ الصِّفاتُ

¹ - البقرة : 20 .

² - محمد بن القاسم بن علي القيسي الرزدي أصلا القاسي ، له القصار ، المعنى بقرن ، كان فيها تجوينا ، توفي سن 1012 هـ له
مؤلفات ، حدى العارفي ، ص 265 / 6 .

أزمنة أمكنة جهات * كذا المقادير روى الثقات¹

ف قوله (وجودنا والعدم) هو أول المتقابلين ، والمعنى أن أول
الممكنات المتقابلات (ص 24) هو الوجود بدلا عن العدم .

وثانها : الصفة المخصوصة بدلا عن بقية الصفات .

وثالثها : الزمان المخصوص بدلا عن بقية الأزمنة .

ورابعها : المكان المخصوص بدلا عن بقية الأمكنة .

وخامسها : الجهة المخصوصة بدلا عن بقية الجهات .

وسادسها : المقدار المخصوص بدلا عن بقية المقادير .

وقولهم فى التعريف (على وفق العلم) أتوا به للرد على المعتزلة
القائلين : بأن الإرادة تخصص على وفق الرضى لا على وفق العلم
لأنه قول باطل لا يؤيده عقل ولا نقل ، والدليل على انصاف المولى
بالإرادة قوله تعالى : { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون }²
، وقوله : { فعال لما يريد }³ .

[صفة العلم]

التاسعة : العلم ، وهو فى النظم معطوف بإسقاط العاطف ، ومعناه
لغة : ضد الجهل ، واصطلاحا : صفة وجودية محيطية بجميع الواجبات
والجائزات والمستحيلات على ما هى عليه ، إحاطة إدراك وإطلاع .

فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات .

¹ - عثمان البينان وروى فى حاشية الإمام البيهقي ، على جوهرة التوحيد ، المصدر السابق ، هـ 171 ، ص 122 ، وفى شبكة
المعلومات الدولية أنها وردا أيضا فى كتاب تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد لفرهان الدين إبراهيم الثقفي ، ص 98 - 99 ، دال
الزكاة الحنيفة ، دار البيضاء ، المغرب ، 2009 م .

² - يس : 82 .
³ - البروج : 16 .

وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية .
وقولهم (مخطئة بجميع الواجبات والخائزات والمستحيلات) فصل ثان مخرج لبقية صفات المعاني ، لأنها ليست للإحاطة .
وقولهم (على ما هي عليه .. إلخ) فصل ثالث ، مخرج للظن والشك والوهم والجهل المركب ، لأنها ليس فيها إحاطة بالشئ على ما هو عليه .

وإنما عبرت في تعريف العلم بالإدراك دون الانكشاف لأنه الوارد في القرآن ، قال الله تعالى : { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار }¹ ولأنه يوهم سبق الجهل بخلاف الانكشاف ، والدليل على اتصاف المولى بالعلم ، قوله تعالى : { لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما }² .

[صفة الحياة]

العاشرة : الحياة ، وهي في النظم معطوفة بإسقاط العاطف .
وجملة (خالفت) صفة لحياة ، و (عبادته) بالنصب ، مفعول خالفت وهو على تقدير مضاف ، أي خالفت حياة عبادته ، ووجه مخالفتها لحياة عبادته : أنها قديمة وباقية ، وحياة عبادته حادثة وفانية ، ومعنى الحياة لغةً (ص 25) ضد الموت ، واصطلاحاً صفة وجودية تصحح لمن قامت به الإدراك .

فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات .

وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية . وقولهم (تصحح لمن قامت به الإدراك) فصل ثان مخرج لبقية صفات المعاني ، لأنها ليست للتصحيح

¹ - الأنعام : 103 .
² - الشورى : 12 .

والدليل على اتصاف المولى بالحياة قوله تعالى : { الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم } إلخ¹ .

[صفة السمع]

الحادية عشرة : السمع ، وقد عبرت عنه في النظم بقولي (وسمعه) بالصمير العائد على الله تعالى ، ومعناه لغةً : ضد الصمم ، واصطلاحاً صفة وجودية ترافق كل موجود على ما هو عليه ، فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات ، وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية والسبعة المعنوية : لأنها ليست وجودية وقولهم (ترافق كل موجود على ما هو عليه) فصل ثان مخرج لبقية صفات المعاني ، لأنها ليست للمراقبة .

وإنما عبرت في تعريف السمع بالمراقبة دون الانكشاف ، لأنها الواردة في القرآن ، قال الله تعالى : { فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد }² . ولسلامتها من إيهام سبق الجهل والدليل على اتصاف المولى بالسمع ، قوله تعالى : { إن الله سميع عليم }³ .

[صفة البصر]

الثانية عشرة : البصر ، ومعناه لغةً : ضد العمى ، واصطلاحاً : صفة وجودية تتشاهد كل موجود على ما هو عليه ، فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات ، وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية ، وقولهم (تتشاهد كل موجود على ما هو عليه) فصل ثان مخرج لبقية صفات المعاني ، لأنها ليست للمشاهدة .

¹ - البقرة : 255 .
² - المائدة : 117 .
³ - الشورى : 181 .

وإنما عبرت في تعريف البصر بالمشاهدة دون الانكشاف ، لأنها هي الواردة في القرآن ، قال الله تعالى : { أو لم يكفهم أن الله على كل شيء شهيد }¹ ، ولسلامتها من إيهام سبق الجهل والدليل على انصاف المولى بالبصر قوله تعالى : { والله بصير بالعباد }² (ص 26) .

[صفة الكلام]

الثالثة عشرة : الكلام ، وهو في النظم معطوف بتم التي بمعنى الواو ومعناه لغة : ضد اليكم ، واصطلاحاً : صفة وجودية دالة على الواجبات والجائزات والمستحيلات ، ومنزهة عن الحروف والأصوات ، وسائر أنواع النعرات .

فقولهم (صفة) جنس يشمل جميع الصفات ، وقولهم (وجودية) فصل مخرج للصفة النفسية والخمسة السلبية والسبعة المعنوية ، لأنها ليست وجودية ، وقولهم (دالة على الواجبات والجائزات والمستحيلات) فصل ثان مخرج لبقية صفات المعاني ، لأنها ليست للدلالة .

وقولهم (ومنزهة عن الحروف والأصوات . . الخ) فصل ثالث مخرج لكل كلام يشمل على الحروف والأصوات ، ولو من الكتب المنزلة من عند الله تعالى ؛ كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان المسماة بكلام الله على سبيل المجاز المرسل ، نظراً للغة ، وعلى سبيل الحقيقة الشرعية نظراً للشرع .

[القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق]

والخاص أن الكلام يطلق على المعنى القائم بالذات المنزه عن جنس الحروف والأصوات وسائر أنواع التغيرات بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : { القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو

¹ - يا نصرت : 53 .
² - آل عمران : 15 .

كافر بالله العظيم }¹ أخرجه ابن شاهين² في السنة عن أبي الدرداء³ .

ويطلق أيضاً على العبارات الدالة عليه المسموعة لنا ، كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، بدليل قوله تعالى : { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله }⁴ .

ويطلق كذلك على نقوش الكتابة الدالة على تلك العبارات الدالة على ذلك المعنى بدليل قول السيدة عائشة رضي الله عنها : { ما بين دفتي المصحف كلام الله }⁵ والإطلاق الأول حقيقة لغوية وشرعية معاً لقول الأخطل⁶ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْقَوَادِ وَإِنَّمَا * جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَى الْقَوَادِ دَلِيلًا⁷

ولأن الشارع سماه كلاماً في حديث أبي الدرداء المتقدم .

وأما الإطلاقان الآخرين ؛ فهما حقيقة شرعية لا غير ، والقديم من ذلك كله إنما هو المعنى القائم بالذات العلية ، أما البواقي فهي دوال (ص 27) عليه حادثة .

¹ - لم ألق على مصدر هذا الحديث فيما بين يدي من المؤلفات .

² - جليل بن شاهين الشافعي الطاهري ، فقيه ، مفسر ، مؤرخ ، أديب ، شاعر ، ولد في بيت المقدس سنة 813 هـ له عدة مؤلفات من بينها : المواهب في اختلاف المذاهب ، توفي سنة 873 هـ ، معجم المؤلفين ، لمع رضاء كحالة ، ص 120 / 4 ، بشر مكتبة المعلى وعلم إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د - ت .

³ - أبو الدرداء ، اسمه غدير بن عامر بن مالك ، وقيل عامر بن مالك ، كان أحد أهل داره إسلاماً ، وكان فقيهاً عظاماً حكيماً ، شيد ما بعد أحد ، توفي سنة 32 في دمشق ، تولى القضاء ، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر ، كتاب الكنى ، ترجمة رقم 113 ، ص 792 - 793 ، تحقيق د / خليل مأمون شيخا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ / 2006 م .

⁴ - التوبة : 6 .

⁵ - ما وقعت عليه قول السيدة عائشة - رضي الله عنها - : (اقرأ ما بين يدي المصحف) الذي التقى والعذب التعبير في شرح التيسير ، تأليف أبي محمد عبد الواحد بن أبي الشداد الملقب (ت 785 هـ) تحقيق د / محمد بومرويت ، ص 71 / 1 ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1432 هـ / 2011 م .

⁶ - الأخطل : عجلت بن غوث بن الصلت بن الطارق الجوزي ، الشاعر المصنعي الملقب بالأخطل - المتوفى سنة 90 هـ - له ديوان شعر مطبوع في بيروت ، هداية الجارفين ، لإسماعيل باشا الهدادي ، ص 813 / 5 .

⁷ - حاشية السوفلي على أم البراهين ، للعلامة الشيخ محمد السوفلي ، طبع شرح البراهين للإمام محمد السوفلي ، ص 114 ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان ، تاريخ تأليفها 1214 هـ ، الطبعة بدون تاريخ .

[الحروف والأصوات دالة على كلام الله القديم]

ولذلك قال في المقدمات : والكلام الأزلي هو المعنى القائم بالذات المابى لجنس الحروف والأصوات المنزه عن سائر أنواع التعبيرات المعبر عنها بالعبارة المختلفة ، كالنور والإنجيل والزبور والفرقان ، وليست هذه العبارات عين كلامه تعالى ، لأنها بالحروف والأصوات ، وإنما هي دالة على كلام الله القديم ، أهـ¹ .

إذا فهمت ما ذكرناه انصح لك أن المراد هنا الكلام بالإطلاق الأول لأن علماء التوحيد إنما يحتجون عن الكلام القديم الذي هو صفة من صفات المعاني القائمة بذاته تعالى ، لا عن الكلام الحادث الذي هو اللفظ الدال على تلك الصفة ، ولذلك قال صاحب الجوهرة : -

وَنَزَّ الْقُرْآنَ أَيْ كَلَامَهُ * عَنِ الْخُدُوتِ وَأَحْذَرِ اسْتِقَامَهُ

وَكُلُّ نَصٍّ لِلْخُدُوتِ دَلَالًا * إِحْمِلْ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ دَلَّ²

والدليل على انصاف المولى بالكلام ، قوله تعالى : { وكلم الله موسى تكليماً }³ .

وإنما أظنت الكلام في مبحث الوجدانية من صفات السلوب ، وفي مبحث الكلام من صفات المعاني ؛ لأنهما من أهم مباحث هذا الفن حتى سُمي بهما ، وصار يقال له : فن التوحيد ، وفن الكلام ، كما لا يخفى .

¹ - ما رقت عليه في طرح المقدمات لإمام السنوسي : قوله : " والكلام الأزلي هو المعنى القائم بالذات ، والمعبر عنه بالعبارة المختلفة ، للذات لجنس الحروف والأصوات ، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والمكون والتجدد والحين والإعراب ، وصار أنواع التعبيرات المختلفة بما يتفق به العلم من المنطقت " تحقيق الأستاذ نزار حمادي ، تقديم الأستاذ سعيد عبد اللطيف فودة نشر مكتبة المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى 1430 هـ / 2009 م ، طبعة منزلة من شبكة المعلومات الدولية بتاريخ 2016/9/19 .
² - جامع مبادئ التوفيق ، المصدر السابق ، جوهرة التوحيد ، ص 18 .
³ - السام : 164 .

تبيه [صفة الكلام آخر صفات المعاني]

صفة الكلام هي آخر صفات المعاني ، وحكم صفات المعاني السبعة أنها واجبة لله بالوجوب العقلي ، وواجبة على المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقاداً ، والفروعي معرفة ، فتبته لذلك ولا تغفل .

[صفة القدرة]

الرابعة عشرة : كونه تعالى قادراً ، وقد حذفت منه في النظم لفظ (الكون) ، وأتيت بقادر مرفوعاً لضيق النظم ، ومعناه لغةً ضد كونه عاجزاً ، واصطلاحاً صفة حالية معللة بقيام القدرة بالذات .

فقولهم (صفة) جنس ، وقولهم (حالية) فصل مخرج للخمسة السلبية والسبعة المعاني ، لأنها ليست بأحوال ، وقولهم (معللة) فصل ثان مخرج للصفة النفسية ؛ لأنها حال غير معللة ، كما تقدم .

وقولهم (بقيام القدرة بالذات) فصل ثالث مخرج لبقية الصفات المعنوية ، لأنها معللة بقيام غير القدرة بالذات ، ودليل كونه قادراً هو دليل القدرة ، لأن الذات لا تتصف بكونها قادرة إلا إذا انصفت بالقدرة . (ص 28) .

[صفة الإرادة]

الخامسة عشرة : كونه تعالى مريداً ، وهو في النظم معطوف بشم التي بمعنى الواو بعد حذف (الكون) ورفع (مريداً) ؛ لضيق النظم على نسق ما قبله ، وفي الدوام متعلق بمريد ، ومعناه لغةً : ضد كونه كارهاً ، واصطلاحاً : صفة حالية (حالية)¹ معللة بقيام الإرادة بالذات .

¹ - كلمة : حالية : مكررة في الأصل .

فقولهم (صفة) حس ، وقولهم (حالية) فصل مخرج للخمسة السلبية
وللسبعة المعاني ، لأنها ليست بأحوال ، وقولهم (معلقة) فصل ثان
مخرج للصفة النفسية ، لأنها حال غير معلقة ، وقولهم (قيام الإرادة
بالذات) فصل ثالث مخرج لصفة المعنوية ، لأنها معلقة بقيام غير الإرادة
بالذات ، ودليل كونه مريداً هو دليل الإرادة ، لأن الذات لا تكون مريدة
إلا إذا قامت بها الإرادة ، كما لا يخفى .

[صفة العلم]

السادسة عشرة : كونه تعالى عالماً ، وهو في النظم على نسق ما
قبله من جهة حذف (الكون) ورفع (عالم) ، ومعناه لغة : ضد كونه
جاهلاً ، واصطلاحاً : صفة حالية معلقة بقيام العلم بالذات .
فقولهم (صفة) حس ، وقولهم (حالية) فصل مخرج للخمسة
السلبية ، وللسبعة المعاني ، لأنها ليست بأحوال ، وقولهم (معلقة)
فصل ثان مخرج للصفة النفسية ، لأنها حال غير معلقة ، وقولهم (قيام
العلم بالذات) فصل ثالث مخرج لصفة الصفات المعنوية ، لأنها معلقة
بقيام غير العلم بالذات ، كما لا يخفى .
ودليل كونه عالماً هو دليل العلم ، لأن الذات لا تكون عالمة إلا إذا
قام بها العلم ، كما لا يخفى .

[صفة الحياة]

السابعة عشرة : كونه تعالى حياً ، وهو في النظم على نسق ما قبله
من جهة حذف (الكون) ورفع (حي) (لصق النظم) ، ومعناه لغة :
ضد كونه ميتاً ، واصطلاحاً : صفة حالية معلقة بقيام الحياة بالذات
ويقال في مختصرات هذا التعريف : ما قيل في مختصرات تعريف كونه
قادراً ، ومريداً ، وعالماً .

ودليل كونه حياً هو دليل الحياة ، لأن الذات لا تكون حية إلا إذا
قامت بها الحياة ، كما لا يخفى .

[صفة السمع]

الثامنة عشرة : كونه تعالى سمعاً ، وهو في النظم على نسق ما قبله
من حذف (الكون) ورفع (سمع) ، ومعناه لغة : ضد كونه أصم .
واصطلاحاً : صفة حالية معلقة بقيام السمع بالذات ، ومختصرات هذا
التعريف : كمختصرات (ص 29) تعريف كونه قادراً ، ومريداً ، وعالماً .
ودليل كونه سمعاً هو دليل السمع ، لأن الذات لا تكون سمعية إلا
إذا اتصفت بالسمع ، كما لا يخفى .

[صفة البصر]

التاسعة عشرة : كونه تعالى بصيراً ، وهو في النظم على نسق ما قبله
من الحذف والرفع ، ومعناه لغة : ضد كونه أعمى ، واصطلاحاً صفة
حالية معلقة بقيام البصر بالذات ، ومختصرات هذا التعريف كمختصرات
التعاريف السابقة .
ودليل كونه بصيراً هو دليل البصر ، لأن الذات لا تكون بصرية إلا إذا
اتصفت بالبصر ، كما لا يخفى على من له بصيرة .

[صفة المتكلم]

الصفة العشرون : كونه تعالى متكلماً ، وهو في النظم على نسق ما
قبله من الحذف والرفع ، ومعناه لغة : ضد كونه أكم ، واصطلاحاً :
صفة حالية معلقة بقيام الكلام بالذات ، ومختصرات هذا التعريف
كمختصرات التعاريف السابقة .

ودليل كونه متكلماً : هو دليل الكلام ، لأن الذات لا تكون متكلمة إلا
إذا اتصفت بالكلام ، كما لا يخفى ، وقولنا في النظم : -

(بلا اللفظ الشهير) .

إعرابه : (الباء) : حرف جر - و (لا) : منجوز بالياء : لأنه اسم بمعنى
غير : إعرابها على ما بعدها : لمحتبها على صورة الحرف و (لا)
مضاف والمفعول بالجر : مضاف إلى مجزور بكسرة مقدرة على آخره ،
مع من ظهورها حركة الفارقة ، لأن كسرتي التي تحت مستعارة له من
(لا) على حد قولهم : جنب بلا زاد . أي بغير زاد . والشهير نعت للمفعول
وهو فعل ، بمعنى مفعول . والجار والمجزور متعلق بمتكلم .
ومعناه : أن الله تعالى متكلم بغير اللفظ المشهور بين الناس
المسمى بالقرآن الدال على المعنى القديم القائم بذاته تعالى ، لما
علمت من أنه حادث . بل بالمعنى القديم الذي دل عليه لفظ القرآن كما
علمت .

نتيجه [حكم الصفات المعنوية]¹

كونه تعالى منكلماً ، هو آخر الصفات المعنوية ، بل آخر الصفات
العشرين الواجبة لله تعالى ، وحكم الصفات المعنوية : أنها واجبة لله
تعالى بالوجوب العقلي الذي لا يتصور في العقل عذمه ، وواجبة على
المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقاداً ، ولو بالتقليد ، والفروع
معرفة للخروج من رتبة التقليد ، فتنه ولا تغفل . (ص 30) .

أنواع الصفات الإلهية

ثم قلت :-

(23) ثُمَّ الْوُجُودُ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ * وَخَمْسَةٌ مِنْ بَعْدِهَا سَلْبِيَّةٌ

(24) وَسَبْعَةٌ مِنْ بَعْدِهَا مَعْنَايٌ * وَبَعْدُ ذَلِكَ سَبْعَةٌ تَوَانِي²

¹ - هذا الترتيب لا يوجد في شرح ابن العلقام الصغير ، ص 56 . وصفة المتكلم غير صفة الكلام ، يقول الشيخ محمد بن أحمد العكازي
في البقرة القرآنية :- فواجب وجوده والقائم * يتفادى مختلفات وقيل
بأنه وسمعه والبصر * كلاته بغير كيف ينطق

ثم سمع ويحير لزماً * ومتكلم وتفي حسناً
تجوز في الترتيب القرآني ، للشيخ محمد العكازي ، صحيح وإشراق الصافي طاب الله وعلني عبد المحيط شغلان ، ص 48
عليه ناز القاب العربي ، ص 1377 هـ 1957 م

² - في الأصل : ماني ، وفي شرح ابن العلقام الصغير : تواني ، وهي أقرب ، ص 56 .

(25) نَدَعِي فِي الْأَصْطِلَاحِ مَعْنَوِيَّةٌ * عَلَى طَرِيقِ مَثَبِ الْخَالِيَةِ

(ثم) حرف استئناف بمعنى الواو ، والمعنى أن الصفات العشرين
التي تقدم ذكرها تنقسم إلى أربعة أقسام : نفسية ، وسلبية ، ومعاني
ومعنوية .

وبيان ذلك أن الصفة التي كانت وجودية : بحيث لو كشف لنا
الاحتجاب لرايناها موجودة قائمة بالذات العلية ، فهي صفة ذات معنى
كالقدرة والإرادة¹ . وإن لم تكن وجودية : فلا يتخلو إما أن يكون
مفهومها سلباً صدها عن موصوفها أو لا² .

فإن كان مفهومها سلباً صدها عن موصوفها ، فهي صفة سلبية
كالقدم ، والبقاء³ وإن لم يكن مفهومها سلباً صدها عن موصوفها .

فإن كان ثبوتها لموصوفها لازماً ونابعاً لثبوت صفة أخرى لذلك
الموصوف ، فهي صفة معنوية ، ككون الله قادراً ومريداً ، فإنه لازم
ونايع لثبوت القدرة والإرادة للذات ، بحيث لو لم ثبت القدرة الإرادة
للذات لم يثبت لها كونها قادرة ومريدة³ . وإن كان ثبوتها لموصوفها غير
لازم ونايع لثبوت صفة أخرى لذلك الموصوف فهي صفة نفسية
كالوجود .

فالنفسية صفة واحدة ، وهي الوجود ، وسميت نفسية نسبة إلى
النفس ، بمعنى الذات ، لأن الوصف بها يدل على خصوص الذات دون
أمر زائد عليها .

¹ - الإرادة : إضافة من شرح ابن العلقام الصغير ، ص 57 .

² - البقاء : إضافة من المصدر السابق ، نفس الصفحة .

³ - ومريداً : إضافة من شرح ابن العلقام الصغير ، ص 57 .

[الصفات السلبية]

والسلبية : حمس صعل : وهى : القدم ، والبقاء ، والمخافة
للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدة ، وسعت سلمية نسبة إلى السلب
بمعنى النفي : لأنها سلبت عن الله أمراً لا يلحق به .

والقدم سلب عنه الحدوث ، والبقاء سلب عنه الفناء ، والخالفه
للحوادث سلب عنه الممانعة ، والقيام بالنفس سلب عنه الانقراض [إلى
لمحل والمختصم] ، 2 ، والوجدانية سلبت عنه التعداد .

وعلى هذا تكون سلمية بمعنى: سالية لا مسئولة (ص 31) فهي
طلبية بمعنى فاعلة لا معقولة.

والمعاني سبع صفات وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والعناية
سمع، والنصر، والكلام، وسميت بصفتها المعاني، لأنها تدل على
س راند على الذات.

[الصفات المعنوية]

والمعصية سبع صفات أيضا، وهي كونه تعالى : قادرا ، ومريدا
وعالما ، وحيا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومنكلا .

وسميت مضبوطة نسبة إلى المعاني : لأنها ملازمة لها لا تنفك عنها ،
إذ لا توصف الذات بكونها قادرة إلا إذا انضمت بالقدره ، ولا توصف
بكونها مبردة إلا إذا انضمت بالإرادة ، ولا توصف بأنها عالمة إلا إذا
انضمت بالعلم . وهكذا باقيها .

{ وقولنا في النظم (والمعنوي سبعة نواحي) إشارة إلى
معنويات السبع ، كما لا يخفى }³

¹ - في خروج باب العقدة الصخر والسيلاب، ص 57.

١٠ - ما بين القوسين : إضافة من طرح في العدد الصغير ، من 54

۱۰۰ ماہنامہ انجمن اہل حق و باطل، شریعت اسلامیہ، ص ۱۰۰

وقولنا في النظم (على طريق صفة الحالة) معناه أننا جئنا في هذا النظم على طريق من يقول بصفات الأحوال ، حيث جعلنا المعنويات من الصفات الواجبة لله تعالى . وهي طريقة الغاصي البافلاني ¹ وأمام الحرمين ² .

وأما جرياً على هذه الطريقة لقول ابن حمدون² في حاشيته على شرح مباره⁴ الصغير على المرشد المعين، ما نصه: تسه النفس أميل إلى القول بنون الأحوال، كما في شرح الوسطي⁵ لأن اللوامر بحسب وحظر الجهل هنا عظيم، اهـ⁶.

والطريقة الثانية : طريقة الأشعري " القائل بغير الخيال . وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم ، فالثابت عنده من الصفات التي تقوم بالذات إنما هو صفات المعاني . أما المعنوية فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات ، لا أن لها توباً في الخارج بحيث يقال إنها قائمة بالذات وهذا لا ينافي أنها أمر اعتساري ثابت في نفسه ، فبأنمل !

العقائد المستتبطة

ثم قلت :-

(26) وَاسْتَبْطِ الْبَعْضُ مِنَ السَّلَیَّةِ * عَفَانِدًا أَرْبَعَةَ صُفُفِهِ

هو محمد بن محمد بن يحيى القاضي أبو بكر الباقلي، من علماء الشافعي، سلك بغداد، وتوفي بها سنة 403 هـ.
 له كتابان: منها: اعتدال القرآن، وكتاب الأصول لطيفة، والمثل والشعر، وخرق، فيه لأدق، الإبداع في الأعيان
 من 659

[illegible]

١٠٠٠ من هؤلاء. لغة هؤلاء من معدن من موسى الألبانسي، يدعى القيق أو القاش وغيره. ولغة آخر معدن يدعى أم ملام. القاش له عشية على حصن جبل، يوفي عام ١٥٧١ هـ. (الفتح) والظاهر في تبتل بقية المعدن. (معدن من أحياء القادري = التبرامة وتحتوي). مارية تاللي، تاليم الشكير. معدن من يوليا. ترجمة عام ١٥٩٩ م. ٢٢٢. (در الشريعة العربية للشيخ التبرامة والشاعر). (الترجمة عام ١٥٩٩ م. مغرب).

١ - مازا - محمد بن الحسن بن محمد القاضي، الشهير بـ «مازا»، ولد سنة 999 هـ، له آثار علمية، منها كتاب المن والصور، الذي في شرح المروءة المعنى على الضروري من علوم الدين، بطول، ومختصر، توفي سنة 1072 هـ، معتمد الموفق المصنف السابق، من 9/

١ - إشارة إلى شرح العقيدة الواسطية للإمام محمد بن يوسف السبوسي، طبع في مطبعة النعمان بدمشق سنة 1327 هـ. / ٢ - تأليف علي حاشية العلامة أبي عبد الله محمد الطباطبائي من المجلدات على تراجم لبعض العلاة محمد بن الطاهر القاسبي الشيرازي، مطبعة الجمهورية بدمشق سنة 1360 هـ.

قائمة - طبعة سنة [36] هـ - رواية صاحب مزار الوفاي - من - 45 - تدونكر بها مكان الطيف -

(27) وهي تتره الإله عن الغرض * وعن مؤثر بقوة الغرض
(28) وعن مؤثر بطبع قاعلم * وعن مشاركة له في القدم
وأقول :

معنى هذه الأبيات الثلاثة : أن بعض المؤلفين في فن التوحيد وهو الإمام محمد بن يوسف السنوسي¹ [مؤلف أم البراهين]² ومن تبعه استبط (أي ص 32) استخرج من الصفات السلبية (عقائدا) - بالنسبة لثبوت نعت لعقائد - ضمنية ، أي بالنسبة لضرورة الوزن - أربعة - وإنما صرحوا بها ولم يكتفوا بالسلبات عنها داخله في ضمن السلبات ، وإنما بدلالة الالتزام ولا بدلالة التضمن في لأن علماء هذا الفن لم يكتفوا بدلالة الالتزام ، فلذلك صرحوا بهذه محل الخلاف ، لأن خطر التهل في العقائد شديد ، فلذلك صرحوا بهذه العقائد الضمنية الأربعة للرد على المخالفين وهي نفس الغرض وما عطف عليه .

وها أنا أشرحها على الترتيب : فأقول :-

الأولى ، (تتره الإله عن الغرض) .
- بالنسبة للمعجزة المفتوحة ، مع فتح الرأى ، والتعريف بال لكن حذف منه أداة التعريف في النظم لضرورة الوزن -

وهو لغة : الهدف الذي يرمى إليه ، واصطلاحاً : هو المصلحة الباعنة على الفعل ، أي أن المولى لا يتصف بالغرض في جميع ما يصدر عنه من الأفعال ، أو الأحكام ، فإذا أوجد زيداً ، وعمراً ، وخالداً ويكراً ، لم يكن له في إيجادهم غرض ، وكذلك إذا أفقرهم ، أو أغناهم ، أو أفقر بعضهم وأغنى بعضهم ؛ لم يكن له في إفقار من أفقره ، ولا في إغناء من أغناهم غرض .

¹ - محمد بن يوسف بن يوسف السنوسي القسبي الحنبلي ، متوفى سنة 890 هـ ، معجم المؤلفين ، المختصر السليق ، ص 332 .
² - محمد بن يوسف بن يوسف بن يوسف السنوسي القسبي الحنبلي ، متوفى سنة 890 هـ ، معجم المؤلفين ، المختصر السليق ، ص 332 .

كما أنه لم يكن له في فرض الصلاة والركاة والصوم والحج على عباده غرض بقصد ، ولا يرد على ذلك قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)¹ ، لأن اللام فيه التامة والضرورة لا للتعليل .

قال العلامة السجوري : في حاشيته على أم البراهين : اعلم أن أفعال المولى وأحكامه ، وإن كانت تتره عن الغرض ، إلا أنها لا تخلو عن حكمة ، وإن لم تصل إليها عقولنا ؛ لأنها لو لم تكن لحكمة لكانت عبثاً ، والعبث عن الله تعالى محال ، والفرق بين الغرض والحكمة أن الغرض يكون مقصوداً من الفعل أو الحكم بحيث يكون باعثاً وحاملاً عليه ، والحكمة لا يكون كذلك² .

وقال أيضاً : لا يخفى أن تتره المولى عن الأغراض مما يندرج تحت المخالفة للحوادث ، وقد تقدم ذكرها ، وإنما نص عليه المصنف السنوسي - مع الاندراج المذكور - لمزيد الاهتمام به دفعا لتوهم عدم اندراج ذلك في كلمة التوحيد ، أ هـ³ .

والظاهر أنه نص عليه للرد على (ص 33) المعتزلة الذين جعلوا أفعال الله وأحكامه معثلة بالأغراض حيث قالوا : إنه تعالى لا يفعل فعلاً ولا يحكم بحكم إلا لغرض باعث له على ذلك ، لأن الفعل الخالي عن الغرض بعده العقل عبثاً ، وهو محال عن الله تعالى .

الثانية ، (تتره - تعالى - عن مؤثر بقوة الغرض)
أي عن سبب يؤثر معه بقوة تسمى بالغرض - بفتح الرأى - فإضافة قوة إلى الغرض من إضافة المسمى للاسم ، كقوله الخميس .

¹ - القرآن : 56 .
² - قال الإمام السجوري في حاشيته على أم البراهين : " اعلم أن الغرض والعقائد ، وإن كانت متره عن الغرض فكذلك لا تخلو عن حكمة وإن لم تصل إليها عقولنا ، لأنه لو لم تكن لحكمة لكانت عبثاً ، وهو محال عليه ، " معجم المؤلفين " أربعة : راء 20 ووجه 2 = الحاشية السجوري على الموصلة [ص 332] مطبوعة بدمشق عن المطبع الخديوي في مكتبة جامعة دمشق ، وقد انطبعت في سنة 1241 هـ ، من نسخة المطبعات الخديوية .
³ - قال الإمام السجوري في حاشيته على أم البراهين : " أنه لا تخلو أحكامه العامة في جميعها ، فلا تخلو قدر في الحوادث ، ولا تخلو في الشئ من الشئ ، ولا تخلو في الشئ من الشئ ، " معجم المؤلفين ، المختصر السليق ، ص 332 .

لأن القوة الخادئة تسمى عرساً عند علماء التوحيد . قال الإمام السنوسي في أم البراهين :-
وَأَمَّا أَنْ قَدَرْتَ أَنْ تَشَاءَ مِنَ الْكَائِنَاتِ بِؤْتَرِ بَقْوَةِ جَعْلِهَا اللَّهُ فِيهِ - كَمَا يَرْعَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ - فَذَلِكَ مُحَالٌ أَيْضاً ، لِأَنَّهُ يَبْصُرُ حَيْثُ مَوْلَانَا جُلَّ وَعَرَّ مَعْتَقِرَا فِي إِجَادِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ إِلَى وَاسْطَةٍ .

قال العلامة السجوري في حاشيته على أم البراهين ، أي نفى التأثير بالقوة يندرج تحت الغنى المطلق ، وإنما نص السنوسي عليه بالخصوص للرد على الجهلة من عامة المؤمنين ، فإنهم يعتقدون أن الأسباب العادية تؤثر بقوة جعلها الله فيها ، ولو نزعها منها لم تؤثر . وحسب ، فالمراد بالجهلة عوام المؤمنين كما علمت ، وليس المراد بهم المعتزلة لأنهم لا يقولون بأن الأسباب العادية تؤثر بقوة جعلها الله فيها ؛ وإنما يقولون بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقوة خلقها الله فيه . وأيضاً لا يحسن التعبير عنهم بالجهلة ، كما قرره بعض الأفاضل .
أَهْ . ! لَأَنَّهُمْ أَهْلُ عِلْمٍ وَبَحْثٍ كَمَا لَا يَخْفَى .

الثالثة : (تترهه - تعالى - عن مؤثر بطبعه) .

أي عن سبب يؤثر معه بطبعه ، وقولنا (فاعلم) خشو لضرورة الوزن . قال الإمام السنوسي في أم البراهين : ويؤخذ منه أيضاً أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما ، وإلا لزم أن يستغنى ذلك الأثر عن مولانا - جل وعز - كيف وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه عموماً وعلى كل حال هذا إن قدرت أن تشاء من الكائنات يؤثر بطبعه ، أ هـ .

2

1 - يقول الإمام السجوري : " ... أو يكون معه في الوجود مؤثر ، إلخ ، فيه رد على المعتزلة في قولهم بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بغيره فخلقها لله فيه ، والتصحيح عندنا هو ذلك ، لأنهم لم يجعلوا خالقاً للعبد كخالق الله تعالى حيث جعلوا العبد معقراً إلى الأبد والوسط جلالته تعالى " حاشية السجوري على أم البراهين ، مخطوط ، المصدر السابق ، لوحة رقم 21 وجه رقم 1 .
2 - ما جاء في أم البراهين : " ويؤخذ منه أيضاً أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما ، وإلا لزم أن يستغنى ذلك الأثر عن مولانا جل وعز ، كيف وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه عموماً ، وعلى كل حال ، هذا إن قدرت أن تشاء من الكائنات يؤثر بطبعه ، وإنما إن قدرت مؤثراً بقوة جعلها لله فيه ، كما راعه كثير من الجهلة ، فذلك محال أيضاً " جامع مهمات المتن ، ص 9 .

ولا يخفى أن نفى التأثير بالطبع مما يندرج في الوجدانية ؛ لأنه يؤخذ من وجدانية (ص 34) الأفعال ، وإنما نص السنوسي عليه بالخصوص للرد على الطبايعيين¹ الذين يقولون بتأثير الطبايع والأمزجة ، وعلى الفلاسفة الذين يقولون بتأثير العلة في معلولاتها² .

وبما أن ذلك أن الطبايعيين يقولون : النار تحرق بطبيعتها ، والنسكين يقطع بطبيعته ، والطعام يشبع بطبيعته ، والماء يروي بطبيعته ، وإن الفلاسفة يقولون : يلزم من وجود العلة وجود المعلول ، فعددهم يلزم من وجود الشمس : وجود الاصفرار في البلح والبطيخ ، ويلزم من وجود القمر : وجود الخلاوة فيهما من غير أن يكون لله فيهما اختيار ويلزم من وجود حركة اليد : وجود حركة الخاتم الذي فيها ، من غير أن يكون لله فيها اختيار .

والفرق بين تأثير الطبع وتأثير العلة : أن التأثير بالطبع يتوقف على وجود الشرط وانتفاء المانع ، كالإحراق بالنسبة للنار ، فإنه يتوقف على شرط مماسة النار للشيء المحرق ، وانتفاء مانع البلب فيه ، وإن التأثير بالعلة لا يتوقف على ذلك ، بل كلما وجدت العلة وجد المعلول ، كحركة الخاتم بالنسبة لحركة الإصبع ، ولذا قالوا : يلزم اقتران العلة بمعلولها ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها ؛ إما لفقد شرط أو لوجود مانع وكلا الاعتقادين كفر عند أهل العلة الإسلامية .

قال القطب الدردير³ في خريدة التوحيد :-

وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبِيعِ أَوْ بِالْعِلَّةِ * قَدَّاتْ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمَةِ⁴

1 - جاء في كتاب التلخيص بعد المعاني ، لابن الجوزي ، وملاح فقد المحبوب بملفئة أشياء أجمعاً أن يعلم أن الفكر قد سبق بذلك قال له عز وجل (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) ثم قال سبحانه : (لَكَلَّا تَسْأَلُوا عَلَى مَا فَتَكُم) والمعنى أن المصائب مقدر لا أنها وقعت على وجه الاتفاق كما يقول الطبايعيون ولا أنها عتبت بأن هي صادرة عن حادثات عدة محركات الأمور ومقتات الأعمال وإذا كانت صادرة عن الغير حكم لا بحث لها لغير من فساد أو لتخصيص لغير أو لتعوية على نيب وقع التمثيل بذلك . ص 17 / 29 . تحقيق عبد الله الشاذلي الأنصاري ، الطبعة الأولى مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان ، 1408 هـ .

2 - يرجع في هذا المجال نظم الشيخ محمد مفتاح فريز " تعريفات الفلسفة " فقد تناول فيه تعريف العلم والظهور عند القدماء والمسلمين وآراء الفلاسفة ، مع شرحه ، نشر في كتاب " فتاوى العلامة الشيخ محمد مفتاح فريز وبعض آراء الفلاسفة " جمع وتحقيق وإعطاء جمعة محمود الزريقي ، نشر جمعية (وأبشروا) زاوية المحبوب ، مصراتة ، ليبيا ، 1437 هـ / 2016 م .

3 - أبو البركات أحمد بن محمد العدوي الشهير بالزوايلي ، أخذ عن الشيخ الصنعدي وغيره ، وأخذ عنه جلة من العلماء ، له مؤلفات منها ترح المصنف ، وأقرب المسالك ، والخريدة البهية ، وادسة 1127 هـ بمصر ، وكانت وفاته سنة 1201 هـ ، هدية العارفين (إسمايل بلش الخديدي ، ص 181 / 5 ، وشجرة النور الزكية ، أحمد مطوف ، ص 259 / 3).

والعقيدة الصحيحة المنجية من عذاب النار - إن شاء الله تعالى -
أن يعتقد الإنسان أنه لا تأثير إلا لله الواحد القهار ، فلا تأثير للنار في
الإحراق ، ولا للسكين في القطع ، ولا للطعام في الشبع ، ولا للماء
في الري والإنبات ، ولا للشمس في اصفرار البلح والبطيخ ، ولا للقمر
في وجود الخلاوة فهما ، وإنما هي أسباب عادية جرت عادة الله
تعالى بمحض إرادته واختياره أن يقارنها بمسبباتها ، ويخلق الشيء
عندها لا بها ، فنأمل !

الرابعة : (تنزهه - تعالى - عن مشارك له في القدم)
يكسر القاف وفتح الدال ، أي أن المولى منزّه عن وجود شريك له
في القدم ، قاله تعالى كما أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، كذلك
هو واحد في قدمه ، ويلزم من ذلك (ص 35) نفى قدم العالم
ونبوت حدوثه ، وكل متغير حادث ، وهذه العقيدة عبر عنها السنوسى
في أم البراهين بحدوث العالم : حيث قال فيها : ويؤخذ منه حدوث
العالم بأسره ، إذ لو كان شيء منه قديماً ؛ لكان ذلك الشيء مستغنياً
عنه تعالى ، كيف وهو الذي يجب أن يقتصر إليه كل ما سواه ، أ هـ ² .

ولا يرد علينا ما ورد عليه من أن حدوث العالم ليس من العقائد
الواجبة لله تعالى ، وإنما هو من براهينها ؛ لأننا عبرنا - في النظم -
بالملزوم الذي هو تنزه المولى عن وجود مشارك له في القدم ، وهو
عين وحدانية الله في القدم ، ولا شك أنها من العقائد الواجبة لله
تعالى ويلزم منها حدوث العالم بأسره ، وأما السنوسى فقد عبر باللازم
الذي هو حدوث العالم ، فورد عليه الاعتراض المتقدم .

[الرد على الفلاسفة القدماء]

قال العلامة السيوري في حاشيته على أم البراهين : والغرض
من ذلك الرد على فلاسفة اليونان القدماء ، وهم كفار من الروم كانوا

² - الفريدة البهية في العقائد التوحيدية ، تأليف الفركتات أحمد بن محمد الدردير ، جامع مهمات المتن ، المصدر السابق ، ص 69 .
³ - أم البراهين في العقائد ، تأليف السنوسى ، جامع مهمات المتن ، المصدر السابق ، ص 9 .

أهل حكمة وعقل ، أخذوا في الترييض والترهد ، ولما بُعث موسى
عليه السلام في زمانهم ؛ دعاهم إلى شريعته ، فأبوا واستكبروا
وقالوا : نحن في غيبة عما عندك ، فإنا نقول بما نقول وزيادة ، وقد
قالوا بقدم العالم ، لكن إنما قالوا بقدم أصوله ، وهى العناصر الأربعة
: الماء ، والتراب ، والهواء ، والنار ، أ هـ ¹ .

وقال القطب الدردير - في شرح الخريدة - ما نصه : واعلم أن
الفلاسفة ، كما قالوا بتأثير الطبايع والعلل ؛ قالوا إن الواجب الوجود أثر
في العالم بالعلة ، فهو تعالى علة فيه ، فلذا قالوا : إن العالم قديم
لأنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول ، فقد أثبتوا له تعالى عدم
الاختبار ، وعدم القدرة ، ولا شك في كفرهم عند المسلمين .

والحاصل ، أن الفاعل بحسب الفرض والتقدير ثلاثة : فاعل بالطبع
وفاعل بالعلة ، وفاعل بالاختيار ، وهو إن شاء فعل ، وإن شاء ترك
وكلها قال بها الفلاسفة ، وأما المسلمون فلم يقولوا إلا بالآخر ، أ هـ ² .

وسمى ما سوى الله تعالى من المخلوقات عالماً - بفتح اللام - لأنه
علامة على وجود صانعه ، قال القطب الدردير في خريدة التوحيد : -
(ص 36) :

إِذْ ظَاهِرٌ بِأَنَّ كُلَّ أَثَرٍ * يَهْدِي إِلَى مُؤَثِّرٍ قَاعْتَبِيرٍ ³

ثم شرعت في بيان ما يتعلق من الصفات الإلهية .
فقلت : -

تعلقات بعض صفات المعاني

(29) وَإِنَّمَا تَعَلَّقَتْ نَيْتَ صِفَاتٍ * مِنَ الْمَعَانِي وَهِيَ مَا سِوَى الْحَيَاةِ

² - السيوري على أم البراهين ، وفي الأصل : إن رئيسهم كان العليلسون ، قال ابن الصلاح : ولم يكن عالماً ، لوجه
رقم 21 وجه 2 .

³ - شرح الخريدة في علم التوحيد ، لتأليف أبي الفركتات عيسى أحمد الدردير ، تصحيح حسين عبد الرحيم مكي - ص 26 ، مكتبة
ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر ، القاهرة ، د - ت ، عليه ملاحظة أنه مقرر دراستي بالأزهر في 1954/10/1م
³ - الخريدة البهية في العقائد التوحيدية ، جامع مهمات المتن ، المصدر السابق ، ص 68 .

(30) فالقدرة الإرادة القديمتان * بالممكنات كلها تعلقان
(31) والسمع والبصر فيما خرا * تعلقا بكل موجود يرى

(32) والعلم والكلام قد تعلقا * بخمسة الأقسام فيما خفيا
لما كانت (إنما) من أدوات الفهم ، أتينا بها في أول هذه الأبيات لإفادة الخصر : والمعنى أن صفات المولى التي تقدم ذكرها لم تتعلق منها سوى ثلاث صفات من صفات الحياة : القدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، وهذه الستة هي التي تتعلق بغيرها ، وما عداها لا يتعلق بشيء .

[معنى التعلق عند علماء الكلام]

والتعلق عند علماء الكلام : هو طلب الصفة أمرا زائدا على قيامها بالذات العلية ، فالقدرة تطلب مقدورا تنجزه ، والإرادة تطلب مرادا تخصصه ، والسمع يطلب مسموعا يراقبه ، والبصر يطلب مبصرا - يفتح الصادر - يشاهده ، والعلم يطلب معلوما يحيط به ، والكلام يطلب معنى يدل عليه ، لكن هذه الصفات الستة بالنسبة لما تتعلق به : تنقسم إلى ثلاثة أقسام :-

فقسم لا يتعلق إلا بالممكنات ، [تعلقا صلوحيا قديما ، وبعض الممكنات تعلقا تنجزيا حادئا]¹ ، وهو القدرة والإرادة .

وقسم لا يتعلق إلا بالموجودات ، وهو السمع والبصر .

وقسم يتعلق بأقسام الحكم العقلي الثلاثة ، وهو العلم والكلام .

والى القسم الأول أشرت - في النظم - بقولى :-

فَالْقُدْرَةُ الْإِرَادَةُ الْقَدِيمَتَانِ * بِالْمُمْكِنَاتِ كُلِّهَا تَعْلِقَانِ

فَالْقُدْرَةُ : مبتدأ ، والإرادة معظوفة على القدرة ، بإسقاط العاطف ، والقديمتان : نعت للقدرة والإرادة ، وبالممكنات : جار ومجرور متعلق بالفعل الذي بعده ، وهو تعلقان ، وإنما قدم عليه لإفادة الخصر ، وتعلقان : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والالف ضمير الاثنين : فاعل ، وأصله : تعلقان ، حذف منه إحدى (ص 37) الباعين ، والجملة خبر المبتدأ .

[تعلق القدرة والإرادة بالممكنات]

والمعنى أن القدرة والإرادة القديمتين لا تعلقان إلا بالممكنات ، إلا أن جهة تعلقهما بالممكنات مختلفة ، فالقدرة تتعلق بالممكنات تعلق تنجز ، والإرادة تتعلق بها تعلق تخصص ، ويؤخذ من الخصر الذي دل عليه تقديم الجار والمجرور على عامله : أنهما لا يتعلقان بالواجب ولا بالمستحيل ، وهو كذلك .

قال العلامة الدردير في شرح خريدة التوحيد : وإنما لم تتعلق القدرة الإرادة بالواجب والمستحيل : لأنهما لما كانتا صفتي تأثير ، ومن لازم الأثر وجوده بعد عدم ، لزم أن ما لم يقبل العدم أصلا ، وهو الواجب ، وما لم يقبل الوجود أصلا ، وهو المستحيل ، لم يصح أن يكون أثرا لهما ، والا لزم تحصيل الحاصل ، إن تعلقنا بإيجاد الواجب ، أو بإعدام المستحيل ، وقلب الحقائق إن تعلقنا بإعدام الواجب ، أو بإيجاد المستحيل ، بحيث يصير الواجب أو المستحيل جائزا .

وهو تهافت لا يعقل ، فالكمال المطلق في عدم تعلقهما بالواجب والمستحيل لما علمت ، والنقص الذي ما بعده : نقص في تعلقهما بذلك ، المؤدي إلى إعدامهما لأنفسهما ، وإعدامهما للذات العلية ، وإيجاد الشريك والعجز والجهل - نعود بالله من الضلال - الذي تمسك به بعض أهل الاختلال ، أهـ دردير¹ .

¹ - شرح الخريدة في علم التوحيد ، الدردير ، المصنف السابق ، ص 37 مع تصريف قبل .

¹ - ما بين القوسين : إضافة من شرح لب العقائد الصغير ، ص 68 .

والمراد بهذا (ابن حزم)¹ الذي قال : إن الله قادر أن يتخذ ولدا
والأول كان عاجزا ،² قال العلامة البيهقري في حاشيته على أم البراهين
وكانه أخذ هذا من قصة إدريس مع إبليس .

[قصة النبي إدريس مع إبليس]

وهي أن إدريس كان بخيط خلّه ، وهو يقول في دخول الإبرة
وخروجها : سبحان الله والحمد لله ، فجاءه إبليس في صورة إنسان
بفسرة بيضة ، وقيل بفسرة فسقة³ ، وقال : هل الله يقدر أن يجعل
الدنيا في هذه الفسرة ؟ فقال له إدريس : الله يقدر أن يجعل الدنيا
في سمّ هذه الإبرة ، أي خرقها ، ونخس إحدى عينيه فصار أعور ، قال
بعضهم وأرجو أن تكون اليمنى ، واختار نخس إحدى عينيه ليطغى نور
بصره ، كما أراد أن يطفئ نور الإيمان ، فإن الجزاء (ص 38) من
جنس العمل .

ووجه الأخذ أنه توهم أن مراد إدريس أن الله يقدر أن يجعل الدنيا
بهيتها التي هي عليها في الفسرة المذكورة بهيتها التي هي عليها ، مع
أن هذا مستحيل : لاستحالة اجتماع الأجسام الكثيفة في حيز واحد
وليس هذا مرادا ، بل المراد أن الله يقدر أن يصغر الدنيا جدا ، أو يكبر
الفسرة كذلك ، ويجعل هذه في هذه ، وهذا ليس بمستحيل ، وإنما لم
يصرح له إدريس بذلك ، لأنه سائل متعنت قبحه الله ، أ - هـ⁴ .

ومن هنا تعلم أنه إذا قال لك شخص : هل المولى قادر على
إخراجك عن ملكه أم لا ؟ فقل له - في الجواب - : وجود ملك آخر
يخرجني إليه مستحيل ، والمستحيل لا تتعلق به القدرة ، ولا تقل له

¹ - انظر على من بعد ابن حزم ، وقد غطت سنة 384 هـ ، كان عالما بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً للأحكام من
الكتاب والسنة ، بعد أن كان شافعيًا تنقل في المذهب الظاهري ، كان كثير العلم واسع المعرفة ، له مؤلفات كثيرة ، كانت وفاته سنة
456 هـ ، وفيات الأعيان ، لأن عثمان ، ترجمة رقم 448 ، من 284 - 289 / 3 .
² - قل ابن حزم في كتابه المسمى " وقد أخبر عز وجل أنه فأن على ما لا يكون أبداً ، ، ولم لم يكن تعالى كذلك ، فكان متناهي القدرة
ولو كان متناهي القدرة ، فكان محدثا ، تعالى الله عن ذلك ، وهو تعالى مرشداً كل ما خلق ، " باب التوحيد ، من 33 الجزء الأول
طبعة دار الفكر ، بدون تاريخ ، طبعه مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة ، منها النسخة التي حققها الأستاذ الشيخ
أحمد محمد شاكر .
³ - الفسق : نفع للحد ولم المبدأ المعنى والنية ، ترتيب القاموس المحيط ، الشيخ الطاهر أحمد الزاوي ، مادة (ف من ت ق)
من 489 / 3 ، دار التعريب للكتاب ، ليبيا - تونس ، الطبعة الثالثة ، 1980 م .
⁴ - جالبية البيهقري على أم البراهين ، المصدر السابق ، لوحة رقم 15 ووجه 2 ، ولوحة رقم 16 ووجه 1 .

قادر : لأنه يؤدي إلى المستحيل ، ولا غير قادر : لأنه يؤدي إلى العجز
فنأمل ! .

[تعلق القدرة والإرادة بجميع الممكنات]

ويؤخذ من قولنا : كلها إن القدرة والإرادة تتعلقان بجميع الممكنات
لا ببعضها : لأن كل من ألفاظ التوكيد التي يؤتى بها لإفادة العموم ، أي
تؤثران في وجود كل ممكن وعدمه ، فإن قلت : ما لم يدخل في
الوجود من الممكنات لا ينحصر ، فأين التأثير فيه ؟ ، قلت المراد بقولنا
تؤثران ، أي تصلحان للتأثير في كل ممكن ، والصلاحي عام فيما وجد وما
لم يوجد ، فهو يشير إلى تعلقهما بالصلوحي القديم : لأن معناه أنهما
صالحتان للتعلق بكل ممكن ، ولا يشير إلى تعلقهما بالتجزئي الحادث
لأنهما لا يتعلقان تعلقا تنجزيا حادثا بكل ممكن .

ألا ترى أنهما إذا تعلقا بإيجاد شيء لا يتعلقان بإعدامه في آن واحد
لأنه من التناقض الذي لا يقبله العقل ، وبقي للقدرة تعلق ثالث يسمى
تعلق قبضة ، ومعناه : أن الشيء بعد وجوده يكون في قبضة الله -
عز وجل - إن شاء أبقيه موجودا أو إن شاء أعدمه بقدرته ، وبقي أيضا
للإرادة تعلق ثالث ، يسمى تعلقا تنجزيا قديما ، وهو تخصيصها الممكن
ببعض ما يجوز عليه من الممكنات المتقابلات بالفعل .

والحاصل أن القدرة لها على سبيل الإجمال ثلاثة تعلقات : صلوحي
قديم ، وتنجزري حادث ، وتعلق قبضة ، أن الإرادة لها على سبيل
الإجمال ثلاثة تعلقات أيضا (ص 39) صلوحي قديم ، وتنجزري قديم
وتنجزري حادث ، على الأصح ، خلافا لمن نفى التنجزري الحادث ، وقال
لا حاجة إليه .

[تعلق السمع والبصر]

والى القسم الثاني أشرت بقولي :

والسمع والبصر فيما حررا * تعلقا بكل موجود يرى

والمعنى أن السمع والبصر في القول الذي حرره أهل هذا الفن
بتعلقات بكل موجود يصح أن يرى ، سواء كان الموجود قديما أو حادثا
فسمع المولى - عز وجل - ويرى في أزله ذاته العلية ، وجميع صفاته
الوجودية ، وسمع ويرى - تبارك وتعالى - مع ذلك فيما لا يزال دوات
الكانات كلها ، وجميع صفاتها الوجودية ، سواء كانت من قبيل الأصوات
أو من قبيل غيرها ، أجساما كانت أو أكوانا ، أو ألوانا ، أو غيرها .

لكن تعلقيهما بالموجود القديم : تعلق بتحيزي قديم ، وتعلقيهما
بالموجود الحادث تعلق بصلوحي قديم ، قبل وجوده ، وتحيزي حادث
بعد وجوده ، وبذلك يكون لكل من السمع والبصر ثلاثة تعلقات ، كما لا
يخفى ، فإملأ ! وقد تقدم أن جهة التعلق فيهما مختلفة ، فالسمع
يتعلق بكل موجود تعلق مراقبة ، والبصر يتعلق به تعلق مشاهدة .

[تعلق العلم والكلام بالحكم العقلي]

والى القسم الثالث أسرت بقولى :-

والعلم والكلام قد تعلقا * بحملة الأقسام فيما حقا

والمعنى أن علم الله وكلامه يتعلقان بحملة أقسام الحكم العقلي
الثلاثة : التى هي الواجب ، والمستحيل ، والجائز ، إلا أن تعلقيهما بذلك
مختلف ، فتعلق العلم بأقسام الحكم العقلي الثلاثة : تعلق إحاطة
وأصلا ، وتعلق الكلام بها تعلق دلالة ، فالله سبحانه وتعالى يعلم ذاته
وجميع صفاته ، ويعلم استحالة الشريك والصاحبة والولد ، ويعلم ذواتنا
وجميع صفاتها قبل أن توجد وبعد وجودها .

فجميع ذلك معلوم عنده بعلمه القديم جملة وتفصيلا ، وليس
للعلم إلا تعلق واحد بتحيزي قديم لا غير ، ودل كلامه القديم على ذاته
وجميع صفاته ، وعلى استحالة الشريك والصاحبة والولد ، على جوار
ذواتنا وجميع صفاتها ، وليس للكلام - في غير الأمر والنهي - إلا تعلق
واحد بتحيزي قديم .

وأما في الأمر والنهي : فله تعلقان صلوحي قديم (ص 40) قبل
وجود المأمورين والمنهين ، تحيزي حادث بعد وجودهم .

ولما فرغت من تعلقات صفات المعاني : شرعت في الكلام على
تأثير القدرة ، وتخصيص الإرادة ، وهما من لواحق التعلقات .

فقلت :-

[تأثير القدرة وتخصيص الإرادة]

(33) وَقُدْرَةُ اللَّهِ لَدُنَّا أَنْتَر * وَفَقَّ الْإِرَادَةُ الَّتِي قَدْ خُصِّصَتْ

(34) عَلَى وَفَاقِ عِلْمِهِ لَا الْأَمْر * وَلَا الرِّضَى أَيْضًا فَحَقِّقْ وَأَنْتَر

[وأقول (الواو) في البيت الأول للاستئناف و (قدرة) بالرفع مبتدأ
وجملة (أنتَر) في محل رفع خبر المبتدأ الذي قبله * و (لدينا)
ظرف بمعنى عندنا ، متعلق بالفعل الذي بعده ، وهو (أنتَر) وإنما
قدم عليه لإفادة الاختصاص والخصر . أنتَر وخصص : ماضيان بمعنى
المضارع ، فأنتَر بمعنى تؤثر ، وخصصت بمعنى تخصص . على حد
قول الله تعالى :-

{ أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ }² . بمعنى : بأنى ، (وفق) بمعنى بأنى : منصوب
على نزع الخافض ، أي على وفق الإرادة .

والمعنى : أن قدرة الله تعالى عندنا معشر أهل السنة : تؤثر ، أي
تتعلق بالممكنات تعلق تأثير على وفق الإرادة التى تخصص . أي
تتعلق بالممكنات تعلق تخصص على وفق علمه تعالى ، لا على وفق
أمره ولا على وفق رضاه ، فحقق ذلك وأدره ، أي أعلمه .

خلافًا للمعتزلة في قولهم إن الإرادة تخصص على وفق الأمر
والرضى ، وأن كل ما نهى الله عنه ، كالغشياء والمنكر ، وكلما لا

¹ - ما قبل القسمين تعلقات من كتاب شرح آداب العقائد الصغرى - ص 79 .
² - الفصل 2 .

يرضى به من عباده كالكفر ، لم تعلق به إرادة الله تعالى ، مع أن كل ذلك قد وقع من الخلق بالمشاهدة ، فلزم على قولهم إنه يقع في ملكه ما لا يريد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

[تعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة]

والخلاصة : أن تعلق القدرة عندما تابع لتعلق الإرادة ، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم ، ثم اعلم أن الإرادة غير الأمر والرضى عند أهل السنة : لأن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه والأمر هو طلب الفعل ، فهو راجع لصفة الكلام لا لصفة الإرادة قطعاً والرضى في حق الله تعالى : معناه قبول الفعل من العبد وإثابته عليه وهو غير إرادته منه قطعاً .

إذا علمت ذلك : تعلم أن الإرادة مغايرة للأمر والرضى ، وأنها غير ملازمة لهما ، بدليل أن الله قد يريد الشيء ولم يأمر به ، كالفتنة والمكر ، ولم يرض به من عباده ، كالكفر ، ولذلك اشتهر (ص 41) على السنة أهل السنة قولهم :-

قَدَرَ وَأَمَرَ وَرَضِيَ ، وَقَدَرَ وَلَمْ يَأْمُرْ وَلَمْ يَرْضَ

بناءً على قول المحققين من أن إرادة الله مع التعلق في أزل تسمى : قدراً لا قضاء [قضاء لا قدراً]¹ ، وهو ما درجنا عليه في نظمانا المسمى بالعبر في بيان الفرق بين الاختيار والقضاء والقدر² نعم الأمر والرضى متلازمان ، لأن كل ما أمر الله به رضى من عباده

¹ - في شرح نهج العقيدة للشيخ - عيسى قضاة لا قراً ، ص 74 .
² - يشير المؤلف إلى عدم رجوعه بموافق (علم القضاء والقدر والاختيار) بقوله فيه :-
تعلق العلم بما قد سبقاً * في أنه يكون متطابقاً
من خير ومن شر ومن مصير * الشعر هو قدر الحبيب
وإن تعلقت به الإرادة * فهو قصوده الذي أراد
وإن به الشفرة قد تغت * وسجته فهو فعل قد ثبت
لمت تكوين خلق واختيار * في كل فعل مطلقاً دون اضطرار
فالله هو القائل المختار * حتى لما أوجبه الحبيب
إذ يوجد اختيار الاختيار * مع اختيار الاصطفاً يا قاري
بل كل ما فيه اختيار الاصطفاً * فيه اختيار الاختيار يتوفا
كتب (يشكو) القرآن في الضوابط والواعد والقول (لجامعه فضيلة الشيخ محمد مفتاح قريو ، المتأخرين بمعهد القويدي سابقاً ، ص 3 ، بخط الشيخ خليل الهادي خليل فرسخ ، أحد طلبة الشيخ قريو وأمام جامع بالآل في مصر سنة ، مخطوط محفوظ لديه .

وكل ما نهى عنه لم يرض به منهم ، ولم يقل أحد : أمر ورضى وأمر ولم يرض ، فتأمل .

[فائدتان [في أقسام الإرادة]

[الفائدة] الأولى : يؤخذ من مذهب أهل السنة أن الأقسام أربعة قسم إرادته وأمر به ، كإيمان المؤمنين ، وقسم إرادته ولم يأمر به ككفر الكافرين ، وهذان القسمان وقعاً تبعاً للإرادة ، وقسم أمر به ولم يرد : كالإيمان من الكافرين ، وقسم لم يأمر به ولم يرد كالكفر من المؤمنين ، وهذان القسمان لم يقعاً تبعاً لعدم الإرادة .

الفائدة الثانية : يؤخذ مما ذكر في الأقسام الأربعة : أن الوقوع يتبع الإرادة وتلازمه وجوداً وعدماً ، بمعنى أنه إذا وجدت الإرادة وجد الوقوع ، وإذا عدت الإرادة ، عدم الوقوع ، ويؤيد ذلك قوله تعالى { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون }¹ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : { ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن }² واجماع أهل السنة على أنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد .

ثم اعلم أن المعتزلة خالفوا أهل السنة فيما تقرر ، وقالوا إن الإرادة تخصص على وفق الأمر والرضى ، لا على وفق العلم ، وقد لزم على قولهم أمران مستحيلان :-

أولهما : أن المولى يقع في ملكه ما لا يريد بالنسبة للكفر والمعاصي التي نهى عنها ، وقد وقعت من الكفار والعصاة بالمشاهدة ،

¹ - يسن : 88 .
² - رواه الإمام النووي في الإنكار عن كتاب ابن المنى ، وانظر : من طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : يا أبا الدرداء قد احترق بيتك ، فقال : ما احترق لم يكن الله عز وجل يفعل تلك بكلمات سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : (اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ملكك الملك وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) ص 362 ، الإنكار من كلام سيد الأبرار ، للإمام النووي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، الطبعة الرابعة ، 1433 هـ / 2012 م ، وينطق النص على الحديث (دعاء الحفظ من المصائب) وينتشر بين الناس ويتداولونه في المناسبات ، وهو مسجود جداً ، مع هذا فإن الهرة للقرائات وتقوم القرآن موقع ، وفيه تعلق أن الحديث ضعيف جداً ، شبكة المعلومات الدولية .

ونائبهما : أنه لا يقع في ملكه بعض ما أراد بالنسبة للإيمان والطاعات
إلى أمرها ولم يقع ممن ذكر بالمساهدة .
ولذلك رددت عليهم في النظم بقولي :-
(لا الأمر ولا الرضى أيضا فحقق وادر)

[تعلق علم الله بأفعال البشر]

وأما قولهم : إن الله لا يريد (ص 42) الشرور والقبائح ، فقد أشرت
إلى رده في النظم :-

- (35) وَكَلَّ مَا فِي عِلْمِهِ قَدْ سَبَّأَ * يَأْتِيهِ بِكُونِ مِمَّنْ خَلَقَا
(36) يَرِيدُهُ مِنْهُمْ وَلَوْ شَرًّا وَلَوْ * ظَلَمًا لِعَعْصِهِمْ وَكَفَرًا قَدْ حَكَّوْا
(37) لَعِلَّمَهُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا * وَأَنَّ غَيْرَ الْكُفْرِ لَيْسَ يَقَعُ
(38) مِنْ كَائِي جَهْلٌ كُلُّ مَا اسْتَحَالَ * فِي الْعِلْمِ لَمْ يَرِدْهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ

وأقول :-

الواو - في البيت الأول - للاستئناف ، و (كل) مبتدأ ، و (ما) اسم
موصول مضاف إليه ، (وفي علمه) جار ومجرور ومضاف إليه ، الجار
والمجرور متعلق ب (سبق) ، وجملة (سبق) صلة (ما) و (بأنه)
الباء في بأنه زائدة ، أن وأسمها وخبرها في تأويل مصدر فاعل سبق
- أي سبق وحده من المخلوقين في علم ربنا ، وفي علمه متعلق

بسبق ، وممن خلقا ، متعلق ببيكون التامة ، وجملة (يريد) في محل
رفع خبر المبتدأ ، الذي هو كل .¹

والمعنى : أن كل ما سبق في علم الله وجوده ووقوعه من الخلق
يريد منه ، أي تعلق إرادة الله بوقوعه منهم ، سواء كان خيرا وعدلا
وإيمانا ، بل لو كان شرا وظلما ليعصهم ، أو كفرا ، وجملة (حكوا)
تكملة ، وإنما أراد منهم الشرور والقبائح والظلم ، مع النهي عنها بنحو
قوله تعالى : { وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون }²

لعلمه ، أي لتعلق علمه القديم بأنهم لم يرجعوا عن فعلها ، ولم
ينفع فيهم نهى ولا وعظ ، ولا إرشاد ، ولا تذكير لسوء نياتهم ، وخراب
عقولهم ، وفساد طبيعتهم ، بغلبة السفه عليها كما تفسد الأرض بغلبة
الملح عليها ، حتى تصبح سبخة لا تثبت إلا الشجر الفاسد الممتن ، بل لا
يرجى منهم رجوع عنها ، ولا توبة منها قبل وقوعهم فيها وصرورهم
بفعلها ظالمين لأنفسهم ، لأنهم تعدوا حدود الله ، ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه ، { وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }³ ،
والظالم أحق بالحمل عليه⁴ .

ولذلك : يريد الله منهم الشرور والقبائح والظلم ، ويقدرها عليهم
بتخصيص الإرادة لها ، ويقضى عليهم بكتابتها في اللوح المحفوظ
وبوجودها منهم بقدرته عند مجيء أجل وجودها ، لأن عدم وقوعها
منهم صار مستحيلا في علمه ، والمستحيل لا يتعلق به إرادة الله ولا
قدرته ؛ لأن قدرته تابعة لإرادته ، وإرادته تابعة لعلمه (ص 43)

¹ - إعراب البيت من المتن ، ميدان القواعد وشرح لب العقائد الصغير - ص 77 .

² - النحل : 90 .

³ - النحل : 33 .

⁴ - وردت هذه العبارة في كتاب الغرر القرافي - الفرق (39) بين قاعدة الزواجر وبين قاعدة الجوارح ، حيث جاء فيه : " وإنشائي
من ذلك مبرر المزني بها كرها ، تغلبا لحاجات القراءة ، فلما لم تأت معروفا ، والنظم أبقى أن يحمل عليه ، ص 214 ، 11 - أوار
البروق في أروام القروق ، لا إتمام أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المشهور بقرافي ، علم الكتاب ، بيروت ، وبهاشبه تهذيب
القروق والقواعد الشنوية في الأبرار الفقهية ، لمحمد بن حسين المالكي ، بدون تاريخ .

¹ - لاحظ اختلاف البيت رقم 38 عما ورد في شرح لب العقائد الصغير - ص 76 حيث جاء فيه :
من كأي جهل وصه الوليد * ونحو ذين من أولي الفكر الشديد .
والترجمة أي جهل - هو عم أباي صلى الله عليه وسلم ، وأشدّ عداوة له ، وكذلك أمرته أم جميل ، من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله
عليه وسلم ، فكانت تمنى بالإفساد بينه وبين الناس بالهجمة ، وتضع الشوك في طريقه ، والفتار على يده ، فلزل فيه قول تعالى :
{ أنت بنا أي لنبيك ورسولك ، ما أغنى عنه ماله وما كسبه ، وإلح السورة ، السيرة النبوية ، عرض وقائع وتحليل أحداث ، للدكتور علي
محمد الصليبي ، ص 194 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 15 ، 1435 هـ / 2014 م .

[ما علم وقوعه وما علم عدم وقوعه]

فكل ما علم وقوعه أرادته ، وكل ما علم عدم وقوعه لا يريدته ؛ لأن العالم باستحالة الشيء لا يريدته - كما لا يخفى - وكذلك إنما أراد الكفر من أبي جهل¹ وأضرابه ، مع النهي عنه بصيغة النفي في قوله تعالى : { ولا يرضى لعباده الكفر }² ، لعلمه ؛ أي لتعلق علمه القديم بأن غير الكفر ليس يقع منهم ، أي يستحيل وقوعه منهم في علمه وكل ما استحال في علمه لا يريدته - عز وجل - .

وحينئذ ؛ فقولهم : القدرة والإرادة المتعلقان بجميع الممكنات محمول على تعلقهما الصلوحى القديم ؛ لأنه هو التعلق العام ، كما قاله العلامة الدسوقي³ في حاشيته على أم البراهين .

وأما تعلقهما التجيزي القديم ، بالنسبة للإرادة ، والتجيزي الحادث بالنسبة للقدرة ، فليس بعام ، بل خاص ببعض الممكنات ، وهى الممكنات التى سبق فى علم الله وقوعها ، دون الممكنات التى سبق فى علمه عدم وقوعها ، حتى صارت من قبيل المستحيل العرضى كما بان أبى جهل وأضرابه⁴ .

وقولنا فى النظم (ولو ظلما لبعضهم) احتراز من ظلم الله لهم ، فإنه لا تتعلق به إرادة الله ، لقوله تعالى : { وما الله يريد ظلما للعالمين }⁵ وقوله : { وما الله يريد ظلما للعباد }⁶ ، وقوله : { ولا يظلم ربك أحدا }⁷ .

¹ - قلنا قد ترجمته فيما سبق .

² - الآية : 7 .

³ - محمد بن أحمد بن عرفة النسفي البجلي ، عالم مشارك فى اللغة والكلام والنحو والبلاغة والمنطق وغيرها ، له تصانيف كثيرة منها حاشية على شرح المنوسى على مقدمة أم البراهين فى العقائد ، توفي بمصر سنة 1230 هـ ، معجم المؤلفين ، ص 292 / 8 .

⁴ - حاشية النسفي على أم البراهين ، المصدر السابق ، ص 137 .

⁵ - آل عمران : 108 .

⁶ - غافر : 31 .

⁷ - الكهف : 49 .

[أنواع الظلم ثلاثة]

والحاصل ؛ أن الظلم ثلاثة أنواع : ظلم العباد لأنفسهم ، وظلم العباد لبعضهم ، وظلم الله لهم ، والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة تدل على أن الأولين يريدتهما الله ؛ لأنهما من جملة الشرور والقبايح التى تقع من الخلق ، وأما الثالث فلا يريدته ؛ لأنه يرجع إلى معاملة الله لخلقه .

قال قطب أهل السنة : الإمام محمد بن يوسف السنوسى فى شرح عقيدته الصغرى ، المسماة بأم البراهين ، ما نصه : اعلم أن تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة ، إذ لا يوجد مولانا - جل وعز - من الممكنات أو بعدم بقدرته ، إلا ما أراد تعالى وجوده أو عدمه ، وتأثير الإرادة على وفق العلم عند أهل الحق¹ ، فكل ما علم الله تبارك وتعالى أنه يكون من الممكنات أو لا يكون . (ص 44) فذلك مراده - جل وعز - .

[رأي المعتزلة فى تعلق الإرادة]

والمعتزلة - فبجهم الله تعالى² ، جعلوا تعلق الإرادة تابعا للأمر وقالوا : لا يريد مولانا - جل وعز - إلا ما أمر به من الإيمان والطاعة سواء وقع ذلك أم لا ، فعندنا إيمان أبى جهل مأمور به غير مراد له - تبارك وتعالى - لأنه - جل وعز - علم عدم وقوعه ، وكفر أبى جهل منهى عنه ، وهو واقع بإرادة الله تعالى وقدرته وعند المعتزلة - فبح الله تعالى رايهم - إيمانه هو المراد لله تعالى لا كفره ، فلزم على قولهم أنه يقع فى ملكه ما لا يريد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا³ . ولذلك قال صاحب بدء الأمالى⁴ :-

¹ - فى شرح أبى العقيد الصغير ، عند أهل السنة من 20 ، وما أكتسب من الأصول موافق لشرح السنوسى لأم البراهين .

² - فبجهم الله تعالى ، نقل عن الإمام السنوسى فى شرحه ، وما ذكره فى ليد العقائد الصغير ، فبح الله رايهم ، ص 80 .

³ - شرح الإمام محمد السنوسى على عقيدة أم البراهين ، مطبوع بيهام حاشية السنوسى على أم البراهين ، ص 101 - 102 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، طبعة قديمة بدون تاريخ .

⁴ - على بن عثمان التميمى الأروشى سراج الدين القرطابى ، لفظه الصلى ، له تصانيف منها الصيغة الأمالى ، توفي سنة 575 هـ ، هدية للعارفين ، لإسماعيل بكشا البغدادي ، ص 700 / 5 .

مريد الخير والشر الصريح * ولكن ليس يرضى به تعالى لأمره وبه

أي يرضى بها لعلها . ولكن ليس يرضى به تعالى لأمره وبه
والتكليف مطالب بأمر والنهاي : لأنه هو الذي جاءت به الرسل
عليهم الصلاة والسلام . لا يبايع ما سبق في علم الله . لأنه أمر مقسب
عنه . ولم يأمره الرسل بأمره .

[لكه - أي المؤلى - حل وعمر - مع ذلك - أي مع إرادته منهم لم
يجزهم على أفعال الاختيار . سواء كان متبراً أو شراً . لأنه كلفهم بها
فلو جازهم على فعلها لم يبق للتكليف معنى وأثر . بل جعل الخيار
للإنسان في الخير والشر كالامتناع له]²

[الرد على الجبرية]

ولما فرغت من الرد على المعتزلة . شرعت في الرد على الجبرية
فقلت :

(39) وَلَمْ يَقَعْ مِنْ خَيْرٍ عَلَى * أَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ

(40) لِأَنَّهُ كَلَّفَهُمْ . قُلُوْ جَر * لَمْ يَبْقَ لِلتَّكْلِيفِ مَعْنَى وَأَثَرٌ

(41) وَلَأَنِّي الْخَيْرَ وَفَاقَ الْأَمْرَ * وَالنَّهْيَ فِي حَقِّ الْعَصَاةِ قَادِرٌ

الجبر لغة : حمل غيرك على فعل الشيء بالإكراه والقهر . ويصح
أن يكون من (جبر) الثلاثي . أو من (أجبر) الرباعي . قال الفراء³
وقد سمعت العرب تقول : جبرته على الأمر وأجبرته . وإذا ثبت ذلك فلا
يعول على قول من ضعفها . قاله في المصباح⁴ .

¹ - مؤلف العباد . جلد 1 [الجزء الثاني] شرح ابن علي بن محمد الأوبلي . اعتناء محمد جان . دار الثقافة . امبطلول . تركيا
الطبعة الثانية . 2015 .

² - من ابن قيس : إضافة من خروج ابن عبد الملك المصنف . ص 81 .

³ - تاج اللغة . جلد 1 [الجزء الثاني] شرح ابن علي بن محمد الأوبلي . اعتناء محمد جان . دار الثقافة . امبطلول . تركيا
الطبعة الثانية . 2015 .

⁴ - المصباح المنير في ترتيب شرح الفراء في اللغة . مؤلف من تأليف أحمد بن محمد بن علي الفهرستي الحموي الشافعي . المصنف
في اللغة . جلد 1 [الجزء الثاني] شرح ابن علي بن محمد الأوبلي . اعتناء محمد جان . دار الثقافة . امبطلول . تركيا

والمعنى أن الله تعالى لم يقع منه لخلقه خير على الأفعال
الاختيارية . أي لم يجعلهم على فعلها بالإكراه والقهر . عند العقلاء
وهو أهل السنة . وفيها الأفعال الاختيارية للاحتراز عن الأفعال
الاضطرارية . فإنها حرة . حتى عند أهل السنة . إذ لا يخص على
عاقلة أن حركة اليد بالارتعاش (ص 45) اضطرارية ليس فيها للعبد
اختيار ودخل . وإن حركتها بالطمس اختيارية فيه للعبد اختيار ودخل
وهذا الدخول هو المسمى عند الأساغرة : بالكسب الذي كلف الله به
عباده . ولم يكن مؤثراً . قال صاحب الجوهرة :-

وَعَيْنًا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كَلَّفَا * بِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَوْتِرْ فَاعْرِفَا

فَلَيْسَ مَحْتَوَرًا وَلَا اخْتِيَارًا * وَلَيْسَ كَلَّا فَعَلْ اخْتِيَارًا *

ثم عللت عدم الجبر بقولي : (لأنه كلفهم) أي وإنما لم يقع منه
لهم خير على الأفعال الاختيارية . لأنه كلفهم بها . أي كب عليهم جميع
التكاليف الشرعية . فكذب عليهم الإيمان والصلاة والزكاة والصوم
والحج . وسائر الواجبات (أداء) . وكذب عليهم حرمة الكفر والزنا والخمر
والعصب والقتل وسائر المحرمات (اجساد) .

ووعدهم بالنواب إن امتثلوا : بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا
المنهيات . وأوعدهم بالعقاب إن خالفوا بأن تركوا المأمورات وفعلوا
المنهيات . ولم يجزهم على فعل ولا على ترك لا في المأمورات ولا
في المنهيات . بل جعل لهم حرية الاختيار . وجعل لاختيارهم وإرادتهم
وقدرتهم دخلاً في أفعالهم يسمى في الخير كسباً وفي الشر اكتساباً
أخذاً من قوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)² .

كاهن . والجبرية بالشريك خلاف القدرية . والشك : أنه يمكن التكثير . ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير
وأساس البلاغة . تكملة الطاهر أحمد الزاوي - رحمه الله - ص 436 / 1 .

¹ - جامع ميثاق المؤمن . مؤلف جوهرة التوحيد . المصنف الشافعي . ص 18 .

² - البقرة : 286 .

[الكسب والاكساب مدار التكليف]

والكسب والاكساب هما مدار التكليف ، لقول المتولى ¹ فى مذكره التوحيد ما نصه : قال أهل السنة إن فعل العبد الاختيارى مخلوق لله تعالى ، وليس لفكرة العبد علاقة به إلا على سبيل الكسب ، قاله موحده له ، والعبد كاسب له ، ومنصف به ، وهذا الكسب هو مدار التكليف والثواب والعقاب ، ومن أجله أرسلت الرسل ، ويسببه نمدح أو يذم ، أه ² .

وقال فى مذكرته الصغرى : كون العباد ليس لهم كسب ولا اختيار بل هم فى أفعالهم كالجمادات فى حركاتها ، لا قدرة لهم فيها ولا إرادة ولا اختيار ولا كسب ، لا شك أنه قول (ص 46) واضح البطلان لأن كل إنسان يجد أن من أفعاله ما عنده معه قدرة وإرادة واختيار ومنها ما ليس عنده معه ذلك ، فنفى القدرة والإرادة والاختيار على الإطلاق قام على بطلانه دليل الحس والوجدان ، أه ³ .

وإذا بطل ذلك ثبت للعبد الاختيار ، وانتفى عنهم الجبر ، لأن الله تعالى لو أجبرهم على أفعالهم الاختيارية ؛ لما كان لتكليفهم بها معنى ولا أثر ؛ لأن الجبر يؤدى إلى عدم فائدة التكليف ، وعدم فائدة إرسال الرسل ، وأنه لا معنى للتوابع على الطاعة والعقاب على المعصية ، مع أن هذه أمور مجمعة على صحتها ، وكل ما صادم الاجماع فهو باطل .

وأبضا : الجبر إكراه ، والإكراه مسقط للتكليف ، إذ من شروط التكليف عدم الإكراه - كما لا يخفى - ومن هنا يتضح أن التكليف ينافى الجبر ، لأنه ضده ، بل لو كان المولى يجبر على الأفعال الاختيارية لآتى جبره على وفاق الأمر والنهى فى حق العصاة ؛ بأن يجبر تارك الصلاة

¹ - مذكره التوحيد والفرق ، تأليف حسن السيد متولى ، مقتل عام العلوم الدينية والشرعية بالأثر هو الشريف ، مقرر على مطالب المرحلة الثانوية بالمشاعر الأثرية ، نشرت سنة 1418 هـ / 1998 م ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، أربعة أجزاء مرقرة على السنوات الأربع ، 1998 م .
² - مذكره التوحيد والفرق ، المصدر السابق ، الجزء الثانى ، ص 52 .
³ - يريد بها على ما قلناه من الجزية ، أن العبد مجبور على فعله فليس له قدرة ولا إرادة ولا اختيار بل هو كزينة معلقة فى الهواء تسمى بالإقرار كما نشأ ، مذكره التوحيد والفرق ، المصدر السابق ، ص 50 .

والركاة على فعلهما لا على تركهما ، ويجبر الزانى وشارب الخمر على تركهما لا على فعلهما - كما لا يخفى - .

فإن قيل : إنما لم يجبر المولى تارك الصلاة والركاة على فعلهما والزانى وشارب الخمر على تركهما ، لأن إرادته لم تتعلق بذلك ، لما تقدم أن الإرادة تابعة للعلم فى التعلق ، والعلم لا يتعلق إلا بما سبق فى الأزل أنه يحصل من العباد ، ويقع عليه اختيارهم عند مجيء أجل وقوعه ؟ .

[الاختيار ضد الجبر]

قلت : لما كان تخصص الإرادة تابعا للعلم ، والعلم لا يتعلق إلا بما يقع عليه اختيار العباد ؛ فقد رجعت الأمور كلها لاختيار العباد ، والاختيار ضد الجبر ، وحيث ثبت لهم الاختيار ، انتفى عنهم الجبر ، وهو المطلوب إذا علمت ذلك ؛ تعلم أن المدار على ما يقع من جهة تعلق علم الله به فى الأزل ، لا من جهة اكساب العبد له عند مجيء الأجل .

[إذا علمت ذلك ؛ تعلم أن الله - تعالى - يريد الخير ويأمر به ويرضى بفعله من عباده ، ويريد الشر ولا يأمر به ، ولا يرضى به من عباده لقوله تعالى : - { ولا يرضى لعباده الكفر } 1] ² .

ثم شرعت فى بقية ما يتعلق بنفى الجبر ، فقلت (ص 47) :-

(42) وَخَصَّ نَفَى الْجَبْرِ بِالَّذِي أَرَادَ * لِكَيْلَهُ يَمَكَّنَ الَّذِي أَرَادَ³

(43) أَنْ يَفْعَلَ الشَّرَّ بِالْإِخْتِيَارِ * لِأَنَّهُ فِي الْعِلْمِ هُوَ الْجَارِي

(44) وَلَيْسَ يَعْذَرُ لِسَلْبِ الْإِعْتِدَارِ * بِالرُّسُلِ وَالْعَقْلِ وَجَزْءِ الْإِخْتِيَارِ

¹ - الأعر : 7 .

² - ما بين القوسين إضافة من شرح أب التلخيص الصغير ، ص 85 .

³ - هذا البيت فيه تغيير لما ذكره فى ترحيب العقائد الصغير ، ص 84 على النحو الآتى :
لما لم يفتقر على ما أراد * لئله يملك الذي أراد

[نفي الجبر بالأفعال الاختيارية]

يقولون: { وما لم يشأ } لم يكن صريح في الدلالة على أن ما لا يريد
الله لا يقع ، بل بحيز العبد على تركه ، ولو هم يفعلونه ، ومن هذا القبيل
من هم يحسنه ولم يفعلها ، ومن هم يسيئونه ولم يفعلها³ ، سواء كان
عدم فعلها المانع ، أو لغير مانع .

ففي نظماً اكتفاء ، وهو حذف الواو مع ما عطف على حد قوله تعالى : { إسرائيل نعيمك الجر }^٤ ، أي والبرد .

130

ثم ذكرت على التمكن بقولي : (لأنه في العلم هو الحاري) أي لأن
فعل البشر قد سبق في علم الله أنه هو الذي يجري من العبد لا محالة
وإن اختياره لا يقع إلا عليه عند محض إجله ، فلذلك أراد العبد
سبحه بها لعلمه .

وإنما : بوضحة العقل لقوله صلى الله عليه وسلم : { رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يقوق ، والعشى حتى يبلغ ، والمجنون حتى يعقل } { آ هـ

قدرها ، وأما من لا يخاف عليه ، فيجوز له الخوض فيه مثل الراسخين في العلم (ص 50)

[إرادة الله ومعاقبة العبد]

فإن قيل : كيف يريد الله الشيء من العبد ، ثم يعاقبه عليه ؟
قلت : يريد لأنه سبق في علمه وقوعه ، وقد تقدم أن الإرادة تابعة للعلم ، ويعاقبه عليه لأنه نهاه عن فعله ولم يأمره به ، ومن هنا يتضح أن الإرادة غير الأمر ، وغير ملازمة له ، بل وغير تابعة له ؛ خلافا للمعتزلة ، وإنما هي تابعة للعلم ، كما تقدم في قولنا على وفاق علمه ، لا الأمر... إلخ .

والعلم لم يحمل العبد على الفعل ، فالإرادة كذلك ، لأن الإرادة والعلم ليسا من صفات التأثير ، ولذلك لما قيل لعبد الله بن عمر¹ - رضي الله عنه - إن أقواما يزنون ، ويشربون الخمر ، ويسرقون ويقتلون النفس ، ويقولون : كان هذا في علم الله ، فلم نجد بدا منه ؟ غضب - رضي الله عنه - ثم قال : سيحان الله العظيم !! قد كان في علم الله أنهم يفعلون ؛ ولكن لم يحملهم علم الله على فعلها .

[علم الله بأفعال العباد]

حدثني أبي عمر بن الخطاب² أنه سمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : { مَثَلُ عِلْمِ اللَّهِ فِيكُمْ ، كَمَثَلِ السَّمَاءِ الَّتِي أَظْلَكْتُمْكَمُ وَالْأَرْضِ الَّتِي أَظْلَكْتُمْكَمُ ، فَكَمَا لَا تَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

كذلك لَا تَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ، وَكَمَا لَا تَحْمِلُكُمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى الذُّنُوبِ ، كَذَلِكَ لَا يَحْمِلُكُمْ عِلْمُ اللَّهِ }¹ انتهى .

واستدلوا على ذلك أيضا ؛ بأن الإنسان إذا نهى رفيقه أو ابنه عن شيء ، وعلم أنه لا يمثل ولا يرجع عن فعله ، وأنه لا بد أن يفعله لا محالة ، فإنه يغضب عليه ، ويريد وقوعه فيه ، لكن من غير أن يحمله على فعله ، ليقم عليه الحجة ، ثم إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه فكذلك الباري - عز وجل - وهو دليل واضح .

هذا ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت في هذا المقام ؛ لبيان منحدرات الإفهام ، وفتحت طريق السداد في بيان أفعال العباد ، ولما فرغت من لواحق التعليقات ، شرعت في بيان المستحيلات :-

فقلت : (ص 51) :-

(45) وَتَسْتَحِيلُ ضِدَّ مَا تَقَدَّمَ * مِنَ الصِّفَاتِ وَالْعَقَائِدِ اعْلَمَا

(46) وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ قَدْ * أَوَّلَهُ يَلَائِقُ أَهْلَ الرَّشْدِ²

[نفي ضد الصفات العشرين]

المراد بأهل الرشd : أهل السنة ؛ والمعنى أن الله تعالى يستحيل عنه ضد كل ما تقدم من الصفات العشرين ، والعقائد الأربعة التي بعد العشرين ، وهذا أنا ذكر الأضداد على ترتيب ما تقدم ، فأقول :-

الصفة الأولى من العشرين (الوجود) وضده العدم

والثانية : (القدم) وضده الحدوث

والثالثة : (البقاء) وضده الفناء

¹ - رواه الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير أو مفاتيح الغريب ، عن عمر بن الخطاب ، تفسير سورة البقرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1425 هـ / 2004 م موقع المكتبة الإسلامية ، شبكة المعلومات الدولية .
² - البيت 46 لا يوجد في شرح لب العقائد الصغير ، ص 90 .

¹ - عبد الله بن عمر بن الخطاب بن عطاء القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن ، أسلم مع أبيه وهو صغير ، شهيد بعض الغزوات ، وكان أعلم الناس بحديثه الصحيح ، مات بمكة سنة 73 ، له ترجمة مطبوعة في الاستيعاب ، رقم 1634 - ص 473 - 475 .
² - هو العلامة الثعالبي البغدادي رضي الله عنه ، ترجمته معروفة .

والرابعة : (المخالفة للحوادث) وضدها الصمالة .
والخامسة : (النفي المطلق) وضده الافتقار .
والسادسة : (الوجدانية) وضدها التعدد .
والسابعة : (القدرة) وضدها العجز .
والثامنة : (الإرادة) وضدها الكراهة .
والتاسعة : (العلم) وضده الجهل .
والعاشرة : (الحياة) وضدها الموت .
والحادية عشرة : (السمع) وضده الصمم .
والثانية عشرة : (البصر) وضده العمى .
والثالثة عشرة : (الكلام) وضده البكم .
والرابعة عشرة : (كونه تعالى قادرا) وضده كونه عاجزا .
والخامسة عشرة : (كونه مريدا) وضده كونه كارها .
والسادسة عشرة : (كونه عالما) وضده كونه جاهلا .
والسابعة عشرة : (كونه حيا) وضده كونه ميتا .
والثامنة عشرة : (كونه سميعا) وضده كونه أصم .
والتاسعة عشرة : (كونه بصيرا) وضده كونه أعمى .
والصغة العشرون : (كونه متكلمًا) وضده كونه أبكم .

[نفي ضد عقائد التنزيه]

والأولى من عقائد التنزيه : نفي الغرض عن الله تعالى وضده نيوت الغرض له .
والثانية : نفي المؤثر معه بالقوة . وضده نيوت المؤثر معه بالقوة .
والثالثة : نفي المؤثر معه بالطبع . وضده نيوت المؤثر معه بالطبع .
والرابعة : نفي المشار له في القدم من العالم . وضده نيوت المشار له في القدم من العالم .
وقولنا (اعلمنا) فعل أمر مؤكد بالتون الخفيفة المنقلبة ألفا ، وهو تكملة البيت (ص 52) . وقولنا :-
كل نص أوهم التشبيه قد * أوله بلانق أهل الرشد
معناه : أن كل نص أوهم تشبيه المولى بالحوادث : قد أوله أهل السنة بمعنى لانق يقبله العقل .

[الله تعالى مخالف للحوادث في ذاته وصفاته]

والحاصل أن صفة المخالفة للحوادث دلت على أن الله تعالى مخالف للحوادث في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، فليس الله تعالى جسمًا ، ولا حالًا في جسم ، ولا في مكان ، ولا في جهة ، وليست ذاته مركبة من أجزاء ، فليس له يد ، ولا وجه ، ولا عين ، ولا يتصف بصفات الحوادث من نحو الحركة ، والنزول ، والفوقية الحسية ، والاستواء على أجسام ، بمعنى الاستقرار ، وهذا ما أجمع عليه أهل الحق ، وأيدته الأدلة القطعية .

قال الله تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }¹ إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم ، وفي الأحاديث نصوص يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للحوادث في الجسمنة ولوازمها ، فمنها ما يوهم أن له يدا ، ومنها ما يوهم أن له وجها ، ومنها ما يوهم أن له أصابع ، ومنها ما يوهم الاستفال .

قال الله تعالى { يد الله فوق أيديهم }² وقال أيضا : { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }³ وقال أيضا : { تجري بأعيننا }⁴ وقال أيضا : { الرحمن على العرش استوى }⁵ وقال أيضا : { وجاء ربك والملك صفا صفا }⁶.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن }⁷ وقال في الحديث القدسي عن رب العزة : { ما وسعني أرضي ولا سمائي ، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن }⁸ إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

[مذاهب العلماء في نصوص التشبيه]

وقد جاء للعلماء في النصوص التي أوهمت التشبيه مذهبان مذهب أهل الحق ، ومذهب غيرهم ، أما أهل الحق : فقد اتفق سلفهم وخلفهم على تأويل هذه النصوص وصرفها عن ظاهرها وحملها على معان تليق بذات الله تعالى ، إذ لا يصح أن يراد منها ما

- 1 - شكري : 11 .
- 2 - فتح : 10 .
- 3 - الرحمن : 26 - 27 .
- 4 - القمر : 14 .
- 5 - طه : 5 .
- 6 - النجم : 24 .

7 - رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص ، بإسناد : [كذاب واحد بصرفه حيث يشاء] حديث رقم 2654 ، من 4 / 2045 .

8 - حديث ذكره العراقي في الإلهام لفظ (قل له له يسعني) وذكره لفظ (وسعني قلب عبدي المؤمن الذين الوداع) وقال مخرجه العراقي : لم يره أصلا ، وإنما قال ابن تيمية : هو منكر في الإسناد ، ولين له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، المقصد الصفة في بيان شكل من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للعلامة الشيخ محمد عبد الرحمن السخاوي ، ترجمة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، حديث رقم 990 من 380 ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1429 هـ / 2008 م .

يفيده ظاهرها (ص 53) لمخالفته لما أفادته البراهين العقلية ، ولأن هذه النصوص معارضة بنصوص أخرى تفيد صراحة أن الله مخالف للحوادث .

إلا أن طريقة السلف في تأويل هذه النصوص تخالف طريقة الخلف ، فالسلف يؤولون تأويلا إجماليا ، فيصرفون هذه النصوص عن ظاهرها ويحملونها على معان يفوضونها إلى علم الله ، فيقولون ظاهر هذه النصوص غير مراد لله تعالى ، بل أراد منها معاني أخرى هو أعلم بها .

والخلف يؤولون تأويلا تفصيليا ، فيصرفون هذه النصوص عن ظاهرها ، ويحملونها على معان تليق بذاته تعالى ، ويسونها : فيحملون اليد في { يد الله فوق أيديهم } على القدرة ، ويحملون الوجه في { ويبقى وجه ربك } على الذات ، ويحملون العين في { تجري بأعيننا } على القدرة ، أو الإرادة ، أو العلم ، ويحملون الاستواء في : { الرحمن على العرش استوى } على الاستيلاء والملك ، أي استولى عليه وملكه ويحملون المجيء في { وجاء ربك } على مجيء أمره ، ويحملون الأصابع في { أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن } على الصفات ، أي بين صفتين من صفاته : وهما : القدرة والإرادة ويحملون وسعني في : { ما وسعني أرضي ولا سمائي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن } على وسع هبتي وأمانتي التي أشار إليها بقوله تعالى { إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان }¹ .

وطريقة السلف أسلم لتخاشيهم عن بيان معان قد لا تكون مرادة لله تعالى ، وطريقة الخلف أعلم : لأن فيها إيضاحا ببيان المعاني

1 - الأحزاب : 72 .

والحكم ، لان فيها انطلاقا لشبه الملحدين والصابئين ، وارشادا
للقاصدين .

[مذهب المحسمة والمشبهة في تأويل التشبيه]

وذهب غير أهل الحق ؛ كالمجسمة والمنشبهة الى إبقاء هذه
النصوص على طاقها ، وعدم تأويلها حتى قال بعضهم ، ونعود بالله
مما قال : إن الله تعالى جسم ، وقال آخرون إنه في جهة 2 تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا .

والأحد بطاوة (ص 54) هذه النصوص وعدم تناولها أصل من أصول الكفر ، فيجب على المكلف أن لا يتخير عن طريقه أهل الحق لأنها هي التي فيها النجاة - إن شاء الله تعالى - .

ولما قرعت من بيان ما يجب ، وما يستحيل في حق الله تعالى
شرعت في بيان ما يجوز في حقه .

[الجائز في حق الله تعالى]

فصل ۲۷

(47) وجار للإله أن يفعل ما * أمكن أو شركة متعددا

وأقول : معنى هذا البيت ، أن القسم الثالث من أقسام العقائد الإلهية هو المتأخر في حق الله تعالى ، والكلام الآن فيه ، ولذلك قلت

[illegible]

والعلم والسياسة والدين والكتابة... (الكتاب: *العلم والسياسة والدين والكتابة*)
 المؤلف: *أحمد محمد حسن*
 الطبعة: *الطبعة الأولى، 2005*

- وجاز للإله أن يفعل ما أمكن أو يتركه... إلخ - ، أي جاز بالحوار العقلي للإله - عز وجل - فعل الممكن وتركه [في حين العدم]¹ .

ف (أن يفعل) في تايول مصدر قاعل جار ، و (ما أمكن) موصول مع صلته ، وهو في قوة المشق ، ولذلك يقول بالمكن ، و (أو) بمعنى الواو ، و (يتركه) معطوف على (أن يفعل) أي فعل الممكن ويتركه ، كما تقدم ، والممكن هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه .

وقد اعترض بعضهم على العبارة التي نظمناها - في هذا البيت - بأن الجائر والممكن مترادفان عند المتكلمين ، وحسبنا يكون معنى هذا البيت : وجار للإله فعل الجائر وتركه ، أو أمكن له فعل الممكن وتركه وذلك يؤدي إلى التكرار الموجب للتقل ؟

وأخيراً : بأن التعبير في الأول بـ (جار) وفي الثاني بـ (أمكن) يدفع النقل ، لأنه فيه نفس في التعبير ، والنفس عرقوه : بأنه ارتكاب التعبير ليعطين متحدثين في المعنى ، ومختلفين في اللفظ ، دفعاً لنقل التكرار اللفظي .

وبعضهم أجاب : بأنهما ، وإن اتحدا في المعنى ، لكنهما اختلفا في
الإسناد ، لأن (جاز) أسند إلى فعل الممكن ، و (أمكن) أسند إلى
ذات الممكن ، بحيث صار معنى اليب ، و جاز للإله فعل ما أمكنت ذاته
أي ما حكم العقل على ذاته بأنها من الممكن الذي يصح في العقل
وجوده وعدمه ، لأن أفعال المولى : إنما تتجر بقدرته ، وقدرته لا
تعلق إلا بالممكنات . (ص 55) كما تقدم .

وينظر ذلك قول الفقهاء : وجاز أكل ما أباح ، ألا ترى إن (جاز) و (أباح) في كلامهم بمعنى واحد ؛ لكن لما أسندوا (جاز) إلى أكل المباح ، وأسندوا (أباح) إلى ذات المباح ، بحيث صار معنى كلامهم وجاز أكل كل ما أبحت ذاته ، زال التكرار والنقل كما لا يخفى .

1. ما هي التغيرات التي تحدث في الخلية أثناء انقسامها؟

ثم قلت :

وَيُحِبُّ الْإِيمَانُ - أَيْضًا - بِالْقَدَرِ
وَمَا خَتَوَى عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ
فَهَذِهِ عَقَائِدُ الْإِيمَانِ
سِتٌّ وَتَسْتَوْنِ بِهَا نُقْصَانِ
يَجْمَعُهَا مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ
فَاخْتِمْ لَنَا يَا رَبِّ بِالْيَقِينِ
وَانْفَعْ بِهَذَا النَّظْمِ مَنْ يَشْتَغِلُ
بِحَاجَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَفْضَلِ الرُّسُلِ
عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرَّ الْكِرَامِ
يَقُولُ قَرِيبُ الَّذِي قَدْ نَظَّمَهُ
بِعَوْنِ رَبِّهِ الَّذِي قَدْ تَمَّمَهُ
سَمَّيْتُهُ لَبَّ الْعَقَائِدِ الصَّغِيرِ
مُخْتَصَرًا مِنْ نَظْمِ لُبِّهَا الْكَبِيرِ

وكان الفراغ منه في شعبان سنة الف وأربعمائة واحد عشر
هجرية . على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

وبلغه نظم الغرر الكلامية في الأمة الإسلامية

* * *

صورة الصفحة الأخيرة من كتاب لب العقائد الصغير

فانذار [في بيان صفات الأفعال وأفعال المولى]

[الفائدة الأولى في بيان صفات الأفعال وبيان الخلاف فيها بين الأشاعرة والماتريدية : -

اعلم أن صفات الأفعال هي عبارة عن تصرف الله في الممكنات بالإيجاد والإعدام ، وغيرهما من أنواع التصرفات ، والإيجاد والخلق بمعنى واحد ، وهو يخلق القدرة بوجود المقدور ، لكن إن تعلقت بالحياة ، سمي ذلك التعلق إحياء ، وإن تعلقت بالموت ، سمي إمانة ، وإن تعلقت بالعدم ، سمي إغناء ، وإن تعلقت بالفقر ، سمي إفقاراً وهكذا .

وهذه التعلقات هي المسماة عند علماء التوحيد : بصفات الأفعال وقد جرى فيها خلاف بين الأشاعرة والماتريدية : فقال الأشاعرة جميع صفات الأفعال ترجع إلى تعلق القدرة التجيزي الحادث ، وكل ما يرجع إلى الحادث يكون حادثاً ، فصفات الأفعال عندهم حادثة .

وقال الماتريدية : جميع صفات الأفعال ترجع إلى صفة التكوين المنسار إليها بقوله تعالى : { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون }¹ ، وصفة التكوين قديمة بذاته تعالى ، كالقدرة والإرادة وكل ما يرجع إلى القديم يكون قديماً .

فصفات الأفعال عندهم قديمة ، والحادث إنما هو أثرها ، كالوجود الذي هو أثر الإيجاد ، والعدم الذي هو أثر الإعدام ، والحياة التي أثر الإحياء ، والموت التي هي أثر الإمانة ، والغنى الذي هو أثر الإغناء والفقر الذي هو أثر الإفقار ، والصورة التي هي أثر التصوير ، وما أسماه ذلك .

والحاصل : أن الإيجاد ، والخلق ، والإحياء ، والإمانة ، والإغناء والإفقار ، والتصوير ، وغير ذلك من صفات الأفعال عند الأشاعرة

1 - ص 82 .

صفات (ص 56) حادثة : لأنها إضافات واعتبارات بين القدرة والإرادة وعند الماتريدية : قديمة ، لأنها صفة أزلية ، بها صدور الحوادث وتسمى تكويناً ، لكن إن تعلقت بوجود الشيء : سميت إيجاداً أو خلقاً ويموتة : سميت إمانة ، أو بصورته : سميت تصويراً ، وهكذا .

[أفعال المولى واحدة باعتبار الفعل ومتعددة باعتبار التعلق]

الفائدة الثانية : [أفعال المولى واحدة] يؤخذ مما تقدم : في الفائدة الأولى ، أن أفعال المولى واحدة باعتبار الفاعل : لأنها عبارة عن تصرف الله في الممكنات بالإيجاد والإعدام وغيرهما ، ومتعددة باعتبار التعلق : لأنها إن تعلقت بالوجود : سمي ذلك التعلق إيجاداً ، وإن تعلقت بالعدم : سمي إعداماً وإن تعلقت بالصورة : سمي تصويراً ، وهكذا كما تقدم .

لذلك سماها بعض العارفين : بوحدة الأفعال ، نظراً إلى اعتبار الفاعل ، وسماها الجمهور : بصفات الأفعال ، نظراً إلى اعتبار التعلق لأنها باعتبارها متعددة - كما لا يخفى - بل هي كثيرة جداً ، لأنه في كل يوم يخلق ، ويرزق ، ويحيى ، ويميت عدداً لا يعلمه إلا هو ، وله شؤون بيدها ولا يتبناها ، يرفع أقواماً ، ويضع آخرين .

وقد حكى أن ابن الشجري¹ صار يقرر في درسه ، تفسير قوله تعالى : { كل يوم هو في شأن }² ، فجاءه الخضر³ وقال له : ما شأن ربك اليوم ؟ فأطرق برأسه ، وقام متخيراً ، فنام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، فعرض عليه السؤال ، فقال له السائل لك الخضر ، فإن أتاك وسألك ، فقل له : شؤون بيدها ولا يتبناها ، يرفع

¹ - لعنه ، الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي الحنفي البغدادي ، الأديب الثوري المعروف بابن الشجري ، له مجموعة مؤلفات في عدة فروع ، توفي سنة 542 هـ في حقبة العارفين ، المصدر السابق ، ص 505 / 6 .

² - الرحمن : 29 .

³ - هو العبد الصالح الذي تلقى رسول الله موسى عليه السلام ، ورفضته منكرة في سورة الكهف ، وفي بقائه جباراً أو رقيقاً حادقاً ، يقول ابن كثير : " فلو كان الخضر حياً في زمانه - أي رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما وضعه إلا لتباعه والإجماع به وتلقيام بغيره ، ولكن من جملة من تحت لوائه يوم يدرى ، ولم يبق في حديث حسن أو ضعيف يعتمد أنه جاء يوماً واحداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع به " البداية والنهاية ، للمحقق ابن كثير دمشقي ، ج 774 ، ص 295 - 299 / 1 . مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1412 هـ / 1990 م .

أقواما ويصنع آخرين ، فلما أصبح الصبح أتاه وسأله ٢ ، فأجابته بذلك ، فقال له : صل عل من علمك ، انتهى من حاشية الصاوي ١ على الخلاص ٢ .

[أفعال العباد كسب أو اكتساب]

ثم شرعت في أفعال العباد ، فقلت :

(48) فلم يكن يخلق إلا الرب * لكن بدا من العباد الكسب

(49) فيما به كلفهم من خير * والاكْتِسَاب في ارتكاب الشر ٣

الفاء الأولى : للتفريع ، والمعنى أنه لما كانت صفات الأفعال (ص 57) كلها : عبارة عن تعلق القدرة السجري الحادث ، على مذهب الأشاعرة ، أو عبارة عن صفة التكوين القديمة ، على مذهب الماتريدية ، علم أنه لا ناصر إلا لله بالقدرة أو بالتكوين .

وحيث كان الأمر كذلك ، فلم يكن يخلق الأفعال كلها إلا الرب - عز وجل - بدليل قوله تعالى : { الله خالق كل شيء } ٤ ، وقوله تعالى { وربك يخلق ما يشاء ويختار } ٥ ، وقوله تعالى : { والله خلقكم وما تعملون } ٦ ، وقوله تعالى : { هل من خالق غير الله } ٧ ، إلى غير ذلك (لكن بدا) أي ظهر من العباد الكسب في الأفعال الاختيارية التي تنسب إليهم .

وفد اختلف في تعريف الكسب ، والأصح أنه الاهتمام بالشئ والاستغلال بعمله ، والمقارنة لفعله من غير تأثير فيه ، ولا يسمى

١ - العهد بن الصاوي المصري الملكي المطبوع ، المطبوع سنة 1281 هـ له مجموعة من المؤلفات ، هيئة المعارف ، المعتمد السابق من ، 184 - 185 / 5 .

٢ - حاشية الصاوي على تفسير الخليلي ، ج 4 ، ص 155 ، خلا عن تروح لب العقاد الصغير ، ص 96 .

٣ - الفيتا رقم 49 ، لم يرد في تروح لب العقاد الصغير بهذه التكلفة ، ويبدو أن النظم استبدله ، وما ورد فيه : -

والصبي - بعدا - في وقوع الشر * والاكْتِسَاب في ارتكاب الشر ، ص 96 ، 156 .

٤ - الزمر : 62 .

٥ - القصص : 68 .

٦ - الصافات : 96 .

٧ - قطر : 3 .

الاهتمام المذكور كسبا : إلا إذا استعمل فيما كلفهم الله به من الخير كفعل المأمورات واجتناب الشهوات ، وطلب ما يلزم من المباحات ، فإن استعمل فيما نهى الله عنه ، فهو اكتساب ، ولذلك قلت : (والاكْتِسَاب في ارتكاب الشر) لقوله تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } ١ .

[الرد على المعتزلة في قولهم العبد يخلق أفعاله]

فقولنا : (فلم يكن يخلق إلا الرب) فيه رد على المعتزلة ، الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقوة أودعها الله فيه وقولنا (لكن بدا من العباد الكسب ، إلخ) فيه رد على الجبرية الذين يقولون إن الأفعال كلها اضطرارية ، والعبد مجبور عليها ، وليس له فيها اختيار ولا كسب .

والخاصل أن أفعال العباد قد تشعب فيها الخلاف إلى ثلاثة مذاهب :

* مذهب يقول : العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية : بقوة خلقها الله فيه ، وهو مذهب المعتزلة .

* ومذهب يقول : العبد لا يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، ولكن له فيها كسب واكتساب ، وهو مذهب أهل السنة .

* ومذهب يقول : العبد لا يخلق أفعال نفسه ، وليس له فيها كسب ولا اكتساب ، بل هو مجبور فيها ، وهو مذهب الجبرية (ص 58) .

[اتفاق أهل السنة والمعتزلة في أفعال العباد]

فأما المعتزلة وأهل السنة ، فقد اتفقوا على أن أفعال العباد قسمان : اضطرارية واختيارية ، وانقسامها إلى هذين القسمين أمر بديهي ، لأن كل إنسان يجد تفرقة بديهية بين حركة سقوطه من فوق

السطح ، وحركة صعوده عليه ، كما يحسن بالفرقة بين حركة يده الارتعاشية ، وحركة يده عند الكتابة مثلا ، ويدرك أن الأولى من كل منهما عارية عن قدرة العبد وإرادته واختاره ، وأن الثانية من كل منهما مصحوبة بقدرة العبد وإرادته واختاره .

وقالوا : الأفعال الاضطرارية هي ما ليس للعبد فيها قدرة وإرادة واختارها كارتعاش المريض ، ونبض العروق ، وضربات القلب والاختيارية : هي ما للعبد فيها قدرة وإرادة واختيار ، كالصلاة والكتابة والمسعى والأكل ، وما أشبه ذلك ، وانفقوا أيضا على أن الأفعال الاضطرارية مخلوقة بقدرة الله تعالى ، ولكونها خالية عن قدرتها وإرادتها ، واختاريا لم يكلفنا الله بها .

واختلفوا في الأفعال الاختيارية : هل هي واقعة بقدرة الله أو بقدرة العبد ؟ ، فذهب المعتزلة إلى أنها واقعة بقدرة العبد ، ولم تتعلق بها قدرة الله تعالى ، بل الله أوجد العبد ، وخلق له قدرة وإرادة ، فإذا أراد العبد فعلا وجده بقدرته على وفق إرادته ، ودليلهم على هذا الاعتقاد : نقله وعقله .

[أدلة المعتزلة في أفعال العباد]

أما النقل : فمته قوله تعالى : { وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا }¹ ، وقوله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات }² ، وقوله تعالى : { من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها }³ .

وأما العقل : فهو أن العبد لو لم يكن موجد إلا فعالة الاختيارية لما كلف بها ، ولا أُنِب ولا عوقب على ما لم تتعلق قدرته بوجوده .

¹ - المزمع : 20 .
² - البقرة : 277 ، والكهف : 102 .
³ - فصلت : 46 .

وقد اعترض أهل السنة على الآيات التي استدلت بها (ص 59) المعتزلة ، بأنها لا تدل لهم : لأنها معارضة بآيات أخر تدل على أن المنفرد بالإيجاد هو الله تعالى ، على أن الآيات التي استدلتوا بها : إنما تدل على نسبة الأفعال إلى العباد ، وذلك يستلزم الإيجاد .

واعترضوا أيضا على دليل المعتزلة العقل : بأن الاستدلال به مبنى على القول بأن مناط التكليف والثواب والعقاب هو الإيجاد ، وليس الأمر كذلك ، بل مناط هذه الأشياء : هو الاختيار والكسب ، وليس الإيجاد - كما لا يخفى - .

[بيان معنى الكسب والإيجاد]

وذهب أهل السنة إلى أنها واقعة بقدرة الله وحدها ، ومرادة له تعالى ، ولا تأثير لقدرة العباد في وجودها ، وإنما لهم فيها مجرد الكسب ، وبيان معنى الكسب والإيجاد : تأتي بمثال يتضح منه معناهما فنقول :-

إذا أراد العبد فعلا كالصلاة مثلا ، فإذا كان ذلك الفعل مرادا لله أوجده الله بقدرته وحدها ، ولا تأثير لقدرة العبد ، وإنما لها مجرد الاهتمام والمقارنة للفعل .

فمجرد مقارنة قدرة العبد للفعل من غير تأثير لها فيه ؛ يسمى كسبا ، وتعلق قدرة الله بوجود الفعل ؛ يسمى : إيجادا وخلقاً .

فالكسب مقارنة قدرة العبد للفعل في الوجود من غير تأثير لها فيه ، والإيجاد تعلق قدرة الله بوجود الأشياء وإبرازها .

ولما كانت أفعال العباد واقعة منهم بحسب الكسب ، وقائمة بأبدانهم ؛ صح نسبتها إليهم ، ووصفهم بها ، فيقال : صلى فلان ، وصام ، وكتب ، وفلان مصل وصائم وكاتب .

[لا يصح نسبة الأفعال إلى الله تعالى]

لكن نسبتها إليهم من نسبة الشيء إلى سببه أو محله ، لا إلى موجد ، ولا يصح نسبة هذه الأفعال إلى الله تعالى ، ولا وصفه بها لاستحالة قيامها بذاته تعالى ، وإنما يصح نسبة خلقها وإيجادها إليه تعالى ، ووصفه بخلقها وإيجادها .

لأن نسبة الخلق والإيجاد ، وكذلك الوصف بالخلق والإيجاد بقتضيان التأثير ، والمؤثر هو الله تعالى ، فيقال : أوجد الله الصلاة والإيمان ، وخلقهما (ص 60) وهو موجد الصلاة والإيمان وخالقهما ولا يقال : فعل الله الصلاة والإيمان ؛ لأن الفاعل لهما بالكسب هو العبد ، وحسن فاعله موجد وخالق ، والعبد مهم وكاسب .

وإنما كلف الله العباد بهذه الأفعال ، وجعلهم يتأبون على فعلها ويعاقبون على تركها ، مع أن إيجادها بقدرة الله لا بقدرتهم ، لأن لهم فيها اختيارا وكسبا . ومناط التكليف والثواب والعقاب ؛ هو الاختيار والكسب لا الإيجاد .

[أدلة أهل السنة على الخالق للأفعال الاختيارية]

وقد استدل أهل السنة على أن الخالق للأفعال الاختيارية ؛ هو الله بأدلة تغلغ وعقلية ، أما النغلية ؛ فمنها قوله تعالى : { والله خلقكم وما تعملون }¹ ، وقوله تعالى : { ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه }² ، وقوله تعالى : { هل من خالق غير الله }³ ، وقوله تعالى : { أقمن بخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون }⁴ . فهذه الآيات ونحوها صريحة في انفراده - تعالى - بالخلق والإيجاد .

¹ - الصافات : 96 .
² - الأنعام : 102 .
³ - فاطر : 3 .
⁴ - النحل : 17 .

وأما العقلية ؛ فكثيرة ؛ منها أن العبد لو كان موقدا لأفعاله لأوجدها كلها على وفق مراده ، ولم ينهدم ولم ينكسر ، ولم يحترق ، ولم يتخرق منها شيء ، لكنها قد توجد على خلاف مراده ، وقد تنهدم ، أو تنكسر ويحترق ، أو تتخرق ، وهي بين يديه ، وذلك أقوى الأدلة على أنه ليس موقدا لها .

ومنها أنه لو كان موقدا لها ؛ لكان عالما بتفاصيلها وأجزائها ، لكنه لا يعلم بها ، فلا يكون موقدا لها .

فإن قال المعتزلة : يكفى العلم الكلى ، ولا يشترط العلم بالتفاصيل ؟ قلنا لهم : هذا يكفى في الكسب ولا يكفى في الإيجاد .

[مذهب الجبرية في أفعال العباد]

وزهد الجبرية إلى أن جميع أفعال العباد اضطرارية ، وأنها واقعة بقدرة الله وحدها ، وليس للعباد فيها كسب ولا اختيار ، بل هم في أفعالهم كالجمادات في حركاتها ، لا قدرة لهم فيها ولا إرادة ، ولا اختيار ، ولا كسب ، ودليلهم على ذلك ؛ هو أن الله علم وأراد في الأزل وجود أفعال العباد ، وتعلقت قدرته بوجودها فيما لا يزال ، فكل ما وقع من هذه الأفعال ؛ فهو بقضاء الله وقدره . (ص 61) والعباد تسيرهم الأقدار كيف شاء الله ، فهم مجبورون في أفعالهم ؛ كرىشة معلقة في الهواء تميلها الريح كيف مالت .

ولا شك أن مذهبهم ظاهر البطلان ؛ لما علمت من أن كل إنسان يجد أن من أفعاله ما عنده معه قدرة وإرادة واختيار ، ومنها ما ليس عنده معه ذلك .

فنفى القدرة والإرادة والاختيار على الإطلاق ؛ قام على بطلانه دليل الحس والوجدان ، ولذلك لا يصح دليلهم للاستدلال ؛ لأن تغلق علم الله وإرادته في الأزل بأفعال العباد ، لا يجعل العبد مجبورا في

أفعاله ، ولا يسلب عنه الكسب والاختيار ؛ لأن صفتي العلم والإرادة ليسا من صفات التأثير ، بل علم الله أولاً بأن العبد يختار أفعاله محقق لاختيار العبد لا سالب له ، فتأمل !! .

وقد لزم على مذهب الجبرية هذا : أنه لا معنى لإثابة العباد على الطاعات ، ولا لتعذيبهم على المعاصي ، ولا لتكليفهم بالأفعال ، بل يُعَدّ بتكليفهم بها عبثاً ، ولزم عنه أيضاً : إما نسبة العبث إلى الله إن كان الرسل صادقين في قولهم : إن الله كلف العباد ، وإما نسبة الكذب إلى الرسل : إن كان الله لم يكلف العباد بشيء .

[ملخص قول أهل الفرق في أفعال العباد]

ولذلك قيل بكفر الجبرية بناء على أن لازم القول بَعْدُ قولاً ، ولكن رجح الأمر¹ وغيره : أن لازم القول لا يعد قولاً ، ولذلك لا يصح القول بكفرهم ؛ لأنهم لم يقصدوا ذلك ، وإنما قصدوا المبالغة في تنزيه الباري عن شريك له في الأفعال ، فوقعوا في هذه اللوازم من غير قصد .

والخاص أن الجبرية أفرطوا في التنزيه حتى وقعوا في هذه اللوازم التي جرتهم إلى الكفر ، والمعتزلة فرطوا حتى جعلوا العبد شريكاً لله في خلق الأفعال ، ولولا قولهم : يخلقها بقدرة أودعها الله فيه ؛ لكفروا أيضاً ، لأن مالكا² لما سئل عن المعتزلة ، فقبل له أكفأَهم ؟ ، قال : من الكفر قَرَّوا حيث قالوا بقوة أودعها الله فيه وردوا قدرة العبد إلى قدرة الله ، أ هـ³ .

¹ - الأمير السبكي ، محمد بن محمد بن عبد العزيز الأزهري المالكي المغربي المشهور بالأمير الكبير ، له عدة تصانيف منها المجموع في فقه المالكية ، توفي بمصر سنة 1232 هـ ، هدية لغفران ، المصدر السابق ، ص 358 / 6 .
² - الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس ، الأصمعي المدني ، إمام دار الهجرة ، وأحد أعلام الأئمة ، أخذ عن أعلام عصره ، وله سنة 95 هـ ، له كتاب الطحا ، وأثنى عليه كثير من العلماء ، توفي بالمدينة المنورة سنة 179 هـ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، المصدر السابق ، ص 3 - 4 / 6 .
³ - لم أجد هذه الرواية عن الإمام مالك فيما بين يدي من المصادر ، وفي المصنف عن سمع الحسن قال : لما قتل عليّ العروبية ففُؤا له من عولاه بأمر الموحين ؟ أكفر هـ ؟ ، قال : من أكفر فؤا ، المصنف ، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعائي (ت 211 هـ) تحقيق لعمد الدين الأزهري ، حيث رقم 38927 ، ص 488 / 9 ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ / 2000 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

وأهل السنة توسطوا ، { وكان بين ذلك قواما }¹ ، فقد أخرجوا { من بين فرت ودم لنا خالصا سائغا للشاربين }² .

[رؤية الله تعالى]

ثم قلت :- (ص 62)

(50) وَمَنْهُ أَنَّهُ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ * يَدُونَ كَيْفَ فِي الْجَنَّةِ بِالْعَيْنِ

ضمير (منه) يعود على الجائر الذي تقدم ذكره ، وضمير (أنه) يعود على الإله ، و (الجار والمجرور) خبر مقدم ، والمصدر المنسبك : مبتدأ مؤخر .

أي ومن الجائر في حق الإله عند أهل السنة أنه يتجلى لعباده فيراه المؤمنون يدون كيف ولا انحصار في الجنان (بكسر الجيم) جمع جنة بفحوا : أي في دار النعيم الآخروية الخالدة بالعبود التي في رؤوسهم .

ثم اعلم أن رؤية الله - عز وجل - هي انكشافه للرائين انكشافاً تاماً من غير أن يكون محصوراً أو محدوداً في جهة ، أو في مقابلة الرائي ، ويدون تكيف بأي كيفية من كيفيات رؤية الحوادث بعضهم بعضاً ، وقد وقع فيها خلاف بين أهل السنة والمعتزلة .

فذهب أهل السنة إلى أن رؤية الله تعالى بالأبصار من غير مقابلة وجهة وتكيف بأي كيفية ممكنة عقلاً في الدنيا والآخرة ، وواقعة في الآخرة للمؤمنين ، ودليلهم على إمكانها : نقله وعقله .

أما النقل : فقول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : { رب أرني أنظر إليك } ، قال لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني¹ ، والاستدلال بهذه الآية من وجهين :-

¹ - الفرقان : 67 ، القالب من القرآن .
² - النحل : 66 ، القالب من القرآن .

الأول : أن موسى سأل الله الرؤية ، ولو كانت غير ممكنة ما سألها
الثاني : أن الله خلق رؤيته على ممكن ، وهو استمرار الجتل ، والمعلق
على الممكن ممكن

[اعتراض المعتزلة على رؤية الله تعالى]

واعتراض المعتزلة على الوجه الأول : بأن سؤال موسى الرؤية لا
يدل على إمكانها ؛ لأنه لم يسألها لنفسه لعلمه باستحالتها ، وإنما سألها
لقومه حتى طلبوا منه أن يرهم الله جهره ، وإنما أضافها لنفسه في
قوله : (رب أرني أنظر إليك) لحجاب من قبل الله بالمنع حتى يعلم
قومه أنها مسموعة عليهم من باب أولى ، أو أنه سألها لنفسه ، وكان
يجهل استحالتها ، فسؤاله إياها لا يدل على إمكانها .

واعتراضاً على الوجه الثاني : بأن الرؤية لم تعلق على ممكن ، بل
علقت على مستحيل ، وهو استمرار الجتل حال تحركه ، فيعلق الرؤية
عليه لا يدل على إمكانها .

وأجاب أهل السنة على الاعتراض الأول : بأن موسى عليه السلام
(ص 63) لم يسأل الرؤية لقومه ، لأن سؤاله إياها كان قبل طلب
قومه ذلك برمن بعيد ، كما قاله محققوا المفسرين² وإنما سألها
لنفسه ، ولا يصح أن يسألها مع علمه باستحالتها ، وإلا كان عابثاً
وألغيت في حق الرسل محال ، خصوصاً فيما يتعلق بذات الله تعالى
كما لا يصح القول بأنه كان يجهل استحالتها ، إذ بعد ، بل يستحيل أن
يجهل رسول كريم ما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى .

فثبت أن موسى عليه السلام ، سأل الرؤية لنفسه ، وهو يعلم
إمكانها ، فسؤاله إياها يدل على إمكانها ، وأجابوا عن الاعتراض الثاني

١ - الأنوار : 143 .
٢ - جامع البحار القرآن : آلي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ص 278 - 279 / 7 ، دار الكتاب العربي بيروت .
٣ - د . وحس 105 / 19 من ذات الكتاب .

بأن استمرار الجتل ومن تحركه ممكن بأن يقع الاستمرار بدل الحركة
وإنما المستحيل اجتماع الحركة والاستمرار في آن واحد .

[أدلة أهل السنة على رؤية الله تعالى]

وأما دليل أهل السنة العقلي على إمكان الرؤية : فهو أن الله
موجود ، وكل موجود يمكن أن يرى ، قاله تعالى يمكن أن يرى ، ولا
يمنع عقلاً رؤية نحو الروائح ، وإنما عذمت رؤيتها لها لأنه لم يجر عادة
الله بأن يخلق فيها رؤيتها .

[أدلة أهل السنة على رؤية الله تعالى]

ودليل أهل السنة على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين : الكتاب
والسنة والإجماع : أما الكتاب فمعه في شأن المؤمنين قوله تعالى
{ على الأرائك ينظرون }¹ وقوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى
ربها باظرة }² ، وقوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }³
فالحسنى : الجنة ، والزيادة رؤية الله ، كما قاله جمهور المفسرين⁴ .

ومنه في شأن الكفار تحقيراً لهم ، قوله تعالى : { كلا إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون }⁵ ، فإنه يدل على أن المؤمنين يومئذ غير محجوبين
عن ربهم .

وأما السنة : فمنها قوله عليه السلام : { إنكم سترون ربكم كما
ترون القمر ليلة البدر }⁶ وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة على وقوع
رؤية الله في الآخرة للمؤمنين ، ولم يخالف فيها منهم أحد مطلقاً .

١ - المتطالعين : 23 .
٢ - القرية : 22 - 23 .
٣ - يونس : 26 .
٤ - الجامع لأحكام القرآن : آلي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ص 278 - 279 / 7 ، دار الكتاب العربي بيروت .
٥ - د . وحس 105 / 19 من ذات الكتاب .
٦ - المتطالعين : 26 .
٧ - الحديث رواه الإمام القرطبي في الجامع المنبجج عن أبي هريرة ، أبواب صفة الجنة ، حديث رقم 2679 ، ص 98 / 4 .
طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1403 / هـ 1983 م .

[أدلة المعتزلة على استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة]

وذهب المعتزلة إلى أن رؤية الله بالأبصار مستحيلة في الدنيا والآخرة ، ودليلهم على استحالتها : عقلي ونقلي ، أما العقلي : فهو أن الرؤية (ص 64) يستلزم أن يكون المرئي في جهة ومقابلا للرائي وأن يتصل به شعاع البصر ، وذلك مستحيل في حق الله تعالى ، وكل ما يستلزم المحال : محال ، ف رؤية الله محالة .

وأما الدليل النقلى ، فقولهم تعالى : { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار } ، ووجه دلالة هذه الآية على استحالة الرؤيا : هو أن الله ذكر هذه الآية للتمجيد بعدم إدراك الأبصار له ، فيكون عدم إدراكه بالأبصار كمالا له - تعالى - وإدراكه بالأبصار نقصا ، والنقص عليه - تعالى - محال ، فإدراكه بالأبصار محال .

[رد أهل السنة على أدلة المعتزلة]

واعترض أهل السنة على الدليل العقلي ، بأنه لا يدل على استحالة رؤية الله تعالى : لأن الاستدلال به مبنى على أن الرؤية مشروطة بأن يكون المرئي في جهة ومقابلا للرائي ، وأن يتصل به شعاع البصر وعلى أن تكون هذه الأمور شروطا عقلية للرؤية يلزم من عدمها عدم الرؤية .

ويحس أهل السنة تمنع كونها شروطا عقلية للرؤية : لأن الرؤية نوع من الإدراك يخلقه الله متى شاء ، وكيف شاء ، لا يشترط فيه مقابلة ولا جهة . . إلخ ، غايته الأمر أن هذه الأمور : شروط عادية في رؤية الحوادث بعضهم بعضا ، فيجوز أن تتخرق هذه العادة ، وتتخلف ، ويرى الإنسان ما هو بعيد جدا ، وما هو قريب جدا ، وما ليس مقابلا للرائي وما ليس في جهة ، كالجواهر المجردة .

ولئن سلمنا أنها شروط في رؤية بعضنا بعضا : فلا نسلم أنها شروط في رؤية الله ، بل هذه الأمور مستحيلة في رؤية الله تعالى فتراه منورها عن الجهة والمقابلة ، وسائر الكيفيات ، كما علمناه كذلك .

واعترضوا أيضا على الدليل النقلى بأنه لا يدل على استحالة رؤية الله لأن الاستدلال به مبنى على أن الإدراك بالأبصار ، نفس الرؤية ، أو لازم لها ، ونحن نمنع أن يكون هو نفس الرؤية أو لازما لها ، بل هو أخص منها ، ولا تلزم بينهما ، إذ الإدراك بالأبصار هو الرؤية على وجه الإحاطة بجميع أجزاء المرئي ، ورؤية الباري لا يشترط فيها ذلك فالإدراك أخص منها ، والآية نفت إدراك الإبصار لله على وجه الإحاطة (ص 65) ولا يلزم من نفي الرؤية على وجه الإحاطة : نفيها لا على وجه الإحاطة : لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ، بخلاف العطس .

ثم اعلم أن أهل السنة اتفقوا على أن رؤية الله تعالى بقطة بعيني الرأس لم تقع في الدنيا لغبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، واختلفوا في وقوعها له ، والصحيح أنه رأي ربه بعيني رأسه بقطة ليلة الإسراء والمعراج ، كما عليه جمهور الصحابة ، رضي الله عنهم .

[تنبيهات [حكم تعلق القدرة بأفعال العباد]

[التنبيه الأول : قد تقدم أن أفعال المولى كلها ترجع إلى تعلق القدرة بالتنجيزي الحادث ، على مذهب الأشاعرة ، أو إلى صفة التكوين القديمة على مذهب المأثرية ، ولكن هذا المرجح لا يسمى صفة فعل ، وإنما يسمى مرجعا لصفات الأفعال .

وأما صفات الأفعال : فهي نفس فعل الممكنات ، ويقال لها صفة الجائر : لأنه يجوز في حق الله فعل الممكنات وتركها ، ويقال لها أيضا نفي وجوب الفعل : لأن الفعل إذا انتفى وجوبه ثبت جوازه ، وصار نفي وجوبه عين جواز ، فتأمل !! .

التشبيه الثاني : حكم عقيدة الجائر وما دخل تحتها من أفعال العباد ومن رؤية الباري في الجنة ، أنها جائزة في حق الله تعالى بالجواز العقلي وواجبة على المكلف بالوجوب الشرعي الأصولي اعتقاداً ، أو القروعي معرفة ، لقولنا في أول هذا النظم :-
وكلها واجبة بالشرع * على المكلف ... إلخ .

[بيان ما يستحيل في حق الله تعالى]

ولما فرغت من بيان الجائر في حق الله تعالى ، شرعت في بيان صده ، فقلت :-

(51) وَيَسْتَحِيلُ عَنْهُ حَتْمُ الْفِعْلِ * وَلَوْ صَلَاحًا مِثْلَ بَعَثِ الرَّسُلِ ١

أقول : (الصلاح) ضد الفساد ، و (الأصلح) أعلى من الصلاح ، مثال الفساد : أن يبت الإنسان بدون عشاء ، ومثال الصلاح أن يتعشى بخبز خشن وإدام ضعيف بدون لحم ولا فاكهة ، ومثال الأصلح : أن يتعشى بأحسن طعام ، وأحسن إدام ولحم مع الفاكهة .

[قول المعتزلة يجب على الله فعل الأصلح]

والمعنى أن الله -- تعالى -- يستحيل عنه حتم ، أي وجوب الفعل لأن الحتم : معناه الوجوب (ص 66) أي لا يجب عليه فعل شيء من الممكنات ولو صلاحاً ، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا : يجب على الله فعل الصلاح والأصلح ، أي يجب عليه أن يراعى الصلاح والأصلح لعباده ويعاملهم بهما .

وقالوا : الصلاح هو ما قابل الفساد ، كالإيمان في مقابلة الكفر ، والغنى في مقابلة الفقر ، والأصلح هو ما قابل الصلاح : كأعلى الجنان

١ - الشطر الأول من البيت يختلف عما ورد في شرح لب الطحاوي الصغير ، من 105 فقد ورد بها :
ولم يجب عليه أي فعل ...

في مقابلة أدناها ، والمراد بهما الأوفق في الحكمة والتدبير بالنسبة للشخص في دينه وفي دنياه .

واستدلوا على ذلك بقولهم : إن فعل الصلاح والأصلح حكمة ومصلحة يستحق فاعله المدح ، وتركه بخل وسفه يستحق تاركه الذم ، وخينذ يجب على الله فعله والإعراض عن تركه ، لأن الله منزله عما يستحق به الذم .

ويجيب عن ذلك بأن منع ما يكون من حق المانع الذي ثبت بالادلة كرمه ولطفه وحكمته وعدله ، ليس بخل ولا سفه ، وإنما هو عدل وحكمة .

[رد أهل السنة على قول المعتزلة]

وقد رد عليهم أهل السنة بعدة أمور : منها : لو وجب على الله فعل الصلاح والأصلح ، لما خلق الكافر الفقير المبني بالاسقام المخلد في النار ، ولما آلم الأطفال والعجزة ، ولما كان هناك تفضيل بين الناس مع أن الله -- تعالى -- يقول : { ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات } ١ ولما كان لله منة على عباده ، ولا يستحق منهم شكراً ؛ لأنه لم يفعل إلا ما وجب عليه ، ولما صح سؤال الخير وكشف الضر ؛ لأن الله فعل ما فيه الأصلح ، واستند ما في قدرته .

وأين الصلاح في خلق إبليس وإبقائه طول الزمان ، وإقذاره على اضلال العباد ، ولا يمكن أن يكون كفر الكافر صلاح له ، وإن كل ما وقع في الكون أصلح للعباد ، لأن من الضروريات أن الإيمان أصلح من اكفر ، والسعادة أصلح من الشقاوة .

واذن ، فإله لا يجب عليه شيء ، بل جميع الممكنات جائزة في حقه لما ثبت له من العلم والإرادة والقدرة والاختيار ، والآيات

١ - الزخرف : 32 .

والأحاديث التي تدل على الوجوب . مثل قوله تعالى (ص 67)
{ وما من دابة في الأرض إلا على الله يَرْزُقُهَا }¹ ، محمولة عند أهل
السنة على الوعد بفضلا وإحسانا .

[سبب ترك الإمام الأشعري مجلس شيخه الجبائي]

وقد ذكروا أن هذه المسألة كانت سببا في ترك الأشعري لمجلس
شيخه أبي علي الجبائي المعتزلي² فقد حكى أن الإمام الأشعري -
رضي الله عنه - سأل شيخه أبا علي الجبائي ، وهو يقرر مسألة وجوب
الصلاح على الله تعالى ، فقال له : ما تقول في ثلاثة أخوة ، مات
أحدهم كبيرا مطيعا ، ومات الثاني كبيرا عاصيا ، ومات الثالث صغيرا ؟
فقال الجبائي : الأول يباب في الجنة ، والثاني يعاقب في النار
والثالث لا يباب ولا يعاقب ، فقال له الأشعري : فإن قال الثالث : يا رب
لم أمتني صغيرا ولم تقبني إلى أن كبرت فأطعك لأتأب في الجنة
فماذا يقول الرب ؟

فقال الجبائي : يقول الرب إنني كنت أعلم أنك لو كبرت لعصيت
فدخلت النار : فكان الأصلاح لك أن تموت صغيرا ، فقال الأشعري : فإن
قال الثاني : يا رب لم لم تمتني صغيرا حتى لا أعصيك ، فأدخل النار
فماذا يقول الرب ؟ ، فهبت الجبائي لقا قامت عليه الحجة وسكت .

وروي أنه قال للأشعري : أنك جنون ؟ ، فقال الأشعري : لا ولكن
وقف حمار الشيخ في العقبة ، ومن ذاك اليوم ترك الأشعري مجلس
الجبائي ، واشتغل هو ومن معه بإبطال ما ذهبت إليه المعتزلة ، وأنبأت
ما وردت به السنة ، ومضى عليه الجماعة ، فلذلك سموا بأهل السنة
والجماعة .

¹ - هود : 6 .

² - محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المصري المعزلي (أبو علي) متكلم ، فيلسوف ، وإليه تنسب المذاهب الجبائية ، توفي
بالبحر سنة 302 هـ ، معجم المؤلفين ، المصدر السابق ، ص 269 / 30 .

[لا يجب على الله فعل شيء من الممكنات]

إذا علمت ذلك : انضح لك أن المولى لا يجب عليه فعل شيء من
الممكنات ولو صلاحا ، فلا تجب عليه إنباة المطيع ، ولا تعذيب العاصي
لأنه غني عنهما وعن أعمالهما ، فلا يلحقه نفع بطاعة المطيع ، ولا
ضرر بعصيان العاصي .

وحينئذ فالمطيع والعاصي بالنسبة إلى الله تعالى على حد سواء
فله أن يثيب المطيع ، ويعذب العاصي ، وله أن يعكس الأمر بينهما بأن
يعذب المطيع ويثيب العاصي ، وله أن يشهما معا ، وله أن يعذبهما معا
والإنابة منه محض فضل ، التعذيب منه (ص 68) محض عدل ، قال
صاحب الجوهرة : -

فَإِنْ شِئْنَا فَيَمَحُضُ الْقَضَلُ * وَإِنْ يُعَذِّبُ فَيَمَحُضُ الْعَذَلُ

قَوْلُهُمْ إِنْ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ * عَلَيْهِ زَوْرٌ ، مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ¹

قال العلامة الدردير في شرح الخريدة : لأن كل من وجب عليه
شيء يكون مقهورا ، أ هـ² (ص 44) وسواء كان الوجوب عقليا أو
شرعيا : لأنه إذا كان عقليا : يكون مقهورا من جهة العقل ، وإذا كان
شرعيا يكون مقهورا من جهة من شرع له ذلك ، وفرضه عليه .

وهل يوجد من يقهر المولى - عز وجل - حتى يشرع له شيئا
ويوجب عليه فعله ؟ ، { سبحانه هو الله الواحد القهار }³ ، { وهو
القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير }⁴ .

¹ - جامع مهمات المتن ، المصدر السابق ، ص 18 .

² - شرح الخريدة في علم التوحيد ، للإمام أبي الفركاس بندي أحمد الدردير ، تصحيح حسين عبد الرحيم مكي ، المدرس بالأزهر
الشريف ، ص 44 ، مكتبة ومطبعة محمد علي صديق وأولاده ، ميدان الأزهر ، مصر ، د - ب .

³ - الزمر : 4 .

⁴ - الأنعام : 18 .

[رأي المعتزلة بوجوب الصلاح والأصلح على الله]

فقد بان لك أن جميع ما ذكرناه - هنا - يدل على فساد مذهب المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى ، وعلى أن الله تعالى لا يحب عليه فعل شيء لعبادة ، ولو كان من أعلى درجات الصلاح ، مثل بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فقولنا في النظم (مثل بعث الرسل) مثال للصلاح الذي قالوا به ، وقال أهل السنة : باستحالة وجوبه ، فهو مثال للمعتزلة بوجوبه ، وإذا استحال وجوبه ثبت جوازه للمستحيل على مذهب أهل السنة ، وإذا استحال وجوبه ثبت جوازه وصار من أفراد الجائز ، ولذلك جعله صاحب الجوهرة من أفراد الجائز حيث قال :-

ومنه إرسال جميع الرسل * فلا وجوب بل يمحض الفضل ؛

والخاصل : أن المعتزلة قالوا بوجوب بعث الرسل ، وبنوا كلامهم على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى ، وهذه القاعدة أخذوها من قاعدة أخرى قالوا بها : وهي قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، حيث قالوا : الحسن ما حسنه العقل ؛ والقبيح ما قبحه العقل ، والشرع مؤيد لا غير .

وقالوا بعقولهم : إن النظام المؤدي إلى صلاح حال النوع الإنساني على العموم في المعاش (ص 69) والمعاد ، لا يتم إلا ببعث الرسل ، وكل ما كان كذلك : فهو واجب على الله .

[رد أهل السنة على قاعدة التحسين والتقبيح]

وقد رد عليهم أهل السنة قاعدة التحسين والتقبيح العقليين بعدة أدلة ، منها : أن العقول متفاوتة ، والكامل نادر ، والناذر لا حكم له والدليل على تفاوتها أن الشيء الواحد قد يستحسنه قوم ويستقبحه

¹ : جامع مهمات المفكرين ، المصنف السابق ، ص 28

آخرون ، بل قد يستحسنه الإنسان في وقت ، ويستقبحه في وقت آخر وجبت بالتفويض إلى العقول يؤدي إلى التنازع والتقابل ، وعليه فلا بد من مرشد ، وهو الرسول .

ومنها أن الأفعال المنجية في الآخرة مقببة وخفية ، فلا يهتدي إليها العقل إلا برسول ، كما لا يهتدي إلى تمييز الأدوية من السموم إلا طبيب ، لذلك قلت في نظمنا للمعتمد من جمع الجوامع ¹ :-

فلو بدأ حكم العقل الفطرة * ما عبد الأصنام أهل الفترة

[التمييز بين الحسن والقبح يكون بالشرع]

ومن هنا يتضح أن الأحكام المنجية في الآخرة لا تبينها إلا الشرع وأن التمييز بين الحسن والقبح : لا يكون إلا بالشرع أيضا ، وبذلك قال الأشاعرة : الحسن ما حسنه الشرع ، والقبح ما قبحه الشرع ، والعقل مؤيد لا غير ، خلافا للمعتزلة .

وكذلك رد عليهم أهل السنة قاعدة وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى ؛ بأن الله تعالى لو وجب عليه فعل الصلاح والأصلح ، لما خلق الكفر والضلال ، ولا إبليس الضلال ، إذ لا صلاح في واحد مما ذكر ، وردوا عليهم القول بوجوب بعث الرسل ؛ بأن بعثهم لو كان واجبا على الله ، لما وجدت فترة بين بعض المرسلين ، فتأمل !!

[خاتمة [مبحث الإلهيات]

ضد الجائر هو آخر مبحث الإلهيات ، وقد اشتمل على خمسين عقيدة ، وهي الصفات الإلهية العشرة الواجبة وأضدادها ، والتنزيهات الأربعة وأضدادها ، وصفة الجائر وضدها .

¹ : هذا النظم من مؤلفات الشيخ محمد مفتاح قريو ، ولم ألق عليه ، ويقول تلميذه الشيخ مصطفى قواسم : " هو في أصول الفقه ولم يكمله " جواهر الفقه ، للشيخ محمد مفتاح قريو ، ص 23 ، نشر دار ومكتبة الشعب ، مصر ، الطبعة الثانية ، 2008 .

ولما انتهى الكلام على الإلهيات (ص 70) انتقلت للكلام على
السويات، فقلت :-

مبحث النبويات
(52) لَكِنَّهُ وَجِبَ بِالْوُقُوعِ * وَصَدَّةٌ ضَارٌّ مِنَ الْمَمْنُوعِ¹

[بعث الرسل بين الواجب والمستحيل]

أقول :-
ضمير (لكنه) يعود على بعث الرسل الذي تقدم ذكره في البيت
السابق ، والمعنى أن بعث الرسل ، وإن كان من قبيل الجائز العقلي
الذي يصح في العقل وجوده وعدمه ؛ لكنه لما وقع وجب بسبب
الوقوع ؛ لأن الجائز العقلي قد يعرض له الوجوب بأسباب خارجية
منها : إذا أخبر الشرع بوقوعه في الماضي ، كبعث الرسل مثلا ، أو
أخبر بأنه سيقع في المستقبل ، كالיום الآخر مثلا ، ويسمى واجبا
عرضيا ، وقد تعرض لضده الاستحالة ، ويسمى مستحila عرضيا ؛ لأن
ضد الواقع محال ، فيكون الواقع واجبا .

قال الشيخ محمد ميارة - في شرحه الصغير على المرشد المعين
- ، ما نصه :-

(تنبيه) قد يعرض للجائز الوجوب لإخبار الشرع بوقوعه ، ويسمى
الواجب العرضي ، أو الاستحالة ؛ لإخبار الشرع بعدم وقوعه ، ويسمى
المستحيل العرضي ، أه² .

¹ - هذا البيت يختلف عما ورد في شرح لب البيت الصغير ، من 113 ، وقد جاء فيه :-
لَنْ يَحْتَمِلَ مِنْ لَدُنْهِ * بِمَعْنَى فَصْلَةٍ تَقَعُ الْمَجْتَمِعُ

قال في شرحه : (لكن) حرف استتراك ، ومنه يعلم يعود على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، والبعث بمعنى الإرسال

² - مختصر الدر الثمين والعمدة المعين على منظومة المرشد المعين ، للعلامة محمد بن أحمد ميارة ، المصدر السابق ، من 18 .

قال محشيه ابن حمدون : مثال الواجب العرضي : إثابة أبي بكر
وعذيب أبي جهل ، فإن نظر إلى ذلك في حد ذاته ؛ فهو يقبل العدم
فيكون جائزا ، وإن نظر إليه من حيث تعلق علم الله بوقوعه ؛ كان
قطعا فيكون واجبا ، فهو في نفسه جائز ، وبالنظر إلى خارج عن ذاته
واجب ، أه¹ .

ومثله بعث الرسل ؛ عليهم الصلاة والسلام ، لأنه إن نظر إليه في
حد ذاته ، فهو يقبل العدم ، فيكون جائزا ، وإن نظر إليه من حيث تعلق
علم الله بوقوعه ؛ كان قطعا ، فيكون واجبا ، فهو في نفسه جائز
وبالنظر إلى الخارج عنه واجب ، فيجب الإيمان به ؛ لأنه أحد أصول
الإيمان الستة .

[وجوب الإيمان بالرسل ووصفهم بالكمال]

ولذلك قلت :-

(53) قَيِّبَ الْإِيمَانُ بِالْإِرْسَالِ * وَوَصَفَ كُلَّ الرُّسُلِ بِالْكَمَالِ (ص 71)

(الفاء) للتفريع ، والمعنى أن بعث الرسل - عليهم الصلاة والسلام
- حيث عرض له الوجوب من جهة إخبار الشرع بوقوعه ؛ فيجب
الإيمان به ، لأنه أحد أصول الإيمان الستة التي تقدم ذكرها في قولنا :-

وجملة الأصول للإيمان * ست ينص المصطفى العدناني ، إلخ

أي يجب على المكلف أن يؤمن بأن الله أرسل للناس رسلا من
البشر مبشرين بنوابه ، ومنذرين بعقابه ، وكذلك يجب وصف كل الرسل
بالكمال ، أي يجب اعتقاد أنهم متصفون بصفات الكمال البشري على
سبيل الإجمال .

¹ - حاشية ابن حمدون على شرح ميارة للمرشد المعين ، المصدر السابق ، من 1 / 23 .

[في حكم إرسال الرسل وحاجة الناس إليهم]

[الفائدة الأولى : في بيان حكم إرسال الرسل :-
اعلم أي حكم إرسال الرسل قد جرى فيه خلاف بين أهل السنة
وغيرهم : فقال أهل السنة : إن إرسال الرسل جائز عقلا على الله
تعالى : لأنه رحمة من الله ، ولطف بعباده ، لما يترتب عليه من المنافع
التي لا تحصى ، واللطف من أفعال الله الجائزة .
وقالت المعتزلة : إرسال الرسل واجب على الله : لأنه لا يتم النظام
المؤدي إلى صلاح النوع الإنساني في معاشته ومعاده إلا به ، وكل ما
كان كذلك : فهو واجب ، وقد بنوا رأيهم على قاعدة الصلاح والأصلح
التي ثبت بطلانها : لأن الله فعال لما يريد .¹

[قول الفلاسفة والبراهمة في إرسال الرسل]

وقالت الفلاسفة : إرسال الرسل واجب على الله بطريق الإيجاب
لأنه يلزم من وجود الله وجود العالم ، بالتعليل أو الطبيعة ، ويلزم من
وجود العالم : وجود من يصلحه .

وبنوا كلامهم على قاعدة : التعليل ، وهي باطلة أيضا ؛ لأنه ثبت أن
الله فاعل بالاختيار ، ولا يلزم قدم العالم لو كان فاعلا بالإيجاب ، قال
الله تعالى : { وربك يخلق ما يشاء ويختار }² .

وقالت البراهمة والسمينية³ : إرسال الرسل مستحيل ؛ لأن العقل
(ص 72) يغني عنه ، فيكون عبثا ؛ لأن الشيء إن كان حسنا عند

¹ - مقتبس من القرآن الكريم

² - القصص : 68 .

³ - لا يلتزم إلى إراعي عليه السلام ، وهؤلاء المخصوصون بنبي النبوة أصلا ، وقد انتسبوا إلى رجل منهم يقال له إبراهيم ، وقد
مهد لهم نبي النبوة أصلا ، وفكر استدعاء ذلك في القول ، ولهم في ذلك عدة آراء ، أرجحها في كتاب الملل والنحل للشهرستاني
المصدر السابق ، ص 250 - 252 .

العقل فعله ، وإن كان قبيحا تركه ، وإن لم يكن حسنا ولا قبيحا ، فإن
احتاج إليه فعله ولا تركه ، ولا يتقيد بما تأتي به الرسل .

وهذا باطل أيضا ؛ لأن العقل فاصر عن إدراك ما يحتاج إليه العباد
لعدة أمور :-

الأول : أن العقول متفاوتة ، والكامل نادر ، فالتفويض إليها مؤد إلى
التنازع والتقاتل ، فلا بد من مرشد وهو الرسول .

الثاني : أن العقل لا يدرك كل شيء ؛ وحينئذ فما أدركه العقل أكده
الرسول ، وما لم يدركه بينه له ، وما تردد فيه رفع عنه الاحتمال .

الثالث : أن العقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة إلا برسول ،
كما لا يهتدي إلى تمييز الأدوية من السموم إلا بطبيب .

وهذه الأقوال لم يصح منها إلا ما قاله أهل السنة من أن إرسال
الرسل جائز عقلا ، وواجب عرضي شرعا ؛ لإخبار الشرع بوقوعه ،
فيجب الإيمان به ، ولذلك قال صاحب الجوهرة :-

وَمِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ * فَلَا وَجُوبَ بَلْ يَمَحُضُ الْقَضَلُ

لَكِنْ يَدَا إِيْمَانَنَا قَدْ وَجَبَا * قَدْ عَهِدَ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا¹

والذين لعب بهم هواهم ؛ هم الذين قالوا بالوجوب ، والذين قالوا
بالإيجاب ، والذين قالوا بالاستحالة ، فافهم ! ؟ .

الفائدة الثانية : في حاجة البشر إلى الرسل

[خلق الإنسان بغرائز]

اعلم أن الله تعالى قد خلق الإنسان ، وفضله على كثير من خلقه ،
فسخر له الحيوان والنبات والجماد ، وجعلها طوع إرادته ، يستخدمها

¹ - جامع مهمات المتن ، المصدر السابق ، ص 19

في تحصيل منافعه ولدائه ، وجباة بعمه العمل : ليميز به الخير من الشر ، والنافع من الضار ، ويدبر به أموره ، وأودع فيه من القرائن والقوى ما يحفره إلى العمل .

ففيه غيرة حب النفس والحرص على حمايتها ، والاستئثار بالمنافع ، وفيه قوة الشهوة ، وقوة الغضب ، ولدائه وأماله لا تقف عند غاية ، ومطالبه غير محدودة .

وهو مع ذلك أسير (ص 73) شهواته ، وغيد أطماعه ، ومنقاد لقرائنه وقواه المادية ، وهي ذائبة إلى الظلم والنزاع والفساد والخراب .

وقد غرر في طبيعته أن تعيش أفراده مجتمعة يتعاونون على جلب المنافع ودفع المكازر ، ويبادلون نمار أعمالهم ، فللفرد عمل يعود على المجموع في بقائه ، وللمجموع من العمل ما لا غنى للفرد عنه في نمائه وبقائه .

[بنى الإنسان حياته على التعاون]

وهل يستقيم أمر الإنسان الذي بنى نظام حياته على التعاون بين أفرادها في شؤون الحياة ، لو وكل أمره إلى مجرد عقله ؟ ، كلا ، إذ ليس في وسع العقل البشري أن يضع قواعد العدل التي بها انتظام العيش في هذه الحياة ، ولا أن يحدد العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات في المعاملات بحدود الإنصاف .

فإن العقول قاصرة ، وإدراكها مغاوت ، فقد يستحسن جماعة شيئا ويستقبحه آخرون ، بل الشخص الواحد قد يستحسن شيئا في وقت ويستقبحه في وقت آخر ، فمجرد البيان العقلي لا يدفع نزاعا ، ولا يوفر أمنا .

وإنصاف : الإنسان لم يخلق لهذه الحياة القصيرة العابية : بل لحياة أبدية باقية ، أعد الله فيها دارا للتعليم المقيم ، وأخرى للعقاب الأليم وجعل عمل الإنسان في الحياة الدنيا وسيلة إلى حفظه من الحياة الأخرى .

والعمل البشري الذي عجز عن تنظيم شؤون هذه الحياة الدنيا الشاهقة ، لا يمكنه أن يدرك أحوال الآخرة المغيبة : كالنعيم والحساب والجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ، ولا يستطيع أن يدرك أنواع العبادات وكيفيةها ، وشروطها ، وأوقاتها على الوجه الذي سنه الشريعة .

ولا أن يحدد لكل عمل جرائه ، ولا أن يستقل بمعرفته أن عمل كذا مأمور به ومصاب عليه ، وأن عمل كذا منهى عنه ، ومعاقب عليه وليس في وسعه أن يعرف جميع ما يجب لله ، وما يستحيل عنه ، وما يجوز في حقه .

[حاجة الناس إلى قيادة حكيمة]

ولهذا وغيره كان الناس محتاجين إلى قيادة حكيمة ، يخضع لها الخاص والعام ، وإلى رسالة من قبل الله تضع قواعد العدل التي بها يتم نظام العيش في هذه الحياة الدنيا ، وتحدد العلائق والصلات (ص 74) بين الأفراد والجماعات بحدود العدل والإنصاف .

والى من يخبرهم من قبل الله عن الحياة الآخرة ، وما فيها من نواب يرغب في الخير : وعقاب يرهب من الشر ، لتنظم علاقاتهم على العدل ، ويسن لهم عن الله ما كلفهم به من العفائد والعبادات والآداب والمعاملات : تطهيرا لنفوسهم من دنس الشرك وعبادة الأوثان وتهديا لأخلاقهم ، ونشرا للعدل والسلام بين كافة الناس .

فلذلك : تفضل الله على عباده ، فبعث إليهم رسلا منهم يرشدونهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في معاشهم ومعادهم ، ويستنون لهم

ما يحتاجون إليه . حتى يقوم بهم الحجة على العباد . فتقطع معاذير
الخلق وعملاتهم . ويصل حجتهم ومستنداتهم . قال الله تعالى
(رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
١ . وقال أيضاً : (ولو أنا أنقضناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا
أرسلنا إلينا رسولاً قطع أمانك من قبل أن نذل ونخزى) آه ٢ .
ونما قرع من بيان ما يجب للرسل على سبيل الإجمال : شرعن
في بيان ما يجب لهم على سبيل التفصيل .

[ما يجب على الرسل تفصيلاً]

فقلت :-
(٥٤) وقصت من تلك الأمانة * والصدق والتبليغ والقصاة

(الواو) للاستئناف الباني . وهو ما وقع في جواب سؤال مقدر : إذ
كان سائلاً سأل . وقال : قد تقدم في البيت السابق أنه يجب وصف كل
الرسل بالكمال على سبيل الإجمال . وهل فصل من ذلك الكمال
شيء أم لا ؟

فأجب بقولنا : (وفصلت من ذلك الأمانة . إلخ) أي وفصلت من
ذلك الكمال أربع صفات : فتجب معرفتها على سبيل التفصيل ، وهما أنا
أشرحها على الترتيب :-

[صفة الأمانة]

فأقول :-

الأولى : الأمانة . ويقال لها العصمة :

وهي حفظ الله جوارحهم الظاهرة والباطنة من التلبس بمنه
عنه نهى تحريم ، أو كراهة أو خلاف الأولى . ولو قبل النبوة . فهم
محفوظون ظاهراً من الزنا ، وشرب الخمر ، والكذب ، والغيبة . وغير
ذلك (ص 75) من منهيات الظاهر . ومحفوظون باطناً من الحسد
والكبر والعجب والرياء ، وغير ذلك من منهيات الباطن .

وكذلك لا يقع منهم مكروه ، ولا خلاف الأولى . بل ولا مباح على
وجه أنه مكروه ، أو خلاف الأولى ، أو مباح ، وإذا وقع ما صورته ذلك
فهو للتشريع . فيصير واجباً أو مندوباً في حقهم ، فأفعالهم - عليهم
الصلاة والسلام - دائرة بين الواجب والمندوب لا غير . بل الأولياء
الذين هم من أتباعهم من يصل إلى مقام تصير فيه حركانه وسكناته
كلها طاعة بالنيات .

وهذا يندفع ما يقال : قد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - توضحاً
مرة مرة ، ومرتين مرتين ، وبال فائما ، وشرب فائما ، وطلق إحدى
زوجاته : لأنه فعل ذلك للتشريع ، ورفع إبهام التحريم .

[صفة الصدق]

الثانية : الصدق

في دعوى الرسالة ، وتبليغ الأحكام الشرعية التي جاءوا بها من عند
الله تعالى .

والصدق هو مطابقة خبرهم للواقع ، ولو بحسب الاعتقاد؛ فيشمل
ما كان مطابقاً للواقع بحسب اعتقادهم ونفس الأمر معاً ، وما كان
مطابقاً للواقع بحسب اعتقادهم فقط ، كما في قوله - صلى الله

١ - قصص : ١٥٤ .
٢ - طه : ١٣٤ .

عليه وسلم - (كل ذلك ثم يحيى) لما قال له ذو البدين - أقصر الصلاة لو سميت يا رسول الله ؟ - خير سلام من ركعتين ١ .

[صفة التلويح]

الثالثة : تلويح ما أمروا بتلويحه للتحقق .
لا ما أمروا بكتمانها ، ولا ما خروا فيه ، لأن ما أمروا بكتمانها : يحيى عليهم كتمانها ، وما خروا فيه حار في جهنم إظهاره وكتمانها ، وأما ما أمروا بتلويحه : فيجب عليهم بتلويحه ، لقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ٢ . والأمر في الآية للوجوب كما لا يخفى .

[صفة القطانة]

الرابعة : القطانة .
يقبح الغاء ، وهي حدة العقل ونكاؤه ، فلا يجوز أن يكون الرسول وكذا النبي معطلا ، أو بلدا ، أو أبله ، لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المخادعين ، ولا يكون (ص 76) ذلك من معقل أو بليد أو أبله .

وبالحكمة : فقد اختار الله أنبياءه من صفوة عبادہ ، وفضلهم على سائر مخلوقاته ، ففوق أرواحهم ، وأكمل عقولهم ، وظهر قلوبهم وصفى نفوسهم ، وخصهم بمزيد من القصة وقوة الرأي ، وبراهم من المعاصي والدناعات ، ومساوئ الأخلاق ، وذمهم العادات ، وأبدهم بالمعجزات ، ولم يجعل لشواغل الدنيا ولا لزعزعتها سلطانا على نفوسهم ، وعصمهم من جميع المعاصي ، فحفظ طواجرهم وبواطنهم

١ - روى أبو أيوب في المصنف ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوما فسلم من ركعتين ، ثم لم يعرف ، فأنكره من كتمانها ، قال : يا رسول الله ، ألفت الصلاة ثم سميت ؟ قال : (لم تلتصق الصلاة ولم أكن) قال : بلني وألقي بعدك بضع . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (صدق أبو هريرة) قال : نعم يا رسول الله ، فصدقت بالشأن ركعتين . كتاب الصلاة حديث رقم 4548 ، ص 456 - 457 .

مها ، فلا يتركون ما يأمروا به ، ولا يعطلون منها عنه ، فلا يكفرون ، ولا يبرون ، ولا يسمقون ، ولا يكتنون ، ولا يخونون ، ولا يقتلون أحدا ظلما ولا جورا في حكم ، ولا يحضون ، ولا يرايون ، ولا يكتمون ما أمروا بتلويحه ، صلوات الله عليهم أجمعين -

ولما فرغت من باب الصفات التي يجب للرسول : شرعت في بيان أصدادها .

[الصفات التي لا تكون في حق الرسل]

فقلت : -

(55) وَيَسْتَحِيلُ صَدَقَاتُهَا وَأُولُوا * مَا يُوْهَمُ الذَّنْبُ يَمَعْنُ يَعْقِلُ

أي : ويستحيل عن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - الانصاف بصد الصفات التي تقدم أنها يجب لهم - .

فاولي الصفات الواجبة : الأمانة وضدها الخيانة .

وثانيهما : الصدق ، وضده الكذب .

وثالثهما : التلويح ، وضده الكتمان .

ورابعهما : القطانة ، وضدها الغفلة والبلادة والبله .

وقولنا في النظم (وأول ما يوهم الذنب ، إلخ) معناه : أن أهل السنة أولوا كل نص يوهم صدور الذنب من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بمعنى لأنق يقبله العقل ولا يتكره ، ومن هنا يؤخذ أن كل ما ورد من الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها صدور الذنب من الرسل فهو مؤول ومضروف عن ظاهره ؛ بترك ذلك الظاهر ، وأخذ الباطن وحمله على ما يناسب مقامهم .

فقد حُمل ما صدر منهم على أنه كان قبل النبوة ، فلا يتنافى
عصمتهم بعدها ، أو أنه من قبل الخطأ في الاجتهاد ، والخطأ في
الاجتهاد ليس معصية ، أو أنه من قبل ترك الأولى ، أو أنه صغائر
وقعت سهواً ، وهما لا يقدحان في عصمتهم ؛ لأنهما ليسا من
المعاصي ، وإطلاق المعصية عليهما ¹ : (ص 77) إنما هو بالنظر
لمكانة الأنبياء .

[حسنات الأبرار سيئات المقربين]

فهو من باب قولهم " حسنات الأبرار سيئات المقربين " ² . لأن
الأبرار وهم عوام الأمة ، إذا أدوا الصلاة ظنوا أنهم فعلوا حسنة ، وإن
المقربين ، وهم خواص الأمة ، إذا أدوا الصلاة ظنوا أنهم فعلوا سيئة
من جهة أنهم لم يعطوا الصلاة حقها ؛ فكانوا يستطيعون ذلك
ويعودونه معصية ، فيستغفرون منه ، ولذلك شرع الاستغفار بعد الصلاة .

[ما ورد في شأن سيدنا آدم عليه السلام]

فمن ذلك ما ورد في شأن سيدنا آدم - عليه السلام - مما يفيد
باعتبار ظاهره أنه عصي وخالف النهي بسبب الأكل من الشجرة ، وهو
قوله تعالى : { وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي } ³ ، فقد حمل ما صدر منه على أنه كان قبل النبوة ، فلا يتنافى عصمته
بعدها .

ويرشد إلى أنه كان قبل النبوة ؛ قوله تعالى : { ثم اجتباه ربه } ⁴
أي جعله نبيا بعد ذلك ، على أن ما وقع منه يمكن أن لا يكون معصية
إذا يجوز أن يكون ناسيا للنهي عند الأكل من الشجرة ، ويجوز أن يكون

¹ - في شرح ابن العلقم الكبير - عليهم - ص 124 .

² - ليس هذا الحديث ، بل من كتاب أبي سعيد الخدري ، وهو الزاهد الكبير أحمد بن عيسى ، أبو سعيد الخدري ، شيخ الصوفية ، توفي
سنة 286 هـ المصنف في معرفة الحديث الموضوع ، للإمام الحديث علي القاري الهروي المكي ، تحقيق عبد القادر أبو جادة ، مكتب
المطبعة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ / 2005 م .

³ - طه : 121 - 122 .

⁴ - طه : 122 .

مأثولا لا مرتكباً ، إذ لعله فهم من { ولا تقربا هذه الشجرة } ¹ ، أن
المنهي عنه شجرة معينة بذاتها ، فتركها وأكل من شجرة أخرى من
نوعها ؛ فلما علم أن المنهي عنه جميع النوع ، تبين له أنه أخطأ في
التأويل ، والخطأ في التأويل ليس معصية .

[ما ورد في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام]

ومنه ما ورد في شأن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من قوله
تعالى حكاية عنه : { قال هذا ربي } ² مشيراً إلى بعض الكواكب ، فإن
ظاهره الشرك ؛ إن اعتقد ذلك ، والكذب إن لم يعتقد ، وقوله : { إنني
سقيم } ³ ، حين نظر في النجوم ، فإن ظاهره الكذب إذ لم يكن
مريضاً في ذلك الوقت .

وقوله : { بل فعله كبيرهم هذا } ⁴ ، مشيراً إلى كسر الأصنام ، فإن
ظاهره الكذب ، لأن الذي كسر الأصنام هو سيدنا إبراهيم ، فحمل
قوله { هذا ربي } على الفرض والتقدير في معرض إقامة الحجة على
بطلان زعم قومه ، فكأنه قال لهم : لو كانت الكواكب أرباباً (ص 78)
كما تزعمون ، لكأنت الشمس المتغيرة بالطلوع والافول رباً ، ولكأن
القمر رباً ، فيكون الرب متغيراً ، وهذا باطل لأن الرب يستحيل عنه
التغيير ، فزعمكم باطل .

[ما ورد في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم]

وهذا منه - عليه السلام - ليس معصية ، بل هو طاعة ، لأن فيه
إرشادا لقومه ، ليرجعوا إلى الصواب ، وحُمل قوله { إنني سقيم } على
الأخبار بسقم نفسه من الحزن بسبب عناد قومه ، وعدم إيمانهم
وحُمل قوله { بل فعله كبيرهم هذا } على أنه تعرض لقومه بالغبوة

¹ - البقرة : 35 .

² - الأنعام : 77 .

³ - الصفات : 39 .

⁴ - الأنبياء : 63 .

حيث عبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يقبى عنهم شيئا ، ولا يملك لهم نقما ولا ضرا ، والتعريض ليس كذا عند أهل العلم .

ومنه ما ورد في شأن سيدنا ونسبا محمد - صلى الله عليه وسلم - من قوله تعالى : { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر } ¹ فقد حمل الذنب فيه على ترك الأولى ، وهو ليس ذنبا في الحقيقة ، وإنما سمى ذنبا : نظرا لأن لمعام المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذي يرى أن كل عمل إذا صدر منه على غير الوجه الأكمل ، كان كذبا وقع منه ، ولام نفسه عليه .

وكذلك قوله تعالى : { ووضعنا عك وزرك الذي انقض ظهرك } ² فقد حمل الوزر فيه على ترك الأفضل مع الإنسان بالفاضل . والاشياء عليهم الصلاة والسلام ، يعاقبون أنفسهم بمثل ذلك ، ويرون أنها ارتكبت وزرا .

[حمل الوزر على أعباء النبوة]

وبعض المفسرين حمل الوزر فيه على أعباء النبوة والقيام بأمرها ، وقسر الوضغ بالتخفيف ، وجعل عطف (وضعنا) على (ألم نشرح) من عطف العلة على المعلول ، حيث قال : شرحنا لك صدرك ، أي فسحناه لك ، بما أودعنا فيه من العلوم والحكم ؛ حتى وسع هموم النبوة ، ودعوه الثقلان لأجل أن أخفف عك أعباء النبوة والقيام بها التي هي حمل ثقل شأنه أنه ينقض ظهره ، أي ينقله ويتعبه لولا شرح صدرك له ، أه ³ .

وحمل قوله تعالى : { عفا الله عنك لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ } ⁴ ، على أنه عتاب للبي - صلى الله

¹ - تعالى : 2 .
² - الشرح : 2 - 3 .
³ - تفسير السفي : 4 ، 365 ، نقل عن شرح ابن المقداد : ص 127 .
⁴ - سورة : 43 .

عليه وسلم - على ترك الأولى في أمر الحرب . فإن النبي أذن لجماعة في التخلف عن غزوة تبوك ¹ ، فغفلوا بأعذار دون أن يتبين صدقهم ² وحمل قوله تعالى (ص 79) : { ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يتخن في الأرض يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم } ³ على أنه عتاب للبي - صلى الله عليه وسلم - على ترك الأولى أيضا .

[معاملة الرسول للأسرى في بدر]

فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى بيسعين أسيرا في غزوة بدر ⁴ فبهم عمه العباس ⁵ ، وابن عمه عقیل بن أبي طالب ⁶ ، واستشار أبا بكر ⁷ فبهم ، فقال له : يا رسول الله ! إنهم قومك وأهلك ، استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدا تقوى به أصحابك ، وقال عمر ⁸ : يا رسول الله ! إنهم كذبوك وأخرجوك من بلدك ، فأضرب أعناقهم وقال سعد بن معاذ ⁹ : الإختان في القتل أحب إلي ¹⁰ .

¹ - حجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر في رمضان من العام التاسع الهجري ، واشتهرت باسم الشكك ، وهو حينئذ في مكة التي تضم إليها الجولى الإنجلي ، ولما لم يبق له غير غزوة بدر ، سميت بذلك لما لاقي فيها المسلمين من الضيق ، لما تعجيله بغزوة في كتاب السيرة النبوية ، عرض واقع وأكمل أحداث ، د : علي الصلابي ، المعاصر السابق ، ص 952 - 975 .
² - راجع المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود ، الأوسي الجعادي ، د : 1270 هـ ، المجلد الرابع ، ص 586 وصححه علي عبد القاري عطية ، ص 298 كز ، منشورات دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422 هـ / 2001 م .
³ - الأنازل : 67 - 68 .

⁴ - وقعت في السنة الثامنة للهجرة ، وهي مكان فداء ما يستعمل بدر ، لصلها بكثرة ، راجعها في السيرة النبوية ، للذكاوي علي الصلابي ، المعاصر السابق ، الفصل الثامن ، ص 496 - 579 .
⁵ - عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حنظلي حليل ، توفي سنة 33 للهجرة .
⁶ - له ترجمة طويمة ، وشهد واقع كثر ، الاستيعاب لأن عبد الله ، ترجمة رقم 1379 ، ص 408 - 409 .
⁷ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، حنظلي حليل ، كان نبيا زهيدا عاديا صلى الله عليه وسلم ، توفي في خلافة معاوية ، وقد أخرج إلى بدر مكرها ، الاستيعاب ، لأن عبد الله ، ترجمة رقم 1846 ، ص 522 - 523 .
⁸ - الخليفة لم يكن حنظلي ، رضي الله عنه ، ترجمته معروفة .
⁹ - الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ترجمته معروفة .
¹⁰ - سعد بن معاذ بن النعمان بن أمية ، القيس الأسدي الأصمعي ، لقبه بالمدينة ، وشهد بدر وأحدا ، وأبى يوم الحندق بينهم ففرج منه ، ثم مات ، له سيرة طويمة في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأن عبد الله ، ترجمة رقم 959 ص 315 - 317 .

¹⁰ - قصة الأبرار للنبي وقعا في غزوة بدر ، وما دار حولهم من نقاش ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبي بكر : هو رضي الله عنهما { ما أترون في هؤلاء الأسارى } فقال أبو بكر : يا نبي الله هربوا العدو والعشيرة أرى أن تلتذ منهم فدية ، فكونوا قلة على الكفار ، . وقال عمر بن الخطاب : لا والله يرضون الله ، ما أرى الذي رأي أبو بكر ، ولكني أرى أن لشكنا ففرضت أعناقهم ، فإن هؤلاء أمة الكفر وصفتيها ، فخذ رسول الله يراي لي بكر ، ولكن بعدا من معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الإختان بقتل أحب إلي من استبقاء الرجل ، السيرة النبوية ، المعاصر السابق ، ص 536 - 537 .

فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى رأي أبي بكر ، ورضي
بالفداء ، فتركت الآية المتقدمة : عتابا للنبي على ترك الأولى ، وهو
الإنخان في القمل ، لقوله تعالى : { فإذا لغيتم الذين كفروا فاضرب
الرقاب حتى إذا اتخمتهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء }¹
وهكذا كل ما ورد في شأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فإنه
يحمل على ما يليق بمقامهم ، دفعا للتعارض بين ظواهر الآيات والأدلة
الدالة على عصمتهم .

[ما يجوز في حق الرسل عليهم السلام]

ولما فرغت من بيان ما يستحل في حق الرسل - عليهم الصلاة
والسلام - شرعت في بيان ما يجوز في حقهم .
فقلت :-

(56) وَجَازَ أَنْ يَتَصِفُوا بِالْعَرَضِ * غَيْرَ الْمَضَرِّ كَخَفِيفِ الْمَرَضِ

وأقول : العَرَضُ : بالعين المهملة والراء المفتوحة . قال في
المصباح : هو - في اصطلاح المتكلمين - : ما لا يقوم بنفسه ، ولا
يوجد إلا في محل يقوم به ، وهو خلاف الجوهر ، وذلك نحو حمرة
الخلج ، وصفرة الوجع ، أ هـ² .

والمعنى : أن الرسل عليهم - الصلاة والسلام - جاز اتصافهم
بالأعراض البشيرة غير المضرة ، أي غير المؤدية إلى نقص في
مراتبهم العلية ، كالمرض الخفيف ونحوه .

[ما تعتقده النصارى واليهود في الأنبياء]

فقولنا (ص 80) ، (بالأعراض) ، مخرج لصفات الإلهية ، فلا
يجوز اتصافهم بها ، خلافا للنصارى الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن
مريم . وقالوا : إنه متصف بصفات الإلهية ، وإنما خرجت صفات
الإلهية بهذا القيد ، لأن الأعراض لا تطلق إلا على صفات الحوادث .

وربادة قيد (البشرية) مخرج لأعراض الملائكة ، فلا يجوز اتصافهم
بها ، خلافا لجهلة العرب في زعمهم أن الرسول يكون متصفا بصفات
الملائكة ، فلا يأكل ، ولا يشرب ، ويتوصلوا بذلك إلى نفى رسالة نبينا
محمد - صلى الله عليه وسلم - كما حكاه الله تعالى عنهم في قوله
تعالى : { وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا }¹ .

وقولنا (غير المضرة) أي غير المؤدية إلى نقص في مراتبهم العلية
فيد ثالث ، مخرج للأعراض البشرية التي تؤدي إلى نقص في مراتبهم
العية ، ومنازلهم الرفيعة ، فلا يجوز اتصافهم بها ، خلافا لليهود الذين
قالوا : إن موسى مصاب بداء الأذرة - وهو انتفاخ الأنشين - حين رآوه
ملامرا لستر عورته ، فادعوا عليه هذه الدعوى ، وأذوه بها ، :-

{ فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها }² .

وقولنا : في النظم (كخفيف المرض) من إضافة الصفة
للموصوف ، أي كالمرض الخفيف ، وهو مثال للجائز في حقهم - عليهم
الصلاة والسلام - ودخل تحت الكاف : الإغماء ، البس ، والزكام
وحماوة الجسد ، وألم الجوع ، والعطش ، والتعب ، والسهر ، وأذية
الخلق لهم ، فكل ذلك جائز في حقهم .

¹ - الفرقان : 7 .
² - الأحزاب : 69 .

¹ - مصد : 4 .
² - العن : من أحداث الدهر من الموت والمرض ونحو ذلك ، والعرض الأمر يعرض للرجل يفتلي به ، وما عرض للإنسان من
أمر يجنبه من مرض أو لصوب ، والعرض : ما يعرض للإنسان من اليهود والاشكال ، والمراضة واحدة العوارض وهي الحاجات
للبشر العريضة المحيطة ، والآفة من مفسدات ، مادة (ع ر ض) تقدم العلامة للشيخ عبد الله العناني ، أعاد بناءه على الحرف الأول
بوصف خطه ، ص 738 / 4 ، دار الجيل بيروت ، دار السن العرب بيروت ، طبعة 1408 هـ / 1988 م .

فكل ذلك جائز في حقهم ؛ لأن ذلك لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، ويلحق بذلك احتياجهم للأكل والشرب والنوم والنداء والجماع وما أشبه ذلك ، من كل عرض بشري لا يضر بهم في خلقهم ، ولا في أخلاقهم ، بحيث لا يفتح فهم أحد ، ولا يزدري بهم من براهم - عليهم الصلاة والسلام - .

[الصفات المستحيلة في حق الأنبياء]

ولما فرغت من بيان الخائر في حقهم ، شرعت في بيان ضده .

فقلت :-

(57) وَيَسْتَحِيلُ صِدْقًا مَا جَازَ قَلَا * إِفْرَاطَ لَا تَقْرِيضَ عِنْدَنَا عَقْلًا

والمعنى : أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يستحيل عنهم صد ما جاز في حقهم (ص 81) فيستحيل عنهم الانصاف بصفات الإلوهية خلافا للتصاري ، والانصاف بصفات الملائكة خلافا لجهلة العرب والانصاف بالاعراض البشرية المضرة ، خلافا لليهود ، كما تقدم في شرح البت السابق .

[التصاري وجهلة العرب أفرطوا في حق الأنبياء]

وبما نقرر يتضح أن التصاري وجهلة العرب ؛ أفرطوا في حق الرسل حتى جعلوهم أرقى من البشر ، وأن اليهود قرطوا في حقهم حتى ألحقوا بهم الضرر ، وأن المسلمين توسطوا ، أو كان بين ذلك قواما ، فقد أخرجوا { من بين فرث ودم لنا خالصا سائغا للشاربين }¹ .

¹ - فحل : 66 ، الباقى

[صفات لا تجوز في حق الأنبياء]

ولذلك قلت في بقية هذا البت : (فلا * إفراط لا تقرىض عندنا عقلا) والخاص ، أن الرسول عند المسلمين لا يتصف بصفات الإلوهية ، ولا بصفات الملائكة ، ولا بالاعراض البشرية المؤدية إلى نقص في مرتبة النبوة ، فلا يكون أصم ، ولا أعمى ، ولا أعور ، ولا أجول ، بل روى أنه لم يعم نبى قط ، ولم ينبت أن شعيبا كان صريرا في عينيه ، وما كان يعقوب ؛ فهو حجاب على العين من كثرة البكاء على يوسف . ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيرا .

ولا يكون أيضا أيكم ، ولا أكن ، ولا أبلغ ، ولا تساما ، ولا مهماها ولا قهاها ، ولا أحن ، ولا منعقد اللسان ، والعقدة التي في لسان موسى زالت يدعوته التي حكاها عنه المولى في كتابه العزيز ، بقوله { وأحل عقدة من لساني يفقهوا قولي }¹ .

ولا يكون فتنطيس الأنف ، ولا غليظ الشفتين ، ولا أبلج الأسنان ولا بارررها ، ولا فاقد البعض منها ، ولا أشل ، ولا أقطع ولا أجذم ، ولا أعرج ، ولا أعوج ، ولا أسود اللون ، ولا وخش الخلق ، ولا نحيف الجسم ، ولا قصيرا ، ولا طويلا ، ولا مصابا بجنون ، أو جذام ، أو برص ، أو قروح ، وما كان بأيوب - عليه السلام - من البلاء ؛ فهو حكمة كانت بين الجلد والعظم ، فلم يكن متفرا ، وما اشتهر في قصته من الحكايات المنفرة ؛ فهو باطل لا أصل له .

ولا يكون ناقص (ص 82) العقل ، ولا أبله ، ولا بليدا ، ولا مغفلا ، ولا مرتيكا في الكلام ، ولا أحمق ، ولا سوء الأخلاق ، ولا لنيما ، ولا بخيلا ، ولا جبانا ، ولا فظا غليظ القلب ، ولا تقوم عليه حجة في جدال ولو طال ، بدليل قوله تعالى : { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا }² ، أي خاضمتنا فأكثرت خصامنا .

¹ - طه : 27-28
² - هود : 32

ولا يخاف من العدو ، ولا يهزم أمامه ، ولا ينهار ، ولا تخور قواه
ولا ترتعد فرائضه منه ، وما قبل من أن يسا - صلى الله عليه وسلم -
لما نامرت فريش على قتله ، وأرسلوا قسبانهم الأتني عشر ، ففسروا
عليه البيت ليلا ، خرج عليهم بعد أن رقدوا : خائفا ترتعد فرائضه ، فهو
كذب لا أصل له ، بدليل أنه لم يمتض في طريقه إلى غار نور إلا بعد أن
شر على رؤوسهم التراب وحناءه ¹ ، ولو كان خائفا لما فعل بهم ذلك
ولما قال لابي بكر : { لا تخزن إن الله معنا } ² .

بل الرسول لا يخاف إلا من الله - عز وجل - : لعوله - صلى الله
عليه وسلم - : { أفرىكم إلى الله أشدكم خوفا منه } ³ ولا شك أن
الرسول هم أقرب الخلق إلى الله ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم -
في حديث آخر : { أنى لأخوفكم من الله } ⁴ ، وبعض المفسرين قال
كما يخافون من الله : يخافون أيضا من الأمر الخارق للعادة ، قبل
الإطلاع عليه لا بعده ⁵ .

[قصة موسى مع سحرة فرعون]

بدليل ما جاء في قصة موسى مع سحرة فرعون ، من قوله تعالى
في سورة طه : { قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من
ألقى ، قال : بل اقنوا : فإذا خالاهم وأعصمهم تحيل إليه من سحرهم
أنها تسعى فأوحس في نفسه خيفة موسى ، فلما لا تخف إنك أنت

¹ - زاد المعاد في هي عز العاد ، لإمام شمس الدين بن عبد الله التميمي الصقلي المعروف بابن القيم ، مطبوع مع كتاب شرح
الطحاوي للشيخ الإمام العلامة محمد بن عبد القادر الزرقاني ، الجزء الثالث ، ص 319 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان
، الطبعة الثانية ، بالإنعاش ، 1393 هـ 1973 م .
² - التوبة : 40 .
³ - لم ألق على هذا الحديث هذه الصيغة ، وورد في كتاب رموز الأخلاقيات { لقرىكم متى مجلسا يوم القيام أعتدكم خلقا } زواه أن
الجزء عن علي { عزم الله وجهه } رموز الأخلاقيات ، للمصنف ، السابق ، ص 79 .
⁴ - رواد الإمام البخاري في صحيحه ، باب ذكر نبي في الكناح ، عن أبي بن مالك ، يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي
يسألون عن عبادته فلي صلى الله عليه وسلم ، قال لهم ضمن حديثه . { أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني ... } للمصنف
السابق ، ص 116 .
⁵ - لم ألق على مصنف التفسير الحديث .

الأعلى وألقى ما في يمينك تلف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا
يقلج الساحل حيث أتى } ¹ .

وقوله أيضا في سورة التمل : { وألقى عصا فلما رآها نهيز كأنها
جان ولي مدبرا ولم يعقب ، يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي
المرسلون } الخ ² .

[خوف الرسل من الناس]

واختلف المفسرون في خوفهم من الناس : والذي رجحه الجمهور
التفصيل ، وهو أن (ص 83) : كل رسول لم يؤمر بالجهاد والقتال
يخاف من الناس ، وكل رسول أمر بالجهاد والقتال لا يخاف من الناس
بدليل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتخذ من أصحابه
حراسا يحرصون ، إلى أن نزل عليه قوله تعالى : { والله يعصمك من
الناس } ³ ، فعند ذلك قال لحراسه : اذهبوا إلى رجالكم : فإن الله قد
عصمني من الناس ، كما ذكره أكثر المفسرين ⁴ .

هذا ما تحصل لنا في مسألة الخوف ، بعد البحث الشديد والتحقيق
المفيد .

[لا يفعل الرسول منهي عنه مطلقا ، ولو نهى كراهة ، أو خلاف الأولى على وجه كونه مكروها أو خلاف الأولى ، لأن كل رسول

ولا يفعل الرسول منهي عنه مطلقا ؛ ولو نهى كراهة ، أو خلاف
الأولى على وجه كونه مكروها أو خلاف الأولى ، لأن كل رسول

¹ - طه : 65 - 69 .
² - التمل : 10 .
³ - البقرة : 67 .
⁴ - روى القرطبي في تفسير قوله تعالى : { والله يعصمك من الناس } أنها نزلت على نبيته : { والله يعصمك من الناس } . وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمر الله به ، . . . وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : { لما بعثني الله برسالة بعثت بها نورا وبهت أن من الناس من يكتمني ، فأنزل الله هذه الآية ، وكان أبو طالب يرسل كل
يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني هاشم يحرصونه حتى نزل : { والله يعصمك من الناس } فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : { يا عداء إن الله قد عصمني من الجن والإنس فلا أحتاج إلى من يحرصني } فجمع لأحكام القرآن ، المصدر السابق ،
ص 243 - 244 ، 6 / 244 .

معصوم من الكيان وصغائر الخسة مطلقا ، ومن صفات غير الخسة ارتكابا ، ومن كل مكروه أو خلاف الأولى في غير مقام التشريع .
هذا ما نحصل لنا في مسألة العصمة ، بعد البحث والتقصي .

[نسب الأنبياء الطاهر]

ولا يكون الرسول إلا من نسب طاهر ، فلا يكون دنيء الآباء ، ولا عاهر الأمهات ، خلافا لليهود الذين قالوا إن مريم أنت بعيسى من ربي حيث قالوا : { يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا }¹ ، وقد برأها الله من هذه التهمة بقوله : { ومريم ابنة عمران التي أحصت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربهابا وكناه وكانت من القاسم }²

[السهو والنسيان لدى الرسل]

ولا يجوز على الرسول النسيان قبل التبليغ مطلقا ، لا في الأقوال ولا في الأفعال ، ويجوز عليه بعد التبليغ فهما ، وأما السهو فلا يجوز عليه في الأقوال ، ويجوز في الأفعال للتشريع .

لأن أحكام السهو في الصلاة لم يعلمها المسلمون إلا من فعله - صلى الله عليه وسلم - حين سها فيها وسلم من ركعتين ، ثم أتمها وسجد للسهو ، ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول ، كما لا يخفى .

[جملة صفات الرسل]

وبالجملة : فالرسول لا يكون إلا طاهر النسب ، وافر الأعضاء معتدل القامة ، جميل الصورة ، كريم الأخلاق ، فصيح اللسان ، حسن الصوت ، قوي الحجة ، كثير الكرم ، كامل الشجاعة ، عظيم الهيبة بحيث

¹ - مريم : 27 - 28 .
² - التوبة : 12 .

يعظمه كل من لاقاه ، ويخجل من هيبته كل من براه ، ولا يجد ما يفدح به فيه ، ومثله السبي في جميع ما ذكر على الصحيح .

خاتمة¹ [في مبحث النبويات]

وما (ص 84) ذكرته في هذا السبب وشرحه هو ضد الجائر في حق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وهو آخر العقائد النبوية وجملتها عشر عقائد ، وهي الصفات الواجبة الأربعة وأصدادها ، والجائر في حقهم وصدده .

ولما فرغت من مبحث النبويات ؛ شرعت في مبحث الأدلة :

مبحث الأدلة²

[خلق الإنسان دليل على وجود الله]

فقلت :

(58) دليل كل واجب لله * وجود خلقه بلا اشتباه

ومعنى هذا السبب : أن دليل كل ما وجب لله من العقائد التي تقدم ذكرها ، هو وجود هذا الخلق ، بمعنى المخلوق ، أي وجود هذه المخلوقات التي لا اشتباه في وجودها ، ولا في حدودها ، إذ منها نفست أي ذاتك التي إذا نظرت في أحوالها التي اشتملت عليها : من سمع وبصر ، وكلام ، وطول وعرض ، وعمق ، ورضى وغضب ، وياض وسواد ، وعلم وجهل ، ولذة وألم ، وغير ذلك مما لا يحصى .

وجدتها كلها متغيرة من عدم إلى وجود ، ومن وجود إلى عدم وكل متغير حادث ، وكل حادث مفقود إلى محدث ، أي صانع ، فتستدل

¹ - كلمة الخاتمة لا توجد في الأصل ، وتوجد في التراجع الصغير من 136 .
² - مبحث الأدلة بكامله لا يوجد في تراجيح البعث الصغير .

بها على وجوب وجود صانعك ، فنقول : نفسي ملزومة لصفات جادته
وكل ملزوم لصفات جادته يكون جاداً ، وكل جاد لا بد له من محدث
، أي صانع واجب الوجود .

قال الله تعالى : { وفي أنفسكم أفلا تبصرون }¹ ، أي وفي أنفسكم
آيات ودلائل : أن تكون التفكير فيها ! ، فلا تبصرون ! أي لا ينبغي لكم
ترك النظر فيها ! ، وقال أيضاً : { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين } الآية² .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : { من عرف نفسه عرف
ربه }³ أي من عرف نفسه بالحدوث والفقر : عرف ربه بالقدم والغنى

[العالم العلوي والسفلي من مخلوقات الله]

ومن مخلوقاته أيضاً : العالم العلوي ، وهو كل ما ارتفع من الفلكيات
من سماوات ، وكواكب ، وعروش ، وملائكة ، وغير ذلك ، ومنها أيضاً
العالم السفلي ، وهو كل ما نزل من الفلكيات ، من هواء ، وسحاب
، وأرض ، وما فيها من معادن ، وبحار ، ونبات ، وغير ذلك .

فإذا نظرت إليها : وجدت كلا منها مشمولاً بجهات مخصوصة ، وإمكانة
معينة ، ووجدت بعضها متحركاً وبعضها (ص 85) ساكناً ، وبعضها
بورانياً ، وبعضها ظلامانياً ، وذلك دليل على حدوثها ، وحدوثها دليل على
افتقارها إلى صانع .

قال الله تعالى : { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من
السما من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة

¹ - الآية 21 .

² - المومنون : 12-13 .

³ - قال الأئمة السنيون في تزيين الموضوعات : سبق النووي عن حديث (من عرف نفسه عرف ربه) ، ومن عرف ربه كل لسانه (هل هذا حديث ثابت ؟) اجاب : ليس بثابت ، من 27 - الموضوع في معرفة الحديث الموضوع ، تأليف المحقق علي القاري الهروي النخعي ، (تد 1024 هـ) مطبعة زرايع نبوه ، الأمداء عبد القادر بورخدا ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، شركة النشر والإعلامية العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، 1426 هـ / 2005 م .

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم
يعقلون }¹ .

والخلاصة : أن هذه المخلوقات صنعة بديعة الحدوث ، عجيبة الإيقان
، متباينة الأشكال والألوان ، مختلفة الاتجاه في كل زمان ومكان
مستمرة مع الدهر من زيادة ونقصان ، من غير توقف في كل وقت
وأوان ، وكل صنعة انصفت بما ذكر تدل على صانع حكيم الصنعة
عظيم القدرة ، منصف بكل كمال ، ومتميز عن كل نقص ، وكل صانع
انصفت بما ذكر لا يكون إلا اله .

[دليل الإعرابي على وجود الله]

وقد أخبرتنا الرسل بأنه : { الله } - عز وجل - لقوله تعالى : { فاعلم
أنه لا إله إلا الله }² ، ولذلك لما قيل لأعرابي : ما دليلك على وجود
الله ؟ ، قال : الأثر يدل على المسير ، والبصرة تدل على البعير
والزرونة تدل على الحمير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار
ذات أمواج ، أفلا تدل على اللطيف الخبير ، أه ؟³ .

[الله غني عن كل خلقه ومخلوقاته]

ثم قلت : -

(59) وَكُلُّ مَا جَارَ دَيْلَهُ * غِنَاهُ عَنِ جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ

(60) قَلَمْ يَكُنْ لِحَاجَةٍ مَا خَلَقَا * بَلْ لَلَّذِي فِي عِلْمِهِ قَدْ سَبَقَا

¹ - البقرة : 163 .

² - صافات : 19 .

³ - قصة الأعرابي لم يجد على مصدر تاريخي لها فيما بين يدي من المصادر ، وقال الشيخ من العتيق : رحمه الله - إن أصل هذا
ما قيل على وجود الله ؟ فكان من ضمن اجابته : * ... وقال الأعرابي من ابتداء : ما عرفت ذلك ؟ قال : الأثر يدل على
المسير ، والبصرة تدل على البعير . سمعت ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج - لا تدل على الله ؟ سئلت التوحيد ،
شبكة المعلومات الدولية

ضمير (له) وضمير (غايه) يرجعها لله - عز وجل - وضمير (دليله) يرجع لما جاز ، والمعنى أن كل ما جاز لله - عز وجل - دليله ما تقدم في صفات الله الواجبة ؛ من وجوب انصافه تعالى بالغنى المطلق عن جميع ما يفعله .

فلذلك لا يجب عليه فعل شيء من الممكنات ، ولا تركه ، إذ لو وجب عليه تعالى شيء منها عقلا ؛ كالنواب مثلا ، لكان - جل وعز - مفتقرا إلى ذلك الشيء ليكمل به غرضه ، إذ لا يجب في حقه تعالى إلا ما هو كمال له ؛ كيف وهو - جل وعز - الغنى عن كل ما سواه .

وحينئذ فلم يكن ما خلقه وأوجده من الممكنات ، لحاجة دعيه إلى خلقه وإيجاده ، فلم يخلق العرش للانقاء به ، ولا الكرسي للجلوس عليه ، ولا القلم لاستحضار ما غاب عن علمه ، ولا الكائين ، ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه ، ولا آدم ليخلقه خليفة (ص 86) في الأرض ولا الأرض ليجعلها فراشا ، ولا السماء ليجعلها بناء ، ولا الزروع والأعشاب والأشجار والحيوانات ليجعلها منافع ؛ لأنه غنى عن ذلك كله .

[خلق الله لم يكن للعب واللهو]

وكما لم يخلق ذلك لحاجة ؛ كذلك لم يخلقه للعب واللهو ، لقوله تعالى : { وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين * لو أردنا أن نتخذ لهم آياتنا من لدنا إن كنا فاعلين } أ هـ ¹ . بل خلق ذلك للسر الذي قد سبق في علمه : المشار إليه بقوله تعالى : { إني أعلم ما لا تعلمون } ² .

وقد نص علماء التفسير في تفسير هذه الآية ونحوها ، وكذلك علماء التوحيد في تعلقات صفات المعاني ؛ على أن ذلك السر هو اقتضاء علمه تعالى ؛ وجود هذه المخلوقات ، وفسروا الاقتضاء

¹ - الأنعام : 16 - 17 .
² - هود : 29 .

المذكور بالطلب ، وأخذوا الطلب في تعريف التعلق ؛ حيث قالوا التعلق هو طلب الصفة أمر زائد على قيامها بالذات .

وحينئذ فهو عبارة عن تعلق علم الله التجيزي القديم ، بوجود هذه المخلوقات المسمى باختيار الاصطفاء والانقاء ، المشار إليه بقوله تعالى : { وريك يخلق ما يشاء ويختار } ¹ ، وهو سر العلم ومنع الحكم ومصدر كل الكائنات والعلة الحقيقية في إيجادها .

[العلة الحقيقية في إيجاد الكائنات]

لأن الله لا يفعل إلا ما يريد ، ولا يريد إلا ما يختار ، ولا يختار إلا ما سبق في علمه وقوعه ، وأما ما سبق في علمه عدم وقوعه ؛ فلا يسمى تعلق العلم به اختيارا كما لا يخفى .

[فائدة] في انفراد المؤلف في بيان العلة

إنما خالفت صاحب المرشد المعين ، وصاحب أم البراهين في دليل الجائر في حق الله تعالى ؛ لأن ما أثبت به قد احتوى على بيان العلة في أفعال الله تعالى ، وهي فائدة عظيمة لا توجد في دليلهما ، كما لا يخفى .

[أدلة النبويات بوقوع المعجزات]

ولما فرغت من أدلة الإلهيات ، شرعت في أدلة النبويات .

فقلت :-

(61) ثُمَّ دَلِيلُ وَاجِبَاتِ الرِّسَالِ * وَقُوعُ مُعْجَزَاتِهِمْ بِالْفِعْلِ

(62) لِأَنَّهُا كَقَوْلِهِ تَعَالَى * صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ قِيَمًا قَالًا

¹ - القصص : 68 .

ومعنى هذين اللفظين : أن دليل الصفات التي وجبت للرسل - عليهم الصلاة والسلام - هو وقوع معجزاتهم التي أجراها الله على أيديهم حتى وقعت (ص 87) بالفعل ، وشاهدها من عاصريهم ، ووصلت أخبارها إلى من بعدهم بالتواتر .

لأنهم لو اتفق عنهم وصف الأمانة ، بأن خانوا بفعل محرم أو مكروه ، أو اتفق عنهم وصف الصدق : بأن كذبوا فيما أخبروا به ، أو اتفق عنهم وصف التبليغ : بأن كنمو شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق ، أو اتفق عنهم وصف القطانة : بأن غفلوا حتى انطلت عليهم الحيل ، لَمَا أبدعهم الله بالمعجزات النازلة منزلة قوله تعالى : { صدق عبي في كل ما يبلغ عني }¹ .

لأن تأييد الخائن خيانة ، وتأييد الكاذب كذب ، وتأييد الكاتم كتمان ، وتأييد المغفل غفلة ، والكل في حق الله تعالى محال ، قال صاحب الجوهرة :-

بِالْمُعْجَزَاتِ أَبَدُوا تَكْرُمًا * وَعِصْمَةَ الْبَارِي لِكُلِّ حَتْمًا²

وكما يستدل على صفات الرسل الواجبة بوقوع المعجزات ، كذلك يستدل عليها بأدلة آخر ، منها : أنهم لو خانوا أو أذنبوا : لما أمرنا الله باتباعهم في قوله تعالى : { واتبعوه لعلكم تهتدون }³ ، وقوله { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي { الخ⁴ وقوله : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبسكم الله { الخ⁵ .

¹ - قال الإمام البخاري في تفسير صفة الأمانة : " وشأن صلواتهم - عليهم الصلاة والسلام - أنهم لو لم يصنفوا للزم الكتاب في حقهم تعالى : الصفة لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى : { صدق عبي في كل ما يبلغ عني } ، وتصديق الكتاب كتاب ، وهو محال في حقهم تعالى ، ولهذا - وهو عدم صدقهم - محال ، وإذا لم يحال عدم صدقهم وجب صدقهم ، وهو المطلوب ، ولكن هذا الدليل لما يأتى على صدقهم في دعوى الرسالة ، وفي الأمانة للرسالة ، لأن ذلك هو الذي يتلوه عن الله تعالى . " حاشية الإمام البخاري على جوهرة التوحيد ، المسمى تحفة الكريه على جوهرة التوحيد ، فقرة رقم 409 ص 202 ، حقه وعليه عليه ، 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7 - 8 - 9 - 10 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23 - 24 - 25 - 26 - 27 - 28 - 29 - 30 - 31 - 32 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 41 - 42 - 43 - 44 - 45 - 46 - 47 - 48 - 49 - 50 - 51 - 52 - 53 - 54 - 55 - 56 - 57 - 58 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 64 - 65 - 66 - 67 - 68 - 69 - 70 - 71 - 72 - 73 - 74 - 75 - 76 - 77 - 78 - 79 - 80 - 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 86 - 87 - 88 - 89 - 90 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 97 - 98 - 99 - 100 - 101 - 102 - 103 - 104 - 105 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116 - 117 - 118 - 119 - 120 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 132 - 133 - 134 - 135 - 136 - 137 - 138 - 139 - 140 - 141 - 142 - 143 - 144 - 145 - 146 - 147 - 148 - 149 - 150 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 156 - 157 - 158 - 159 - 160 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 167 - 168 - 169 - 170 - 171 - 172 - 173 - 174 - 175 - 176 - 177 - 178 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191 - 192 - 193 - 194 - 195 - 196 - 197 - 198 - 199 - 200 - 201 - 202 - 203 - 204 - 205 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 219 - 220 - 221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 231 - 232 - 233 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 239 - 240 - 241 - 242 - 243 - 244 - 245 - 246 - 247 - 248 - 249 - 250 - 251 - 252 - 253 - 254 - 255 - 256 - 257 - 258 - 259 - 260 - 261 - 262 - 263 - 264 - 265 - 266 - 267 - 268 - 269 - 270 - 271 - 272 - 273 - 274 - 275 - 276 - 277 - 278 - 279 - 280 - 281 - 282 - 283 - 284 - 285 - 286 - 287 - 288 - 289 - 290 - 291 - 292 - 293 - 294 - 295 - 296 - 297 - 298 - 299 - 300 - 301 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306 - 307 - 308 - 309 - 310 - 311 - 312 - 313 - 314 - 315 - 316 - 317 - 318 - 319 - 320 - 321 - 322 - 323 - 324 - 325 - 326 - 327 - 328 - 329 - 330 - 331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 336 - 337 - 338 - 339 - 340 - 341 - 342 - 343 - 344 - 345 - 346 - 347 - 348 - 349 - 350 - 351 - 352 - 353 - 354 - 355 - 356 - 357 - 358 - 359 - 360 - 361 - 362 - 363 - 364 - 365 - 366 - 367 - 368 - 369 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 - 377 - 378 - 379 - 380 - 381 - 382 - 383 - 384 - 385 - 386 - 387 - 388 - 389 - 390 - 391 - 392 - 393 - 394 - 395 - 396 - 397 - 398 - 399 - 400 - 401 - 402 - 403 - 404 - 405 - 406 - 407 - 408 - 409 - 410 - 411 - 412 - 413 - 414 - 415 - 416 - 417 - 418 - 419 - 420 - 421 - 422 - 423 - 424 - 425 - 426 - 427 - 428 - 429 - 430 - 431 - 432 - 433 - 434 - 435 - 436 - 437 - 438 - 439 - 440 - 441 - 442 - 443 - 444 - 445 - 446 - 447 - 448 - 449 - 450 - 451 - 452 - 453 - 454 - 455 - 456 - 457 - 458 - 459 - 460 - 461 - 462 - 463 - 464 - 465 - 466 - 467 - 468 - 469 - 470 - 471 - 472 - 473 - 474 - 475 - 476 - 477 - 478 - 479 - 480 - 481 - 482 - 483 - 484 - 485 - 486 - 487 - 488 - 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 494 - 495 - 496 - 497 - 498 - 499 - 500 - 501 - 502 - 503 - 504 - 505 - 506 - 507 - 508 - 509 - 510 - 511 - 512 - 513 - 514 - 515 - 516 - 517 - 518 - 519 - 520 - 521 - 522 - 523 - 524 - 525 - 526 - 527 - 528 - 529 - 530 - 531 - 532 - 533 - 534 - 535 - 536 - 537 - 538 - 539 - 540 - 541 - 542 - 543 - 544 - 545 - 546 - 547 - 548 - 549 - 550 - 551 - 552 - 553 - 554 - 555 - 556 - 557 - 558 - 559 - 560 - 561 - 562 - 563 - 564 - 565 - 566 - 567 - 568 - 569 - 570 - 571 - 572 - 573 - 574 - 575 - 576 - 577 - 578 - 579 - 580 - 581 - 582 - 583 - 584 - 585 - 586 - 587 - 588 - 589 - 590 - 591 - 592 - 593 - 594 - 595 - 596 - 597 - 598 - 599 - 600 - 601 - 602 - 603 - 604 - 605 - 606 - 607 - 608 - 609 - 610 - 611 - 612 - 613 - 614 - 615 - 616 - 617 - 618 - 619 - 620 - 621 - 622 - 623 - 624 - 625 - 626 - 627 - 628 - 629 - 630 - 631 - 632 - 633 - 634 - 635 - 636 - 637 - 638 - 639 - 640 - 641 - 642 - 643 - 644 - 645 - 646 - 647 - 648 - 649 - 650 - 651 - 652 - 653 - 654 - 655 - 656 - 657 - 658 - 659 - 660 - 661 - 662 - 663 - 664 - 665 - 666 - 667 - 668 - 669 - 670 - 671 - 672 - 673 - 674 - 675 - 676 - 677 - 678 - 679 - 680 - 681 - 682 - 683 - 684 - 685 - 686 - 687 - 688 - 689 - 690 - 691 - 692 - 693 - 694 - 695 - 696 - 697 - 698 - 699 - 700 - 701 - 702 - 703 - 704 - 705 - 706 - 707 - 708 - 709 - 710 - 711 - 712 - 713 - 714 - 715 - 716 - 717 - 718 - 719 - 720 - 721 - 722 - 723 - 724 - 725 - 726 - 727 - 728 - 729 - 730 - 731 - 732 - 733 - 734 - 735 - 736 - 737 - 738 - 739 - 740 - 741 - 742 - 743 - 744 - 745 - 746 - 747 - 748 - 749 - 750 - 751 - 752 - 753 - 754 - 755 - 756 - 757 - 758 - 759 - 760 - 761 - 762 - 763 - 764 - 765 - 766 - 767 - 768 - 769 - 770 - 771 - 772 - 773 - 774 - 775 - 776 - 777 - 778 - 779 - 780 - 781 - 782 - 783 - 784 - 785 - 786 - 787 - 788 - 789 - 790 - 791 - 792 - 793 - 794 - 795 - 796 - 797 - 798 - 799 - 800 - 801 - 802 - 803 - 804 - 805 - 806 - 807 - 808 - 809 - 810 - 811 - 812 - 813 - 814 - 815 - 816 - 817 - 818 - 819 - 820 - 821 - 822 - 823 - 824 - 825 - 826 - 827 - 828 - 829 - 830 - 831 - 832 - 833 - 834 - 835 - 836 - 837 - 838 - 839 - 840 - 841 - 842 - 843 - 844 - 845 - 846 - 847 - 848 - 849 - 850 - 851 - 852 - 853 - 854 - 855 - 856 - 857 - 858 - 859 - 860 - 861 - 862 - 863 - 864 - 865 - 866 - 867 - 868 - 869 - 870 - 871 - 872 - 873 - 874 - 875 - 876 - 877 - 878 - 879 - 880 - 881 - 882 - 883 - 884 - 885 - 886 - 887 - 888 - 889 - 890 - 891 - 892 - 893 - 894 - 895 - 896 - 897 - 898 - 899 - 900 - 901 - 902 - 903 - 904 - 905 - 906 - 907 - 908 - 909 - 910 - 911 - 912 - 913 - 914 - 915 - 916 - 917 - 918 - 919 - 920 - 921 - 922 - 923 - 924 - 925 - 926 - 927 - 928 - 929 - 930 - 931 - 932 - 933 - 934 - 935 - 936 - 937 - 938 - 939 - 940 - 941 - 942 - 943 - 944 - 945 - 946 - 947 - 948 - 949 - 950 - 951 - 952 - 953 - 954 - 955 - 956 - 957 - 958 - 959 - 960 - 961 - 962 - 963 - 964 - 965 - 966 - 967 - 968 - 969 - 970 - 971 - 972 - 973 - 974 - 975 - 976 - 977 - 978 - 979 - 980 - 981 - 982 - 983 - 984 - 985 - 986 - 987 - 988 - 989 - 990 - 991 - 992 - 993 - 994 - 995 - 996 - 997 - 998 - 999 - 1000 - 1001 - 1002 - 1003 - 1004 - 1005 - 1006 - 1007 - 1008 - 1009 - 1010 - 1011 - 1012 - 1013 - 1014 - 1015 - 1016 - 1017 - 1018 - 1019 - 1020 - 1021 - 1022 - 1023 - 1024 - 1025 - 1026 - 1027 - 1028 - 1029 - 1030 - 1031 - 1032 - 1033 - 1034 - 1035 - 1036 - 1037 - 1038 - 1039 - 1040 - 1041 - 1042 - 1043 - 1044 - 1045 - 1046 - 1047 - 1048 - 1049 - 1050 - 1051 - 1052 - 1053 - 1054 - 1055 - 1056 - 1057 - 1058 - 1059 - 1060 - 1061 - 1062 - 1063 - 1064 - 1065 - 1066 - 1067 - 1068 - 1069 - 1070 - 1071 - 1072 - 1073 - 1074 - 1075 - 1076 - 1077 - 1078 - 1079 - 1080 - 1081 - 1082 - 1083 - 1084 - 1085 - 1086 - 1087 - 1088 - 1089 - 1090 - 1091 - 1092 - 1093 - 1094 - 1095 - 1096 - 1097 - 1098 - 1099 - 1100 - 1101 - 1102 - 1103 - 1104 - 1105 - 1106 - 1107 - 1108 - 1109 - 1110 - 1111 - 1112 - 1113 - 1114 - 1115 - 1116 - 1117 - 1118 - 1119 - 1120 - 1121 - 1122 - 1123 - 1124 - 1125 - 1126 - 1127 - 1128 - 1129 - 1130 - 1131 - 1132 - 1133 - 1134 - 1135 - 1136 - 1137 - 1138 - 1139 - 1140 - 1141 - 1142 - 1143 - 1144 - 1145 - 1146 - 1147 - 1148 - 1149 - 1150 - 1151 - 1152 - 1153 - 1154 - 1155 - 1156 - 1157 - 1158 - 1159 - 1160 - 1161 - 1162 - 1163 - 1164 - 1165 - 1166 - 1167 - 1168 - 1169 - 1170 - 1171 - 1172 - 1173 - 1174 - 1175 - 1176 - 1177 - 1178 - 1179 - 1180 - 1181 - 1182 - 1183 - 1184 - 1185 - 1186 - 1187 - 1188 - 1189 - 1190 - 1191 - 1192 - 1193 - 1194 - 1195 - 1196 - 1197 - 1198 - 1199 - 1200 - 1201 - 1202 - 1203 - 1204 - 1205 - 1206 - 1207 - 1208 - 1209 - 1210 - 1211 - 1212 - 1213 - 1214 - 1215 - 1216 - 1217 - 1218 - 1219 - 1220 - 1221 - 1222 - 1223 - 1224 - 1225 - 1226 - 1227 - 1228 - 1229 - 1230 - 1231 - 1232 - 1233 - 1234 - 1235 - 1236 - 1237 - 1238 - 1239 - 1240 - 1241 - 1242 - 1243 - 1244 - 1245 - 1246 - 1247 - 1248 - 1249 - 1250 - 1251 - 1252 - 1253 - 1254 - 1255 - 1256 - 1257 - 1258 - 1259 - 1260 - 1261 - 1262 - 1263 - 1264 - 1265 - 1266 - 1267 - 1268 - 1269 - 1270 - 1271 - 1272 - 1273 - 1274 - 1275 - 1276 - 1277 - 1278 - 1279 - 1280 - 1281 - 1282 - 1283 - 1284 - 1285 - 1286 - 1287 - 1288 - 1289 - 1290 - 1291 - 1292 - 1293 - 1294 - 1295 - 1296 - 1297 - 1298 - 1299 - 1300 - 1301 - 1302 - 1303 - 1304 - 1305 - 1306 - 1307 - 1308 - 1309 - 1310 - 1311 - 1312 - 1313 - 1314 - 1315 - 1316 - 1317 - 1318 - 1319 - 1320 - 1321 - 1322 - 1323 - 1324 - 1325 - 1326 - 1327 - 1328 - 1329 - 1330 - 1331 - 1332 - 1333 - 1334 - 1335 - 1336 - 1337 - 1338 - 1339 - 1340 - 1341 - 1342 - 1343 - 1344 - 1345 - 1346 - 1347 - 1348 - 1349 - 1350 - 1351 - 1352 - 1353 - 1354 - 1355 - 1356 - 1357 - 1358 - 1359 - 1360 - 1361 - 1362 - 1363 - 1364 - 1365 - 1366 - 1367 - 1368 - 1369 - 1370 - 1371 - 1372 - 1373 - 1374 - 1375 - 1376 - 1377 - 1378 - 1379 - 1380 - 1381 - 1382 - 1383 - 1384 - 1385 - 1386 - 1387 - 1388 - 1389 - 1390 - 1391 - 1392 - 1393 - 1394 - 1395 - 1396 - 1397 - 1398 - 1399 - 1400 - 1401 - 1402 - 1403 - 1404 - 1405 - 1406 - 1407 - 1408 - 1409 - 1410 - 1411 - 1412 - 1413 - 1414 - 1415 - 1416 - 1417 - 1418 - 1419 - 1420 - 1421 - 1422 - 1423 - 1424 - 1425 - 1426 - 1427 - 1428 - 1429 - 1430 - 1431 - 1432 - 1433 - 1434 - 1435 - 1436 - 1437 - 1438 - 1439 - 1440 - 1441 - 1442 - 1443 - 1444 - 1445 - 1446 - 1447 - 1448 - 1449 - 1450 - 1451 - 1452 - 1453 - 1454 - 1455 - 1456 - 1457 - 1458 - 1459 - 1460 - 1461 - 1462 - 1463 - 1464 - 1465 - 1466 - 1467 - 1468 - 1469 - 1470 - 1471 - 1472 - 1473 - 1474 - 1475 - 1476 - 1477 - 1478 - 1479 - 1480 - 1481 - 1482 - 1483 - 1484 - 1485 - 1486 - 1487 - 1488 - 1489 - 1490 - 1491 - 1492 - 1493 - 1494 - 1495 - 1496 - 1497 - 1498 - 1499 - 1500 - 1501 - 1502 - 1503 - 1504 - 1505 - 1506 - 1507 - 1508 - 1509 - 1510 - 1511 - 1512 - 1513 - 1514 - 1515 - 1516 - 1517 - 1518 - 1519 - 1520 - 1521 - 1522 - 1523 - 1524 - 1525 - 1526 - 1527 - 1528 - 1529 - 1530 - 1531 - 1532 - 1533 - 1534 - 1535 - 1536 - 1537 - 1538 - 1539 - 1540 - 1541 - 1542 - 1543 - 1544 - 1545 - 1546 - 1547 - 1548 - 1549 - 1550 - 1551 - 1552 - 1553 - 1554 - 1555 - 1556 - 1557 - 1558 - 1559 - 1560 - 1561 - 1562 - 1563 - 1564 - 1565 - 1566 - 1567 - 1568 - 1569 - 1570 - 1571 - 1572 - 1573 - 1574 - 1575 - 1576 - 1577 - 1578 - 1579 - 1580 - 1581 - 1582 - 1583 - 1584 - 1585 - 1586 - 1587 - 1588 - 1589 - 1590 - 1591 - 1592 - 1593 - 1594 - 1595 - 1596 - 1597 - 1598 - 1599 - 1600 - 1601 - 1602 - 1603 - 1604 - 1605 - 1606 - 1607 - 1608 - 1609 - 1610 - 1611 - 1612 - 1613 - 1614 - 1615 - 1616 - 1617 - 1618 - 1619 - 1620 - 1621 - 1622 - 1623 - 1624 - 1625 - 1626 - 1627 - 1628 - 1629 - 1630 - 1631 - 1632 - 1633 - 1634 - 1635 - 1636 - 1637 - 1638 - 1639 - 1640 - 1641 - 1642 - 1643 - 1644 - 1645 - 1646 - 1647 - 1648 - 1649 - 1650 - 1651 - 1652 - 1653 - 1654 - 1655 - 1656 - 1657 - 1658 - 1659 - 1660 - 1661 - 1662 - 1663 - 1664 - 1665 - 1666 - 1667 - 1668 - 1669 - 1670 - 1671 - 1672 - 1673 - 1674 - 1675 - 1676 - 1677 - 1678 - 1679 - 1680 - 1681 - 1682 - 1683 - 1684 - 1685 - 1686 - 1687 - 1688 - 1689 - 1690 - 1691 - 1692 - 1693 - 1694 - 1695 - 1696 - 1697 - 1698 - 1699 - 1700 - 1701 - 1702 - 1703 - 1704 - 1705 - 1706 - 1707 - 1708 - 1709 - 1710 - 1711 - 1712 - 1713 - 1714 - 1715 - 1716 - 1717 - 1718 - 1719 - 1720 - 1721 - 1722 - 1723 - 1724 - 1725 - 1726 - 1727 - 1728 - 1729 - 1730 - 1731 - 1732 - 1733 - 1734 - 1735 - 1736 - 1737 - 1738 - 1739 - 1740 - 1741 - 1742 - 1743 - 1744 - 1745 - 1746 - 1747 - 1748 - 1749 - 1750 - 1751 - 1752 - 1753 - 1754 - 1755 - 1756 - 1757 - 1758 - 1759 - 1760 - 1761 - 1762 - 1763 - 1764 - 1765 - 1766 - 1767 - 1768 - 1769 - 1770 - 1771 - 1772 - 1773 - 1774 - 1775 - 1776 - 1777 - 1778 - 1779 - 1780 - 1781 - 1782 - 1783 - 1784 - 1785 - 1786 - 1787 - 1788 - 1789 - 1790 - 1791 - 1792 - 1793 - 1794 - 1795 - 1796 - 1797 - 1798 - 1799 - 1800 - 1801 - 1802 - 1803 - 1804 - 1805 - 1806 - 1807 - 1808 - 1809 - 1810 - 1811 - 1812 - 1813 - 1814 - 1815 - 1816 - 1817 - 1818 - 1819 - 1820 - 1821 - 1822 - 1823 - 1824 - 1825 - 1826 - 1827 - 1828 - 1829 - 1830 - 1831 - 1832 - 1833 - 1834 - 1835 - 1836 - 1837 - 1838 - 1839 - 1840 - 1841 - 1842 - 1843 - 1844 - 1845 - 1846 - 1847 - 1848 - 1849 - 1850 - 1851 - 1852 - 1853 - 1854 - 1855 - 1856 - 1857 - 1858 - 1859 - 1860 - 1861 - 1862 - 1863 - 1864 - 1865 - 1866 - 1867 - 1868 - 1869 - 1870 - 1871 - 1872 - 1873 - 1874 - 1875 - 1876 - 1877 - 1878 - 1879 - 1880 - 1881 - 1882 - 1883 - 1884 - 1885 - 1886 - 1887 - 1888 - 1889 - 1890 - 1891 - 1892 - 1893 - 1894 - 1895 - 1896 - 1897 - 1898 - 1899 - 1900 - 1901 - 1902 - 1903 - 1904 - 1905 - 1906 - 1907 - 1908 - 1909 - 1910 - 1911 - 1912 - 1913 - 1914 - 1915 - 1916 - 1917 - 1918 - 1919 - 1920 - 1921 - 1922 - 1923 - 1924 - 1925 - 1926 - 1927 - 1928 - 1929 - 1930 - 1931 - 1932 - 1933 - 1934 - 1935 - 1936 - 1937 - 1938 - 1939 - 1940 - 1941 - 1942 - 1943 - 1944 - 1945 - 1946 - 1947 - 1948 - 1949 - 1950 - 1951 - 1952 - 1953 - 1954 - 1955 - 1956 - 1957 - 1958 - 1959 - 1960 - 1961 - 1962 - 1963 - 1964 - 1965 - 1966 - 1967 - 1968 - 1969 - 1970 - 1971 - 1972 - 1973 - 1974 - 1975 - 1976 - 1977 - 1978 - 1979 - 1980 - 1981 - 1982 - 1983 - 1984 - 1985 - 1986 - 1987 - 1988 - 1989 - 1990 - 1991 - 1992 - 1993 - 1994 - 1995 - 1996 - 1997 - 1998 - 1999 - 2000 - 2001 - 2002 - 2003 - 2004 - 2005 - 2006 - 2007 - 2008 - 2009 - 2010 - 2011 - 2012 - 2013 - 2014 - 2015 - 2016 - 2017 - 2018 - 2019 - 2020 - 2021 - 2022 - 2023 - 2024 - 2025 - 2026 - 2027 - 2028 - 2029 - 2030 - 2031 - 2032 - 2033 - 2034 - 2035 - 2036 - 2037 - 2038 - 2039 - 2040 - 2041 - 2042 - 2043 - 2044 - 2045 - 2046 - 2047 - 2048 - 2049 - 2050 - 2051 - 2052 - 2053 - 2054 - 2055 - 2056 - 2057 - 2058 - 2059 - 2060 - 2061 - 2062 - 2063 - 2064 - 2065 - 2066 - 2067 - 2068 - 2069 - 2070 - 2071 - 2072 - 2073 - 2074 - 2075 - 2076 - 2077 - 2078 - 2079 - 2080 - 2081 - 2082 - 2083 - 2084 - 2085 - 2086 - 2087 - 2088 - 2089 - 2090 - 2091 - 2092 - 2093 - 2094 - 2095 - 2096 - 2097 - 2098 - 2099 - 2100 - 2101 - 2102 - 2103 - 2104 - 2105 - 2106 - 2107 - 2

- صلى الله عليه وسلم - وخمود نار فارس التي لم تخمد زمنا طويلا وإبطال الصمامة له - عليه السلام - قبل إرساله¹.

والكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد لطاهر الصلاح غير مدع للنسوة ، إكراما له .

والمعوية أمر خارق للعادة يظهره الله على يد شخص مستور الحال غير مدع للنسوة ، تخلصا له من شدة مثلا .

والاستدراج أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق يدعي نحو الإلهية مثلا ؛ استدراجا له .

وقولهم (على وفق مراده .. إلخ) ، مخرج للإهانة ، فإنها أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة كذبا ، على خلاف مراده تكذيبا له ؛ كما حصل لمسلمة الكذاب² فإنه نقل في عين أعور لئلا فعميت العين السليمة أيضا ، ونقل في يتر ليعذب ماؤها ؛ فصارت ملحا أجاجا . وما أشبه ذلك³.

الفائدة الثانية : في إمكان المعجزة ، ووقوعها ، ووجه دلالتها ، على صدق صاحبها .

اعلم أن المعجزة ممكنة عقلا ، وواقعة فعلا ، وليست من نوع المستحيل ، إما كونها ممكنة عقلا ؛ فلأنها لا يترتب على وقوعها محال ولأن العقول السليمة لا تجد مانعا من أن الله تعالى يظهر على أيدي رسله خوارق العادات ، تصديقا لهم .

¹ - لمعرفة المزيد حول هذه المعجزات (الأعراس) ينظر كتاب التلخيص لعقود المصطفى (صلى الله عليه وسلم) للعلامة المحقق القمي أبي الفضل عباس الحلي ، (ت 584 هـ) في ص 366 - 367 ، 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . ت . وكتاب البداية والنهاية ، لتعريف ابن كثير ، فيه فصل كامل من " فيما رفع من الآيات أوله مولده عليه الصلاة والسلام " ، مما في تلك ذكر الرسل لوقوع كراماتهم ، وخطوط الشرف ، وجمود النيران ، ورويا الميراثان وغير ذلك من الآيات " ، المصدر السابق ، ص 266 - 272 / 2 .

² - مسلمة الكذاب ، هو مسلمة بن ثعلبة ، وقيل أبا هريرة ، وكان قد يسمى بلجرجن ، فكان يقال له رجمن التلمذة ، وكان صغره يوم قل حلة وخمس سنة ، وكان يدعي النبوة ، تنكر ابن كثير سيرة كتمة في البداية والنهاية ، المصدر السابق ، ص 48 - 52 / 5 .

³ - قال الإمام السيوطي : " وكتب - أي مسلمة - كتاب - بل كانت آية مكتوبة ، نقل في بنز يوم ساء له نزلها ، فبلغ مائة ، وسمح راسه مني فخرج فرما فخطا ، ودعا لرجل في أسن له بالقرعة ، فرجع إلى منزله فوجد أجدعا قد بنط في النار ، والآخر قد أكله القتب ، وسمح طير عبي رجل استلقى بمسحه ، فليضت عيناه " الروض الكاف ، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن المتعمي السبكي ، (ت 583 هـ) ومعه النبوة النبوية لأن هشام ، لعقود عبد الله المشاوي ، ص 380 / 4 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1429 هـ / 2008 م .

وكون المعجزة مخالفة للسير الطبيعي المعروف في إيجاد الله الأشياء ، لا ينافي إمكانها ؛ فإن مخالفة السير الطبيعي مما لم يعم دليل على استحالة ، بل ذلك مما يشاهد وقوعه ، كما في حالة المريض الذي يمتنع عن الأكل مدة طويلة ، لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد الجوع على الإنلاف ، ومع ذلك يبقى حيا .

وأما كون المعجزة واقعة فعلا ؛ فلأنه قد نقل إلينا بالتواتر أن الله قد أيد رسله بخوارق العادات ؛ تصديقا لهم ، وفي القرآن الكريم (ص 89) وكتب السنة كثر من ذلك .

[دلالة المعجزة على صدق صاحبها]

أما وجه دلالة المعجزة على صدق صاحبها الذي ظهرت على يده فلأنها لما كانت أمرا يعجز عنه جميع الخلق ، لم تكن إلا أثرا من آثار قدرة الله تعالى ، وما أظهرها الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده ؛ إلا تصديقا له في دعواه .

فكان الله تعالى يقول : صدق عبي في كل ما يبلغ عني ، ولو كان مدعي النبوة كاذبا ؛ ما أبده الله بها ، لأن تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب ، وهو في حق الله تعالى محال .

[ما جاز على الأنبياء دليله الوقوع]

ثم قلت :-

(63) وَكُلَّ مَا جَازَ عَلَى الْجَمِيعِ * دَلِيلُهُ شَهَادَةُ الْوُقُوعِ

والمعنى : أن كل ما جاز على جميع الأنبياء والمرسلين ؛ دليله شهادة الوقوع ، أي مشاهدة وقوع الأعراس البشرية التي تقدم ذكرها

لهم ، حتى رآها أهل زمانهم ، وساهدوها واقعة لهم ، ونقلوا ذلك
بالتواتر لمن بعدهم .

فقد شوهد مرضهم وجوعهم وأذية الخلق لهم ، ولكن حد ذلك منهم
البدن الظاهر ، أما قلوبهم باعتبار ما فيها من المعارف والأنوار : فلا
يجل المرض ونحوه بقلامه طفر منها .

وقد اختلف في حكمة وقوعها بهم ، فقيل : لتعظيم أجورهم - كما
في الأمراض ونحوها - إذ لا شك أنها ترب عليها تعظيم الأجر لهم
ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : { أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء
ثم الأئمة فالأئمة }¹ .

[أفعال الأنبياء للتشريع]

وقيل للتشريع : والمراد تشريع الأحكام لنا : لأجل أن تعلمها ، كما
علمنا أحكام السهو في الصلاة من سهو نبينا محمد - صلى الله عليه
وسلم - فيها ، وكما علمنا أحكام صلاة المريض من فعله - صلى الله
عليه وسلم - لها حين مرض ، وكما علمنا أحكام الصلاة في وقت
الحرب من فعله - صلى الله عليه وسلم - لها في وقت مقابلة العدو
ووقت تلاحم القتال ، ولا يقال التشريع كما يحصل بالفعل يحصل
بالقول : لأننا نقول : دلالة الفعل أقوى من دلالة القول ، لأن المكلف
قد يعتقد في القول أنه ترخيص ، فيخالفه محتجا بأنه لو لم يكن
ترخيصا لفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وأما الفعل (ص 90) فلا يمكن فيه ذلك : لأنه لا يعدل أحد عن
فعله - صلى الله عليه وسلم - بعد رؤيته أو نبوته ، إذ لا يفعل - صلى
الله عليه وسلم - لنفسه إلا الأفضل ، وقيل : للتسلي عن الدنيا
والمراد تسلي غيرهم عنها ، إذا رأى أحوالهم فيها ، ونظر فيما وقع لهم

¹ - رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الأئمة ، ثم الأنبياء ثم الأولياء فالأئمة ، عن الحديث بن سويد عن عبد الله ، السجدة
السادس ، ص 3 ، المصدر السابق .

من تلك الأعراض ، فإنه يسلى عنها ، ويجزم بأنها دار همّ وهمّ وينكد
وأنها لا تصفو لأحد ، فأراح نفسه منها .

وقيل : للتشبه على خسة قدرها عند الله تعالى ، والمراد تنبيه غيرهم
لخفارة قدرها عند الله ، لأن الغير إذا رأى هؤلاء السادة ، الذين هم
خيرة الله من خلقه وصفوه من عباده ، قد أصابهم في الدنيا ألم
الجوع والعطش والتعب وأذية الخلق ، وأنهم لم ينظروا إليها ، ولا إلى
ما فيها ، بل زهدوا في كل ما احتوت عليه زهدا كاملا : تنقذ لحقارتها
عند الله تعالى ، وعلم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وفهم معنى
قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء) أ هـ² .

[دليل جواز الأعراض البشرية على الأنبياء]

ولهذه الاحتمالات الأربعة أشار الإمام السنوسي في أم البراهين
بقوله : " وأما دليل جواز الأعراض البشرية عليهم ، فمشاهدة وقوعها
بهم ، إما لتعظيم أجورهم ، أو للتشريع ، أو للتسلي عن الدنيا ، أو للتشبه
على خسة قدرها عند الله تعالى ، وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه
وأوليائه باعتبار أحوالهم فيها - عليهم الصلاة والسلام - أ هـ² .

مبحث السمعيات

ولما فرغت من مبحث الأدلة ، شرعت في مبحث السمعيات .

² - ما رواه الإمام ابن عسكارة عن سهل بن سعد ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (...) لو شئ لي بيتي في الدنيا لبيتني على
الدم من هذه على صاحبها ، ولو كانت الدنيا بين يدي هذا الجراح بعوضة ، ما سقى كافر منها قطرة أتة [حديث رقم 4110 ، سنن أبي
داود ، كتاب الزهد ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن أبي عمير (ت 275 هـ)] حقه الأستاذ محمد فواز عبد الباقي ، ص
1376 - 1377 / 2 - 3 . ت . كما ذكره البخاري في كتاب المغازي الحسنة ونقل قول الإمام الترمذي عنه - حديث صحيح عريب
من حديث الوجه ، وقال عنه أيضا : حديث صحيح ، المصدر السابق بحديث رقم 897 ، ص 353 .
³ - جامع مهمات الفوائد ، المصدر السابق ، ص 9 .

[الإيمان بالأنبياء أمر واجب]

فقلت :-

- (64) وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْأَنْبِيَاءِ * وَقُضِيَ مَن فِي الْكِتَابِ سَمِيًّا¹
 (65) هُمْ آدَمُ إِدْرِيسُ نُوحٌ هُودٌ * صَالِحٌ إِبْرَاهِيمُ لُوطٌ بَعْدُ
 (66) كَذَلِكَ إِسْمَاعِيلُهُمْ إِسْحَاقُ * يَعْقُوبُ ثُمَّ يُوسُفُ الْمُصْطَاقُ
 (67) أَيُّوبُ ذُو الْكِفْلِ كَذَلِكَ شُعَيْبٌ * مُوسَى وَهَارُونُ الْأَخَ الْحَبِيبُ
 (68) نَمُتْ إِبْرَاهِيمَ وَبَعْدَهُ الْيَسَعُ * يُوسُفُ دَاوُدُ سُلَيْمَانُ أَيْعُ
 (69) وَزَكَرِيَّا كَذَلِكَ يَحْيَا * عِيسَى وَطَهَ سَاطِعُ الْمُحْيَا

(ص 91) .

كل ما ذكر في هذه الآيات من أسماء الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقرأ على حسب القواعد العربية ، من تنوين الصرف وعدمه إلا آدم فإنه منون لضرورة الوزن ، وإلا صالحا فإنه غير منون لضرورة الوزن أيضا .

والمعنى أن إيماننا بالأنبياء أمر واجب شرعا ، وهو العقيدة الأولى من العقائد السمعية التي ثبتت بها النصوص الشرعية ، وهو واجب بالكتاب والسنة والإجماع ، ومعلوم من الدين بالضرورة ، وأدلته من الكتاب كثيرة :-

[الأدلة على وجوب الإيمان بالأنبياء]

منها قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملأته وكتبه ورسله ، لا تفرق بين أحد من رسله }¹ وقوله تعالى : { ومن يكفر بالله وملأته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا }² .

ومن السنة كثيرة أيضا : منها قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث الإسلام والإيمان والإحسان - : { الإيمان : أن تؤمن بالله وملأته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره } . إلخ³ .

ودليله من الإجماع : اتفاق علماء الإسلام على وجوب الإيمان بهم والدليل على علمه من الدين بالضرورة : اشتغاره بين الناس حتى اشترك في علمه الخاص والعام .

وحجتنا : فالمؤمن من قبيل الواجب الشرعي وجوب الأصول الذي يتصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، لأنه أنكر ما أجمعت عليه الأمة وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه يرجع للاعتقاد لا للمعرفة .

[تعريف الأنبياء لغة واصطلاحا]

و (الأنبياء) في اللغة : جمع نبي ، فهو فعيل ، بمعنى فاعل ، أو بمعنى مفعول ، سواء كان مشتقا من النبوة ، على وزن تمرة ، ومعنى الرفعة ، أو من النبأ ، وهو الخبر .

وقد عرفوا النبي في الاصطلاح : بأنه شخص ذكر ، حر ، مكلف من بني آدم ، أوحى إليه بشرع مطلقا ، سواء أمر بتبليغه أم لا ، فإن أمر بتبليغه فرسول ، سواء نزل عليه كتاب أم لا .

¹ - تختلف النظم الكلية في البيت رقم 64 مما ورد في شرح ابن العلك الصغير ، من 131 و من 157 ، حيث جاءت :-
 [وفصلنا بعد (كه) نصفا] وخرج (كه) بالأرقام العنبرية تعني (ك) = 20 ، و (هـ) = تسوي 5 ، أي أن مجموع
 الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيا . وهذا تفسير لقول النظم : (وهذان من في الكتاب سميا) يراجع في
 معرفة الأرقام العنبرية عند المعنوية ، كتاب قناري الشيخ محمد مفتاح قزوي ، وبعض الآراء العلمية ، المصدر السابق ، المجلد الثاني
 ، من 127 .

¹ - البقرة : 285 .

² - النساء : 136 .

³ - سبق تخريج الحديث من صحيح البخاري ومسلم ، راجع ، من 22 و 25 .

فقولهم (ذكر) مخرج للإناث ، إذ لم يكن منهم نبي على الصحيح والقول بنو حواء زوجة آدم ، وهاجر ، وسارة (كتبت بالصاد) زوجة إبراهيم الخليل ، وأسرة زوجة فرعون ، وبوحاند ، بالذال المعجمة ، أم موسى ، ومريم أم عيسى ، مردود .

وقولهم (حر) مخرج للأرقاء المماليك (ص 92) والموالي المعانيق ، إذ لم يكن منهم نبي على الصحيح ، والقول بنو لقمان الحكيم مردود أيضا ، وقولهم (مكلف) مخرج للصبيان والمجانين ، فلم يكن منهم نبي ، وقولهم (من بني آدم) مخرج للجن والملائكة ، إذ لم يكن منهم نبي ولا رسول بالمعنى الشرعي .

أما قوله تعالى : { الله يصطفى من الملائكة رسلا }¹ ، فهو محمول على الإرسال اللغوي : كنزول جبريل بالوحي على الأنبياء ، وقولهم (أوحى إليه بشرع) مخرج لمن لم يوح إليه بشرع ، سواء بقى شخصا عاديا كسائر الناس ، أو أمده الله حتى حكم الدنيا بأسرها ، كذي القرنين الذي ذكر الله قصته في قوله تعالى : { ويسألونك عن ذي القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا } إلخ² .

[الأنبياء ليسوا من النساء أو العبيد]

والى هذه المخرجات أشار صاحب بدء الأمالي بقوله : -

وَمَا كَانَتْ نِسَاءً قَطُّ أُنْسِي * وَلَا عَبْدٌ وَشَخْصٌ دُوَّ خَبَالٍ
وَدُوَّ الْقَرْنَيْنِ لَمْ يَعْرفَ نَبِيًّا * كَذَا لُقْمَانٌ فَاحْذَرْ مِنْ جِدَالِي³

وقولهم في الرسول : (سواء نزل عليه كتاب أم لا) معناه أن كل من أمر بالتبليغ ، يسمى رسولا ، سواء نزل عليه كتاب يعمل به

¹ - الحج : 75 .

² - الأنعام : 82 .

³ - في جامع جهنم المتن : ص 23 ، ومثل العبد الصائر عن دار الشفقة في المظنون ، ص 89 يوجد اختلاف بين بعض النسخات : حيث ورد فيها : وشخص ذو القمل ، والبيت الثاني ، فاحذر عن جدال .

كإدريس وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ونسبا محمد - صلى الله عليه وسلم - أم لم ينزل عليه كتاب يعمل به ، وإنما أمر بالعمل بشرع من قبله : كنوح وهود وصالح : فإنهم أمروا بالعمل بشريعة جدهم إدريس .

وكإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب الصابر ، وذي الكفل فإنهم أمروا بالعمل بشريعة إبراهيم الخليل ، وكجميع الرسل الذين هم بين موسى وعيسى : فإنهم أمروا بالعمل بشريعة موسى .

وأما المدة التي بين عيسى ونسبا محمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يبعث الله فيها رسولا ، وإنما بعث فيها عددا قليلا من الأنبياء ، ثم انتشرت الفترة حتى عمت الكرة الأرضية تمهيدا لظهور خاتم النبيين وإمام المرسلين ، المبعوث لكل الخلق أجمعين .

[عدد الأنبياء والرسل]

وقد اختلفت الروايات في عدد الأنبياء ، قرؤي : أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وروى : أنه أكثر من ذلك ، والأصح عدم حصرهم ، وقد سنل نسبا عن الرسل منهم ، فقال : (ص 93) هم ثلاثمائة وثلاثة عشر ،¹ ولم يبينهم بأسمائهم ، وإنما ذكرهم إجمالا في هذا العدد .

وقد قال الله تعالى : { منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك }² ، ولم يصرح المولى في كتابه العزيز إلا بأسماء خمسة وعشرين منهم ، ولذلك نص العلماء على أن المطلوب من المكلف الإيمان بهم إجمالا ، إلا من صرح الله بأسمائهم في كتابه العزيز : فيجب الإيمان بهم تفصيلا ، ولذلك قلت في النظم :

¹ - روى الخطيب ابن كثير عن ابن جابر في صحيحه وابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة قال : (قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قلت : يا رسول الله كم أرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم نضر ، قلت يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال : آدم ، قلت يا رسول الله مني جبريل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ، ونوح هو من ربه ثم سواه قتيلا . . .) البداية والنهاية المصنف السابق ، ص 151 - 152 / 2 .

² - غافر : 77 .

[ما يجب معرفته من الرسل والأنبياء]

ف (فصلان) فعل أمر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة ، وصيغة الأمر إذا أطلقت تدل على الوجوب ، وحسنه : فمعنى فصلان : أنه يجب عليك يا مخاطب أن تعرف على سبيل التفصيل : الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز بأسمائهم : وجمالهم خمسة وعشرون قد ذكرتهم في هذا النظم على الترتيب ، الأول فالأول ، وجودا وبعثا من آدم إلى خاتم النبيين ، حيث قلت : هم آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، إلى آخر النبيين الخامس ، وها أنا أشرحهم على الترتيب : -

فأقول : -

1- الأول : آدم أبو البشر - عليه السلام -¹

2- والثاني : إدريس - عليه السلام - المسمى : باختوخ بن ياردا ويرد على وزن عامر أو عمرو ، بن مهلائيل بن قنآن بن أنوش ، على وزن أفعل ، بن شيث بن آدم ، فيس إدريس وأدم خمسة آباء باتفاق المؤرخين .

3- والثالث : نوح - عليه السلام - وهو نوح بن لامك ، أو لمك ، على وزن فاعل ، أو فعل ، بن مئوسلخ ، بفتح أوله وضم ثانية مع التشديد وسكون ثالثة ، فتح رابعة وخامسة ، على وزن فعلوللة ، بن إدريس فيس نوح وإدريس أبوان باتفاق جمهور المؤرخين .

4- والرابع : هود - عليه السلام - وهو هُود بن عبد الله بن رباح بن جاب بن عاد بن عوض بن أرم بن سام بن نوح ، فيس هود ونوح سبعة آباء باتفاق جمهور المؤرخين .

¹ - قصة خلق آدم - عليه السلام - وتاريخ حياته ، ذكرها الحافظ ابن كثير بشيء من التفصيل في كتاب البداية والنهاية ، المصدر السابق ، ص 68 - 81 الجزء الأول .

5- والخامس : صالح - عليه السلام - وهو صالح بن عبيد بن أسعد ، على وزن (ص 94) فاعل ، بن ماشج بن عبيد بن جادر بن نمود بن جابر بن آدم بن سام بن نوح ، فيس صالح ونوح تسعة آباء باتفاق المؤرخين .

6- والسادس : إبراهيم الخليل - عليه السلام - وهو إبراهيم بن تارخ المسمى في القرآن : آزر بن ناحور بن شاروغ ، بن أرغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن قنآن بن أرفخشذ - على وزن إسترق - بن سام بن نوح ، فيس إبراهيم ونوح عشرة آباء باتفاق جمهور المؤرخين

7- والسابع : لوط - عليه السلام - وهو لوط بن هاران الأصغر أخى إبراهيم ، فلوطن ابن أخى إبراهيم ، وأما هاران الأكبر ، فهو عم إبراهيم وأبو سارة (كتبت بالصاد) زوجة إبراهيم ، على ما ذكر في أكثر النوارخ

8- والثامن : إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وهو جد العرب المستعربة ، وأما جد العرب العاربة : فهو يعرب بن قحطان ، والعرب البائدة كلهم يرجعون لأرم بن سام بن نوح - عليه السلام - .

9- والتاسع : إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وهو جد اليهود والروم ، فاليهود نسل ابنه يعقوب ، والروم نسل ابنه العيص .

10- والعاشر : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم السلام - وهو أبو الأسباط الاثني عشر المذكورين في القرآن .

11- والحادي عشر : يوسف الصديق - عليه السلام - وقد عبرت في النظم (بالمصداق) لضرورة الوزن ، لأن المصداق يفيد المبالغة التي يفيدها الصديق ، وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، فيوسف هو أحد الأسباط الاثني عشر ، سموا بذلك لأنهم أسباط إسحاق ، أي أولاد ابنه يعقوب ، على خلاف الغالب الذي اشتهر بين الناس ، لأن الغالب في ولد الولد تسميته بالحفيد ، وفي ولد البنت

تسمية السبط . كالحسن والحسين بالنسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم -¹

12 - والثاني عشر : أيوب الصابر - عليه السلام - وهو أيوب بن أموص - علي وزن أفعول - بن رائج بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل (ص 95) فبين أيوب وإبراهيم الخليل خمسة آباء باتفاق المؤرخين .

13 - الثالث عشر : ذو الكفل - عليه السلام - واسمه : بشر بن أيوب الصابر ، باتفاق جمهور المؤرخين . وفي تاريخ القرطبي² : إنما سمى ذا الكفل ، لأنه كفل لقومه طول الأعمار حينما طلبوا منه ذلك فبقيت أعمارهم طويلة حتى ملوا ، وطلبوا منه الرجوع إلى أعمارهم الأصلية ، فردهم الله إليها . وقيل : غلة التسمية غير ذلك³ .

24 - والرابع عشر : شعيب - عليه السلام - وقد اختلفت الروايات في نسبه : قال ابن جرير⁴ في تاريخه : إن الله - عز وجل - بعث بعد ذي الكفل شعيب بن صيقون بن عثفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن إلى أهل مدين ، وقيل : إنه شعيب بن ميكائيل بن صيقون بن عثفا بن إبراهيم الخليل ، أ هـ⁵ . فبين شعيب وإبراهيم الخليل أربعة آباء على الرواية الأولى ، وخمسة آباء على الرواية الثانية .

ومدين قيل ، هو في الأصل علم لابن إبراهيم الخليل الذي أتاه من زوجته قطورا الكنعانية التي تزوج بها بعد سارة وهاجر ، ثم سميت به القبيلة ، وقيل : اسم لما كانوا عليه ، وقيل اسم لبلد كانوا يسكنونها

1 - هذا . الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي . ابن قطيفة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد سنة ثلاث من الهجرة . له أربعة غريب ، وكانت سنة يوم مات سنة أربع من سنة . كتاب الاستيعاب . المصدر السابق ، رقم 600 ، ص 216 - 221 ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وأمه قطيفة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد لحسن خلون م شعل سنة أربع من الهجرة . وله ستة بنات ، له ترجمة طويلة في كتاب الاستيعاب لوفى . وعمره ثمان وخمسين سنة ، ص 221 - 224 .

2 - أحمد بن حنبل بن أبي يوسف الشافعي المعروف بالقرطبي (ت 1091 هـ) صنف كتاب أخبار الدول وأخبار الأول في التاريخ ، فيه لغوي ، المصدر السابق ، ص 159 .

3 - أنظر القول والآخر الأول في التاريخ ، تأليف أحمد بن يوسف القرطبي (ت 1019 هـ) دراسة وتحقيق / د / فهمي سعد ، ود / أحمد مصطفى ، الطبعة الأولى ، ص 116 . علم الكتب ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ / 1992 م .

4 - محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري ، ولد في بغداد ، وله مؤلفات كثيرة منها : تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم القرون ، في عدة مجلدات ، توفي سنة 310 هـ ، حيا لغوي ، المصدر السابق ، ص 26 - 27 / 6 .

5 - يراجع في نسبه في شعيب عليه السلام ، البداية والنهاية ، ص 185 / 1 .

بين مصر¹ والشام² ، وهي المسماة الآن بضحراء سينا³ ، والأصح الأول⁴ .

15 - والخامس عشر : فوسى - عليه السلام - وهو موسى الكليم ابن عمران بن بصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، فبين موسى وإبراهيم الخليل ستة آباء باتفاق جمهور المؤرخين .

16 - والسادس عشر : هارون - عليه السلام - وهو هارون بن عمران بن بصهر ، فهارون أخو موسى وشقيقه من أبيه وأمه ، قال القرطبي في تاريخه : وكان أكبر من موسى بثلاث سنين ، وكان فصيح اللسان ، جميل الصورة ، وكان أطول من موسى ، وأكثر لحما ، وأبيض جسما ، وأغلظ ألواح ، وكانت في جبهته شامة ، وكان محباً إلى بني إسرائيل .

وكان موسى - عليه السلام - حديدا خشنا متصليا في كل شيء لا يتمالك الرفق في شيء ، إنما يخاف الشرع ، فلذلك سأل ربه (ص 96) أن يشرك هارون معه في أمره ، فجعل الله له أخاه هارون وزيرا⁵ وقد مات قبل موسى بثلاث سنين ، فحزن عليه بنو إسرائيل حزنا شديدا ، انتهى منه باختصار⁶ .

1 - مصر ، سميت مصر + بمصر بن مصرية بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي من قوتج صرو بن العاصم في أيام عمر بن الخطاب ، وتتكون من القيمين : مدينة المسطاط ومدينة الإسكندرية ، وبها مدن أخرى ، لها ترجمة طويلة في معجم البلدان للمصنف الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، ص 137 - 143 / 5 . تاريخ سائر المقامات ، وتأليف ياقوت الحموي ، ص 1399 هـ / 1979 م .

2 - الشام ، سميت بذلك لكثرة قراها ، ولأن قوما من كنان بن خثام خرجوا عند التفرق فشقوا إليها أي أخذوا ذات الشمال . سميت الشام ، وأنها تأويلات أخرى ، وفيها مدن كثيرة ، تراجع ترجمتها في معجم البلدان ، المصدر السابق ، ص 311 - 315 / 3 .

3 - سينا : اسم موضع بالشام يشرف إليه الطور ، يقال : طور سينا ، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ، ولوي فيه ، وهو جبل معروف في معجم البلدان ، المصدر السابق ، ص 3300 .

4 - قال ابن كثير : كان أهل مدني قوما غريباً يسكنون مدينة مدين التي هي قرية من أرض مغان من أطراف الشام معاً يلي ناحية البحار قريبة من بحيرة قوم لوط ، وكانوا يعدهم بعدة قرية ، ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم من بني مدين بن ميثان بن إبراهيم الخليل ، وشعيب لبيهم هو ابن ميكائيل بن شمعون ، البداية والنهاية ، ص 184 - 185 / 1 .

5 - القصة وردت في كتاب الله ، قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (قال رب انشج لي صدي ويبر لي أمري وأحل عهدي من لساني يغيبها فوطني وأجعل لي وزيراً من أعني هارون أخي ألدته له أروني وأشركه لي أمري) طه - 24 - 31 .

6 - كان بنو إسرائيل يحبون النبي هارون عليه السلام ، ولما توفي اتهموا موسى بقتله ، لأنه حصد في جهنم له ، وكان هارون يكذب عليهم وأن لهم من موسى ، البداية والنهاية ، المصدر السابق ، ص 318 / 1 .

17 - والسابع عشر : إلياس - عليه السلام - وهو إلياس بن ياسين بن فتاح بن العيزار بن هارون بن عمران بن بصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . فبين إلياس وإبراهيم الخليل عشرة آباء على ما في أكثر التواريخ .

قال ابن الأثير : في تاريخه : لما كثرت الأحداث في بني إسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الأوثان بعد يوشع بن نون فبنى موسى : بيت الله إليهم إلياس بن ياسين بن فتاح بن العيزار بن هارون بن عمران نيا .

[قصة النبي إلياس مع قومه]

وكانت الأنبياء في بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة ، وكان إلياس مع ملك من ملوكهم يقال له : أخاب وكان يسمع منه ويصدق . وكان إلياس يقيم له أمره ، وكان بنوا إسرائيل قد اتخذوا صما يعبدونه ، يقال له : بعل ، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وهم لا يسمعون إلا من ذلك الملك .

وكانت بنوا إسرائيل متفرقة ، كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان معه إلياس : والله ما أرى الذي تدعو إليه إلا باطلا : لأنني أرى فلانا وفلانا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان فلم يضرهم ذلك شيئا يأكلون ويشربون ويتمتعون ، ولم ينقص ذلك من دنياهم ، وما نرى لنا عليهم من فضل ؟ ! ، ففارقة إلياس وهو يسترجع ، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضا ، أ - هـ 2 .

وقال القرطبي في تاريخه : لما تمادى قومه في الطغيان : دعا عليهم إلياس - عليه السلام - فامسك الله عنهم الغيث ثلاث سنين حتى هلكت مواشيهم ودوابهم ، فسألوه أن يدعو لهم ، فدعا لهم : فجاءهم

1 - علي بن محمد القتيبي حرك الفتح الحوزي المعروف بالآثير ، الفقيه المزيح الشافعي ، له مصنفات منها كامل التواريخ مطبوع في التي عامر مجاهد - توفي بالموصل سنة 630 هـ ، حيدرة المعروف ، المصدر السابق ، ص 5 / 706 .
2 - فديا واليه ، لا ركي ، هذه هي الـ إلياس - عليه السلام - المصدر السابق ، ص 337 - 339 / 1 .

المطر ، فقالوا : ليس عندنا من الحبوب ما نزرعه ؟ ، فأوحى الله إلى إلياس : أن يذروا الملح في الأرض ، ففعلوا ، فأنبت الله لهم الحمص فلما رأوا ذلك لم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم .

[خروج النبي إلياس من الحياة الدنيا وبقائه حيا]

فما رأى إلياس (ص 97) ذلك منهم : سأل ربه أن يخرجهم من بينهم فأوحى إليه أن أنتظر يوم كذا : فما جاءك من حيوان فاركيه ، فخرج إلياس في ذلك اليوم ، ومعه تلميذه البسع - عليهما السلام - فإذا بقرس من نور بين يديه ، فركبه إلياس - عليه السلام - فانطلق به الفرس طائرا في الجو ، فناداه البسع ، وهو في الجو : يا إلياس بماذا تأمرني ؟ ، فحذف إليه كساءه من الجو ، فكان ذلك علامة على استخلافه على بني إسرائيل .

ورفع الله عن إلياس لذة المأكول والمشرب ، وكساه ريشا ، وجعله أرضيا ، وسماويا ملكيا ، يطير مع الملائكة حيث شاء : فهو حي في الأرض ، كما أن عيسى حي في السماء ، أ - هـ 1 .

ذكر ابن جرير في تاريخه : أنه يعيش إلى اليوم يتفخ في الصور ويجتمع مع الخضر في كل موسم حج على جبل عرفة - عليهما السلام - انتهى 2 .

18 - والثامن عشر : البسع - عليه السلام - وهو البسع بن أخطوب تلميذ إلياس ، ويلقب بابن العجوز ، ولم يذكر أحد من المؤرخين ولا من المفسرين بقية نسبه ، وإنما ذكروا أنه ابن أخطوب ، من تلاميذ إلياس لا غير .

1 - أخبار الدول والار الأول في التاريخ ، لأحمد بن يوسف القرطبي ، المصدر السابق ، ص 152 - 153 للمجلد الأول .
2 - ذكر ابن كثير عدة روايات عن قيام الخضر مع النبي إلياس عليهما السلام في كل عام في الموسم ، فيلق كل منهما ربه ابن صاحبه ويترقا ، وإن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويصومان قبل سنة ويصومان من زمزم شربة واحدة فكيفهما إلى مثله من قبل ، ويخرج ذلك من المكليات ، وعلق ابن كثير على ذلك بقوله : " وهذه الروايات والمخيلات في قصة من ذهب إلى حركته إلى عالم الزم (أي الخضر) وكل من الأخابيت المرفوعة ضعيفة جدا لا يقوم بثباتها حجة في الدين ، والمكليات لا يلق أكثر ما من ضعف في الإسناد " البداية والنهاية ، المصدر السابق ، ص 333 - 334 / 1 .

قال الشيخ اسماعيل حقي : في تفسيره روح البيان : لما مات موسى عليه السلام - خلفه في بني اسرائيل يوشع بن نون ، فأقام فيهم النوراة ، وسار فيهم بأمر الله حتى قبضه الله ، ثم خلفه فيهم كaleb كذلك حتى قبضه الله ، ثم عظمت الأحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان ، فبعث الله اليهم الياس نبياً : فدعاهم إلى الله .

وكانت الانبياء في بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ، ولما غاب عنهم : خلفه فيهم اليسع ، فبقى فيهم ما شاء الله حتى قبضه الله ، ثم عظمت فيهم الخطايا ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

[ظهور قوم جالوت]

فظهر عليهم أعداء يقال لهم البليانا ، وهم قوم جالوت ؛ كانوا يسكنون شرقي نهر الأردن ³ وقيل كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين ⁴ ، والأول أصح ، لأن سكانهم لساحل بحر الروم لم تكن إلا بعد أن قتل داوود جالوت ، كما سيأتي في قصة داوود - عليه السلام - (ص 98) فعند ذلك نزحوا من شرقي نهر الأردن ودخلوا صحراء سينا التي كان فيها قوم شعيب ، فمكثوا فيها مدة ، ثم أحلّاهم عنها الجذب ، فتركوها ودخلوا أفريقيا ، وتفرقوا في شمالها ووسطها ، واستوطنوها ، وصاروا من أهلها ، وهم المعروفون فيها

١. علي الرومي (المتأخر) في شرح مصطلح الاستبالي، في العهد، العالم الصوفي، له عدة مؤلفات من بينها: روح
ليل في نفس القرآن، مطبوع: حدة العام، المصنف: السائل، ص 219 / 5

[illegible]

وتمثل فيها ثلاث في البداية، ذات الزهر المصفر في آخر الأضراس معقد جهر في. لمحمد بن عبد المنعم الحميري، حلقه
شكرهم بصلح عام 385 م. مكه - ان. - عروت. 1975.

والمسلم في ابن حجر الشافعي، صحت بطريقين من لسان من ولد كنان بن حاتم بن نوح عليه السلام، ومولاه من الأمازيغ
والسبوي، والشمس بن قيلة بن عبد الله، وهي أمي بنك الشافعي، وهي شتمت على من كثره، مثل: إيليا وعزة ونابلس والله
عز وجل، أبو عبد الله الشافعي، المصدر السابق، ص 442

بقيان البربر ، باتفاق جمهور المؤرخين ، وأصلهم من العمالة أولاد
عمليق بن عاد .

فطهروا على بني اسرائيل ، وتغلبوا عليهم ، وسبوا كثيرا من ذرارهم
واسروا من أبناء ملوكهم اربعمئة واربعين غلاما ، وضربوا عليهم
الجزية ، واخذوا تابوتهم الذي فيه توراههم ، ولقى بنوا اسرائيل منم بلاء
شديدا ، انتهى من روح البيان مع اختصار وزيادة من غيره !

19 - التاسع عشر : يونس - عليه السلام - وهو يونس بن متى على وزن حني ، وهو ذا النون ، وقد اختلف في زمن معيته ، والاصح انه بعد الباس ، وكان أبوه متى رجلا من اهل بيت النبوة ، ولم أقف على اتصال نسبه لا في التواريخ ولا في التفاسير بعد كثير من المراجعة والبحث .

20 - والنبي العشرون : داوود - عليه السلام - وهو داوود بن إيشا ، على وزن عيسى ، ابن عويمر ، على وزن جعفر ، ابن باعر - ياء موحدة في أوله - على وزن فاعل ، ابن سلمون بن نحوش - يفتح النون ويسكون الحاء المهملة وضم الشين - ابن عميتوب ، على وزن فعيوعل ، ابن رام بن حصرون بن فارص - بالصاد المهملة في آخره - ابن يهود ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل .

فيس داوود وإبراهيم الخليل ، اثنا عشر آبا ، على ما في أكثر التواريخ ، وهو داوود الذي قال فيه الله تعالى : { يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض } ² وقد بعثه الله لبني إسرائيل بعد أن احتلهم جالوت بزمان طويل .

١- ارجع في تلك كتاب البنية والهيأة، لأن كثير من المصادر السابق، من 319 - 325 / ٢، وبأن الحوي في ترجمة السليمان
والسليمان كانت تبار البر في سالف الأمان، وكان ملكهم جاثوت، وهو حمة لسان ملكهم، إلى أن قل تلك جاثوت،
أما في إبن كثير العرب، فزاد رواية وصفتهم بغيره فجعل من تلك البنية، وبذلك لونه من بنية، وبذلك هراة من
الطريق، وبذلك لونه مدينة مسرة، وبذلك فذه البنية للأربعة لملكها البري علي، وبذلك البري في بلاد أفريقيا وصحة إلى
عيسى بلاد المغرب (الفرقة السابعة من المصادر)، 441.

قال صاحب روح البيان : بعد ما تقدم في قصة البسج : إن بني إسرائيل حين غزاهم جالوت ، لم يكن لهم نبي يدبر أمرهم ، وكان أسباط النوبة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى ، فولدت غلاماً سمته : إسموئيل بالعبرانية : وهو إسماعيل بالعربية ، والسنين تبدل (ص 99) شيئاً في لغة عبران ، ففرح به بنو إسرائيل ، وحرصوا عليه وكفله شيخ من علمائهم ، وتباه حتى كبر وتعلم التوراة ، ولما بلغ مبلغ الرجال : أتاه جبريل - عليه السلام - وهو نائم ، وقال له : اذهب إلى قومك وبلغهم بأن الله قد بعث فيهم نبياً ، فلما أناههم : قالوا : إن كنت صادراً فأبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ؟

فهؤلاء هم القوم الذين قال الله تعالى فيهم : { ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيء لهم : أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله }¹ ، إلى قوله : { فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء }² .

واسموئيل هو الذي قال لنبي إسرائيل : { إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً }³ وقال لهم : { إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيعة مما ترك آل موسى وآل هارون }⁴ إلى آخر القصة . وبعد أن قتل داوود جالوت : انتقل أمر بني إسرائيل من نبهم إسموئيل وملكهم طالوت إلى داوود عليه السلام ، حيث جعله الله خليفة في الأرض ، وأتاه الملك والحكمة : وهي الرسالة ، وعلمه مما يشاء وأنزل عليه الرزق زيادة على التوراة ، وهو الذي شرع في بناء بيت المقدس ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل تمامه ، فأنتم ابنه سليمان بإتفاق المؤرخين والمفسرين .⁵

¹ - البقرة : 244 .
² - البقرة : 245 .³ - البقرة : 245 .
⁴ - البقرة : 246 .
⁵ - البقرة : 246 .

⁶ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص 556 .

21 - والواحد والعشرون : سليمان - عليه السلام -

وهو سليمان بن داوود الذي تقدم ذكره ، وهو الذي بعثه الله بعد أبيه داوود ، وهو الذي أتم بناء بيت المقدس بعد وفاة أبيه ، وهو أحد الأربعة الذين حكموا في جميع أقطار الدنيا ، وزاد عليهم بالحكم في الريح والجن ، وجميع العقارب ، كما في صريح القرآن .¹

وبعد وفاة سليمان : أضل الله بني إسرائيل فتقصوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، فقتلوا نبي الله شعيباً ، وهى المفسدة الأولى من المفسدين اللتين ذكرهما الله (ص 100) في سورة الإسراء بقوله : { وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعد الله مفعولاً }² أهـ .

قال صاحب روح البيان : إن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد ، وقتلوا نبي الله شعيباً : سلط الله عليهم بُخْت نَصْرَ البابلي فسار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطن الشام وخرّب بيت المقدس³ ، وجعل بني إسرائيل ثلاثاً : ثلثاً منهم قتلهم ، وثلثاً منهم أقرهم بالشام ، وثلثاً منهم سباهم .

[عزير عليه السلام]

وكان من جملة المسييين عزير - عليه السلام - فرأى منه بُخْت نَصْرَ أشياء من خوارق العادات ، فتركه وأطلق سراحه ، فأشترى حمّاراً ورجع عليه إلى الشام ، فمر على قرية بيت المقدس ، وهى خاوية

¹ - إشارة إلى قوله تعالى : { وسليمان الريح غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ وسبقنا له عين القطر ومن الجن من يعملون بين يديه بأذن ربه ، ومن يزرع منهم عن امرأة تنقح من عذاب السعير } سبأ : 32 .
² - الإسراء : 4 - 5 .
³ - المقدس ، بابلها ، وكورة أيليا من فلسطين ، والأرض المقدسة أربعون ميلاً في طولها ، وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه يعقوب ، وقتل داود عليهما السلام ، وكان من بناء داود عليه السلام له إلى وقت تقريب : بنيت ناصرية واطّاع دولة بني إسرائيل أربعمئة سنة وأربع وخمسون سنة ، فلم يزل يربوا إلى أن بناء ملك من ملوك طوائف القروس يقال له كوشك ، ثم تعلت مملكة عسان على الشام بملكك مذكور اليوم لهم وبنوهم في ناصرية . إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام ، ومكّ الشام حيلة بن الأهم ، ففتح الله الشام على المسلمين زمن عمر بن الخطاب ، الروض المصطفي ، المصدر السابق ، ص 556 .

على عروشها¹ : قال : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها : فأمانه الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت قال : لبث يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبث مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولججلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم تكسوها لحما : فلما بين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) اهـ² .

أما قوله تعالى : { ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا }³ قال صاحب روح البيان : حكى أن كوريش الهمذاني غزا أهل بابل ، فظهر عليهم وسكن ديارهم ، وأهلك بخت نصر ، وتزوج امرأة من بني إسرائيل ، فطلب منه أن يرد قومها إلى أرضهم ، فردهم إلى بيت المقدس ، فالكرة هي قبل بخت نصر واستنقاذ أسارى بني إسرائيل ورجوع الملك إليهم ، فمكثوا فيها ورجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه . ثم عادوا فعصوا ثانية : كما سبأني اهـ⁴ (وانبع) ماض وجملة حال من سليمان⁵ .

22 - والثاني والعشرون : زكريا - عليه السلام - وهو زكريا بن برخيا من ذرية سليمان بن داوود - عليهما السلام - وقد تقدم أن داوود يرجع (ص 101) نبيه إلى يهوذا أحد الأسباط الاثني عشر على ما في أكثر النواحي ، قال القرطبي في تاريخه ، نقلًا عن محمد بن إسحاق⁶ : لما رجعت بنوا إسرائيل من أرض بابل إلى بيت المقدس بعد أن استأسرهم بخت نصر (وأحسب الله لهم عزير بعد أن أمانه الله

¹ - جاء في تفسير القرآن الكريم لأبي بكر : أن الذي مر على القبة الحربية على عروشها هو عزير - رواية علي بن أبي طالب ، وهو المشهور بأبي المورخين - وأن القبة هي القدس - تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عبد الله بن أبي عمير ، إمام القضاة الشافعي (ت 774 هـ) من 1 / 314 دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1388 هـ / 1969 م . وعلى الرواية بذكرها بأول الجوزي في معجم النبال ، المصدر السابق ، من 1 / 176 .

² - الباق : 258 .

³ - الأنعام : 6 .

⁴ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المصدر السابق ، محمد السادس ، من 8 / 19 ، وهذه القصة وردت أيضًا في كتاب فضيل الأئمة ، عز الدين المصطفى ، كتاب أبي إسحاق أحمد بن محمد الشيبانوي المعروف بالمشي (ت 427 هـ) من 243 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1374 هـ / 1955 م .

⁵ - بفتح النون (وانبع) وردت في الحديث رقم 86 في ذكر أسماء الأنبياء عليهم السلام .

⁶ - محمد بن إسحاق بن يوسف بن جابر ابن عبد المطلب المدني ، له كتاب منها : كتاب الطهارة ، كتاب النبوة ، كتاب المعاري ، توفي سنة 150 هـ ، هدية المولى ، من 6 / 7 .

مائة عام ، وجاءهم فعرّفوه بالعلامات التي وجدوها فيه ، وبلا عليهم النوراة بنماها ، كما أنزلت من عند الله ، قالوا : عزير ابن الله) .

وبعيرت أمورهم ، وصاروا يحدّثون الأحداث : فبعث الله إليهم زكريا - عليه السلام - فنهاهم عن المعصية ، ووضع لهم الحدود ، وهو الذي كان يغرب القرى ، ويفتح باب المسجد : فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول ، وهو الذي كفل مريم أم عيسى ، فحفظتها زوجها لأنها خالته ، أخت أمها .

[قصة هروب النبي زكريا من بني إسرائيل]

قال كعب الأخبار¹ : ولما سمع زكريا - عليه السلام - أن ابنه يحيى قد قتل : انطلق هاربًا حتى سلك في واد كبير الأشجار عند بيت المقدس ، فأرسل الملك الذي قتل يحيى أناسًا في طلبه ، فمهر زكريا - عليه السلام - بشجرة ، فناديه هلم إلى يا بني الله ، فلما أنهاها انشقت له : فدخلها ، وانظفت عليه ، وبقي في وسطها ، فأبى عدو الله إبليس : فأخذ هذب رذاته منها فأخرجه من الشجرة .

فمر بنوا إسرائيل على إبليس الملعون : وقالوا له : يا راعي هل رأيت رجلاً من صفته كذا وكذا ؟ فقال : نعم ، إنه سحر هذه الشجرة فانفجحت له ، ودخل فيها ، وهذا طرف رذاته ، فتنشروا الشجرة وقلعوها به فلقين ، انتهى من تاريخ القرطبي ، بنوع اختصار² .

23 - والثالث والعشرون : يحيى - عليه السلام - وهو يحيى بن زكريا الذي تقدم ذكره ، وهو ابن خالة عيسى ابن مريم ، وقد ولد قبل عيسى بسنة أشهر ، وقيل : بثلاثة سنين ، وكان مصدقًا بكلمة الله ، أي

¹ - كتاب من مائة من ذي حنين المصري ، تابعي كان في المعاطبة من كبار علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وقدم المدينة في ليلة نحر وعنه الله عنه ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، خرج إلى الشام ، فسكن حمص ، وتوفي بها عن مائة وأربع سنين ، مجلة النبوة الإسلامية ، العدد 80 - 1427 - 1428 هـ ، شبكة المعارف الدولية ، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ، ونقل عنه كثيرًا من رواياته ، في الجزء الخامس من ص 364 - 391 ، وفي الجزء السادس من ص 3 - 54 ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1400 هـ / 1980 م .

² - أخبار الدول والآثار الأولى في التاريخ ، المصدر السابق ، المختصر من صفحات 198 - 205 / 1 .

مؤمناً بعيسى الذي هو كلمة الله ألقاها إلى مريم ، وسيدا ، أي فاتحا
على غيره في الدين ، وحضورا : أي مبالغا في حصر النفس وجسدها
عن الشهوات مع قدرته على ذلك ، ونبا من الصالحين ، أي من القوم
الصالحين أصحاب النسب الطاهر .

[المفسدة الأولى لبني إسرائيل]

وكان لبني إسرائيل ملك يسمى : ناحب ، كان يكرم يحيى - عليه
السلام - غاية الإكرام (ص 102) ولا يفعل شيئا يغير أمره ، وقد
هوى بنت امرأته ، فشاور يحيى على التزوج بها ، فنهاه عن ذلك ، فبلغ
نهبه أم البنت ، وكانت كافرة قتالة الأنبياء ، فحققت على يحيى - عليه
السلام - قديرت له مكيدة : فعمدت حين جلس الملك على شرايه
فأليست بنتها من أنواع الحلى ، وزينتها وطيبها ، وأرسلتها إلى الملك
لنسقيه الخمر ، وقالت لها : إن راودك عن نفسك فامتعى حتى يعطيك
ما تسألينه ، فإن أعطاك سؤالك ، فاطلبى منه أن يجيء برأس يحيى
في طست .

فلما راودها : طلبت منه ذلك ، فقال لها : ويحك سألتينى أمراً عظيماً
! ، فاطلبى غير هذا ؟ ، فقالت له : لا أسألك غيره ، فبعث^١ إلى يحيى -
عليه السلام - وهو قائم يصلى فى محراب داوود ، فضرب عنقه
وأتى له برأسه ، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه : وهو يقول : لا
تحل لك .

فحفر له فى بيته حفرة عميقة ، ودفن الرأس فيها ، فغلى الدم
حتى امتلأ البيت ، ثم خرج إلى ساحة الدار ، وإلى الأزقة ، فلما أصبح
أمر بتراب فألقى عليه ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزل يلقى عليه التراب
حتى بلغ سور المدينة ، وهو فى ذلك كله يغلى ويفور ، فخسف الله
تعالى بالملك وبالبيت وأما وتوابعهم : عقوبة لهم .

^١ - فى الحديث : فبعث إلى يحيى ، وبعث إليه وهو قائم فى المحراب يصلى بمسجد جبرون من آتاه برأسه فى
صبيحة ، ص 55 ، الجزء الثانى ، وفى عزرائل المحقق ، التفسير السابق ، رواية عن كعب الأحمدي : فأرسلت إليه وهو قائم يصلى
فى بيت المقدس ، فى محراب داود من يضرب عنقه ويلقى رأسه ، ص 380 .

[المفسدة الثانية لبني إسرائيل]

وهذه هى المفسدة الثانية التى وقعت من بني إسرائيل ، وذكرها
المولى فى سورة الإسراء بقوله : { فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليسروا ما علوا تيسرا }
أهـ ، ١ .

روى أنه لما قتل يحيى - عليه السلام - وخسف بالملك وتوابعه
بعث الله ملكا من ملوك بابل يقال له ، خردوش ليتقم منهم ، فسار
لبيت المقدس حتى احتاط بالمدينة : فأغلقوا دونه أبوابها وتحصنوا
واشتد على الملك المقام .

فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل ، وقالت له : أيها الملك
إن كنت تبقى دخول هذه المدينة ، فاقسم جندك إذا أصبحت أربعة
أقسام حول سور المدينة ، فى كل ناحية قسم ، ثم أرفعوا أصواتكم
وقولوا : اللهم إنا نستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا ، فإن
سورها يتساقط ، وتفتح بآذن الله .

فلما أصبحوا فعلوا مثل ما علمتهم تلك العجوز ، فتساقط سور
المدينة ، ودخلوا من حيث شاؤوا ، وانطلقت العجوز بهم إلى دم يحيى
- عليه السلام - (ص 103) وأرثهم إياه ، وهو يغلى ويفور ، فلما رآه
الملك : قال : إني خلقت بإله الآلهة إذا ظهرت على بني إسرائيل فى
بيت المقدس : لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم من المدينة إلى مكان
نزول العسكر .

فعد ذلك أمر رجلا من رؤساء جنده ، يدعى : بزوارد أن يذبح منهم
حتى يسيل الدم إلى وسط العسكر ، وخرج الملك إلى منزله ، وأمر
بزوارد كل من حوله من الجنود أن يغلقوا أبواب المدينة ، وذبح من بني
إسرائيل سبعين ألف رجل من رؤسائهم وعلمائهم ، ثم قام فوقف
على دم يحيى - عليه السلام - وقال : يا يحيى : قد علم ربي ويريك

ما ذبح من أجلك ، فأهدأ بإذن الله . وإلا ما أقيمت من قومك أحدا .
فهذا الدم يقدرة الله تعالى .

فبعد ذلك كف عن القتل ، وجمع الباقين من بين إسرائيل ، وقال لهم : إن الملك أمرني أن أذبح منكم حتى تسيل دماؤكم إلى وسط عسكره . فإني لا أستطيع أن أعصيه ، قالوا : افعل ما أمرت ، فأمرهم أن يحفروا خندقا ويحصبوا جميع مواشيهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والقر والغنم ، فذبحت وطرحت أجسادها في الخندق حتى سال الدم إلى أن وصل إلى العسكر .

وأمر بالقتلى الذين ذبحوا قبل ذلك : فطرحوهم على ما ذبح من المواشي ، حتى لا يراها أحد ، ثم بلغ الملك بتنفيذ الأمر في بني إسرائيل ، فجاء الملك خردوش ، ولما نظر إلى سيلان الدم في وسط العسكر : أمر برفع القتل عنهم .

ثم انصرف عنهم إلى بابل ، بعد أن انتقم الله به من بني إسرائيل وصبرهم لا تقوم لهم بعد ذلك راية و { ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وبأؤوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون } آه 1 .

[فتح بيت المقدس]

وبقي بيت المقدس خرابا يسكنه بعض أناس من الروم إلى أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما فتحه على يد أبي عبيدة 2 عمره المسلمون بأمره ، وبقي في أيدي المسلمين إلى أن طمع اليهود

1 - آل عمران : 112 ، في الأصل (وضربت) .

2 - أبو عبيدة بن الجراح ، قيل إن اسمه عمر بن الجراح ، وقيل عبد الله بن عمر بن الجراح ، شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها من المشاهد كلها ، وهو أحد المشركين الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكان من كبار الصحابة وفصلاتهم ، توفي في طائفة عوامس وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، الاستيعاب ، المصدر السابق ، ترجمة رقم 247 من 822 - 823 .

في الرجوع إليه ، فسلط الله عليهم العرب ، لقوله تعالى (ص 104) { وإن عدتم عدنا } آه 1 .

أي وإن عدتم يا بني إسرائيل للتجمع والطمع في بيت المقدس عدنا للانتقام منكم ، وهذه الآية الشريفة من أقوى الأدلة على أن النزاع الذي بين اليهود والعرب على بيت المقدس ، لا ينقطع حتى يظهر على اليهود خردوش آخر يستقم منهم كخردوش البابلي ، ولو بعد مائة عام ، ولو من غير العرب ، انتهى من تاريخ القرمانى ، باختصار ويتصرف وزيادة من بعض التفسير 2 .

24 - والرابع والعشرون : عيسى - عليه السلام - وهو عيسى ابن مريم ، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ومن معجزاته أنه كان يربى الأكمة والأبرص ، ويحيى الموتى بإذن الله ، فلما شاع خبر هذه المعجزة التي أظهرها الله على يديه : خاف اليهود على أنفسهم من دعوته عليهم ، فاجتمعوا عليه ذات يوم ليقتلوه غيلة .

فبعث الله تعالى إليه جبريل : فرفعه من روضة 3 كانت في سقف بيته إلى السماء ، وهذا معنى قوله تعالى : { ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إن متوفيك ورافعك إني ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } آه 4 .

قال صاحب روح البيان : المعنى أن الله خير الماكرين حين قال يا عيسى إني مستوفيك أجلك الذي كتبته لك ، فلا نميتك قبله ، بل مؤخرتك إلى مجيئه وعاصمك من أن يقتلك الكفار ، ورافعك الآن إلى محل كرامتي ، أو مقر ملائكتي : وهو السماء ، لا إلى ذاتي لأن الله منزّه عن المكان ، ومطهرك من الذين كفروا بك وبأمروا على قتلك

1 - الإسراء : 8 .

2 - أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، المصدر السابق ، ص 209 - 212 / 2 ، ضمن الإنبياء ، عرائس المجالس ، المصدر السابق ، ص 378 - 379 . البداية والنهاية ، المصدر السابق ، ص 53 - 55 / 2 .

3 روضة : كرة دائرية صغيرة ، أو الكرة غير البالغة ، معجم المعاني الجامع ، معجم عربي عربي ، شبكة المعلومات الدولية .

4 - آل عمران : 53 - 54 .

أي معدنك عنهم ، ومنجك من مكرهم ، وجاعل الذين اتبعوك ؛ أي آمنوا بك ، سواء آمنوا بمحمد أيضا ، وهم المسلمون ، أو لم يؤمنوا به وهم النصارى : فوق الذين كفروا بك ، وهم اليهود إلى يوم القيامة¹ .

فيهم من هذه القومية التي جعلها الله لاتباع عيسى أن اليهود لا يتألمون استغلا وحرية ، بل لا بد أن يكونوا تحت المسلمين أو تحت المسيحيين إلى يوم القيامة ، وهو الواقع لهم ، والمشاهد فيه ؛ لأن الله (ص 105) ضرب عليهم الدلة أينما وجدوا ، حيث قال في كتابه العزيز : { ضربت عليهم الدلة أينما تغفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس }² .

أ- هـ² . قال صاحب روح البيان : المعنى أن الله أهدر أنفسهم وأموالهم وأهلهم في أي مكان وزمان وجدوا في دار الإسلام ، وألزمهم الدل بحيث صار كشيء يضرب على الشيء فيحيط به ؛ كضرب القبة على من هي عليه في جميع الأحوال ، إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة الناس .

قال الإمام³ : الأمان الذي يحصل لأهل الذمة قسمان : أحدهما الذي نص عليه الله ، وهو الأمان الحاصل لهم بإعطاء الجزية ، والثاني الأمان الذي قوض إلى رأي الحاكم الذي يحتمون به ، فالأول هو المسمى بحبل الله ؛ والثاني هو المسمى بحبل الناس أ- هـ .

ثم قال الله تعالى : { وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون }⁴ ، بل أقسم المولى في كتابه العزيز ليلسلطن عليهم إلى يوم القيام من يسومهم سوء العذاب ؛ حيث قال

¹ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المصنف السابق ، المجلد الثاني ، ص 176 .
² - راجع ج 112 .
³ - يفسد بلفظ كتاب روح البيان الذي نقل عنه ، وهو الشيخ إسماعيل حفي ، فقامت ترجمته .
⁴ - آل عمران : 112 .

(وإذ نادى ربك لمبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أ- هـ¹ .

وبالجملة ؛ فاليهود لما نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ؛ سلط الله عليهم الأعداء ، فاحتلهم جالوت ، ثم احتلهم بخت نصر ، ثم احتلهم خردوش ؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : { ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم } أ- هـ² ، ولما قتلوا يحيى وزكريا من أنبياء الله ؛ ترع الله منهم الملك ، ولما تأمروا على قتل عيسى ؛ رفع الله منهم النبوة برفع عيسى إلى السماء ،³ وتركهم محرومين من الأمر والملك والنبوة ، وأبقاهم موجودين في الدنيا ، كما أبى إبليس للعين لاختيار المسلمين .

25 - والخامس والعشرون : نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،⁴ وفيه ينتهي نسب نبينا المأذون فيه شرعا ؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : { لا ترفعوني فوق عدنان } 5 (ص 106)

لأن من فوقه فهم خلاف ؛ حيث قال بعض المؤرخين : عدنان بن ادد بن يجشوم بن مقوم بن ناحور بن تاريخ بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وقال آخرون : عدنان بن

¹ - الأعراف : 167 .
² - ما رواه الإمام المنذري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعدو بالله أن تتركوهن : . . . ولم ينصروا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فلفظوا بعض ما في أيديهم . . . }
الترغيب والترهيب ، من الحديث الشريف ، لحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، (ج 656 هـ) ، حيث رقم 2715 ، ص 27 .
تحقيق مركز تحقيق المصنف بالتراف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الثقافي ، الأزهر القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ / 2003 م .
³ - قال ابن كثير : " في رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وحفظه الرب وبيان كتب اليهود والنصارى في دعوى الصلب ، فأنكر الله تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توقعه بالشوم على المسيح المخطوع به ، وخلصه من كان أراد أن يقتله من اليهود الذي وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان " البداية والنهاية ، المصنف السابق ، ص 91 / 2 .
⁴ - مطابق للرواية التي تذكرها الإمام البخاري في صحيحه ، مثاقب الأنصار ، باب منعت النبي صلى الله عليه وسلم ، ص 238 / 4 .
⁵ - قال السهيلي : " قلادي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوز ، بل قد روي عن طريق ابن عباس أنه لم يبلغ عدنان قال (كتب السليمان مواتين أو ثلاث) والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود ، وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (إنما انتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا تخري ما هو) الروض الأنف ، المصنف السابق ، ص 22 / 1 .

صديق من صديق من أدب من كعب من شجوب من غروب من الهمسج من
فهدار من اسماعيل من إبراهيم الخليل -
لأنهما انقلا على

[أولوا العزم من الرسل]

فَقَعَبِي

والمعنى أن أفضل الرسل أولو العزم الخمسة ، وأفضل أولى العزم
 نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ووليه سيدنا إبراهيم الخليل ، ثم
 سيدنا موسى الكليم ، ثم سيدنا عيسى المظهر ، ثم سيدنا نوح أبو
 البشر الثاني ، لقوله تعالى : { وجعلنا ذرية هم الباقين } أ - هـ ² ، وقد
 نظمهم على هذا الترتيب من قال ³ :-

وليس منهم آدم - عليه السلام - لقوله تعالى : { فسي ولم نجد له عزما } ١ وسموا بأولى العزم لانهم تحمّلوا أكبر الأثام والمشاق ، ولذلك قال الله لنبى : { فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل } ٢ وبهذا الأمر صار منهم ، بل هو أفضلهم ، وأفضله على باقى الرسل من باب أخرى وأولى .

والدليل على أفضلية بعضهم : قوله تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض } ٤ الآية ، ولما كان ولنا (وأفضل الكل نبى الختم) يتضمن خاصيتين من خصائص نبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الأولى : أنه أفضل المرسلين ، الثانية : أنه خاتم النبيين ، ناسب أن نذكر خير خصائصه ، وهى عموم رسالته - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قلت :-

[الرسول سفير من الخالق إلى المخلوق]

الطبعة الإسلامية : ١ / عمر مولاوي عبد الحميد ، ود / جامعة مسعود الزريفي ، ص 22 - دار ترواك ، طرابلس ليبيا . الطبعة الثانية 1996 .

وقولنا في النظم (اقطنا) فعل أمر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة والمنقلة الفا في الوقف ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا ، تقديره أنت والجملة تكمله البيت ، لكنه يفيد طلب التفتن للخصائص كما لا يخفى .

والدليل العقلي على عموم رسالته : أن الرسالة سفارة بين الخالق والمخلوقين ، فالرسول سفير الله إلى خلقه ، وقد جعله الله نبيا محمدا خاتم النبيين والمرسلين ، ففى ختمهم به دليل على أنه هو الرسول العام لجميع المخلوقين .

والدليل العقلي على عمومها من الكتاب : قوله تعالى : { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا }¹ وقوله تعالى أيضا : { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا آجبوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم }² - هـ .

ومن السنة : قوله - صلى الله عليه وسلم - : { بعثت إلى الناس كافة }³ - أ - هـ .

فائدتان [في نطاق الرسالة وخصوصها]

[الفائدة الأولى : في خصوص الرسالة وعمومها .

اعلم أن الله تعالى أرسل رسلا كثيرين للهداية والإرشاد والتهديب والإصلاح ، منهم من كانت رسالته خاصة ومقصورة على بعض البشر وعلى بعض الأزمنة والأمكنة ، كغالب الرسل - عليهم الصلاة والسلام

- (ص 108) فكان الواحد منهم يرسل إلى قرية أو قبيلة أو شعب بعينه .

ومنهم من كانت رسالته عامة : عموما إضافيا ، أي نسيباً بالنسبة للإنس دون الجن ، وبالنسبة لأهل زمانه دون من بعدهم : كسيدنا نوح - عليه السلام - فإن رسالته كانت عامة ، لكن للإنس دون الجن ولأهل زمانه دون من بعدهم .

ومنهم من كانت رسالته عامة عموما مطلقا حقيقيا للإنس والجن ولأهل زمانه وغيرهم ، كسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن رسالته جاءت عامة لجميع الخلق أنس وحن وملأنة ، معاصرين وغير معاصرين ، في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة .

ففرق بين العام المخصوص كرسالة نوح ، والعام غير المخصوص كرسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

الفائدة الثانية : في عموم رسالة نبينا محمد وختمها للرسالات .

اعلم أن الله تعالى ، لما جعل نبينا محمدا خاتم النبيين والمرسلين جعل رسالته عامة لجميع الإنس والجن ، مستمرة إلى يوم القيامة وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وجعل شرعه صالحا لكل زمان ومكان ، وناسخا لكل الشرائع التي قبله .

فيجب على المكلف أن يؤمن بأن محمدا رسول الله ، وخاتم النبيين والمرسلين ، ومرسل إلى الخلق أجمعين .

ولما فرغت من خير خصائص نبينا - صلى الله عليه وسلم - شرعت في بيان خير معجزاته :-

¹ - سآ : 28 .

² - الأنعام : 28 - 30 .

³ - روى الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { بعثت إلى الجن والإنس } حديث رقم 1482 ، ص 641 ، وفي رواية أخرى : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ... بعثت إلى كل أمة راسدا ... } حديث 1479 ، ص 640 .

[معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم]

فقلت :
(72) وخير معجزاته ما بعث * خالدة تخلو قلوبا هديت
(73) وتستقر قلب كل من كفر * وهي كلام الله معجز البشر

ومعنى هذين البيتين : أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - له معجزان متعدده ، وأن خير معجزاته المعجزة التي جاء بها من عند الله تعالى وبقت خالدة بين الناس . يستصنون بنورها ، ويهتدون بهديها وسفحون بها في دينهم وديارهم ، وينعظون بها فيخلو : أي تصقل قلوبا (هديث) - بالناء للمجهول - أي هداها الله للإيمان ، حتى أمنت بالفعل ، و (تستقر) ، أي ترعج قلب كل من كفر بالله ولم يؤمن نبينا ، ولا بما جاء به من عند الله (ص 109) وهي كلام الله تعالى .

وقد تقدم في صفات المعاني : أن كلام الله يطلق على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ، وعلى اللفظ الحادث المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - المسمى بالقرآن .

وتقدم أيضا : أن المراد به هناك الصفة القديمة ، وأما هنا فالمراد به اللفظ الحادث المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه هو الذي وقع به الإعجاز - كما لا يخفى - وإنما أفردته بالذكر لأنه أفضل معجزاته - صلى الله عليه وسلم - وأدومها وأعمها نفعاً لبقائه بين الناس : يتلى وسفحون به .

ولأنه اشتمل على بعض معجزاته الآخر : كانشقاق القمر المذكور في قوله تعالى : { اقتربت الساعة وانشق القمر }¹ ، وكقصص الإسراء

المذكورة في قوله تعالى : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى }² ، وغير ذلك .

وقولنا في النظم (معجز البشر) أي معسرهم عاجزين عن معارضته ، والإنبان بمنته . لقوله تعالى : { قل لن اجتماع الناس والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لايتأون بمنته ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً } أ - هـ³ .

[فوائد أربعة في بيان المعجزات]

[الفائدة الأولى : في بيان بعض معجزاته - صلى الله عليه وسلم -

اعلم أن معجزاته - صلى الله عليه وسلم - بعضها حسية ، وبعضها عقلية ، فأما الحسية فكثيرة : منها انشقاق القمر ، ومنها رد عين قتادة بن النعمان⁴ فقد أصبغت عينه في غزوة أحد حتى وقعت على وجهه فردها النبي - صلى الله عليه وسلم - فصارت أحسن عييه وأحدهما نظرا ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى شرب منه قوم كثيرون ، ومنها حنين الجذع الذي كان يخطب عليه في المسجد ، حين انتقل عنه إلى المنبر ، ومنها غير ذلك⁵ .

وأما العقلية : فكثيرة أيضا : منها الإسراء والمعراج ، ومنها القرآن ومنها غير ذلك .

1 - الإسراء : 1 .

2 - الإسراء : 82 .

3 - قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن الأوس الطفري الأنصاري ، شهد بدرًا والشفاء كلها ، وأصبغت عينه يوم بدر ، وأقبل يوم الخندق ، فسألت حنظلة فزارها فطعها ، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقام حنظلة يده حتى وضعها في موضعها ، ثم طعها براحته ، وقال : { اللهم اكشفها جعلاً } فبانت وأبها لأحسن عينيه ، وما مرصت بعد ، توفي سنة 23 هجرية ، الأسديت في معرفة

الأصحاب ، لأن عبد الله ، المصدر السابق ، ترجمة رقم 1124 ، ص 608 - 609 .

4 - المزيد من المعلومات حول معجزاته صلى الله عليه وسلم تراجع : فصل انشقاق القمر وحنين الشجر وفصل نبع الماء من بينه أصابعه وتكرره بركته ، وفضة حنين الجذع إليه ، وغيرها من المعجزات ، كتاب الشفاء للعبد عبد الله ، المصدر السابق ، ص 1 / 306 - 280 .

[معجزة القرآن الكريم]

الفائدة الثانية : في بيان أن القرآن معجز .

اعلم أن القرآن الكريم : هو اللفظ العربي المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - المنقول إلينا بالتواتر ، المنعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه للإعجاز ، وهو دستور سماوي خالد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه (ص 110) ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وهو أعظم المعجزات وأشهرها وأقواها في الدلالة على صدق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوى الرسالة : لأنه تحدى به العرب ، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، فعجزوا عن معارضته والبيان بمثل شيء منه ، فيكون معجزا ودالا على أن محمدا رسول الله حقا .

وأما كونه تحدى به العرب : فقد تواتر تواترا لا سبيل إلى إنكاره وآيات التحدي في القرآن كثيرة ، وأما كونهم عجزوا عن معارضته فلاهم لو قدروا على المعارضة : لعارضوا ، ولو عارضوا لاشتهرت معارضتهم ، ونقلت إلينا ، لكنها لم تنقل ، فلم يعارضوا ، وثبت عجزهم .

وقد سلك النبي - صلى الله عليه وسلم - في تحدي العرب بالقرآن طريقة التدلي ، فطلب منهم أن يأتيوا بمثل هذا القرآن ، فعجزوا فطلب منهم أن يأتيوا بعشر سور مثله ، فعجزوا ، فطلب منهم أن يأتيوا بسورة مثله ، فعجزوا ، ورجعوا خائنين .

أليس في ظهور هذا القرآن الكريم على لسان أمي أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من قول البشر ، وإنما هو وضع إلهي ووحي سماوي ، والمبعوث به نبي مرسل من رب العالمين .

الفائدة الثالثة : في بيان أن القرآن معجزة خالدة .

اعلم أن القرآن معجزة دائمة مستمرة ، لا يمكن لمخلوق في كل زمان ومكان أن يأتي بمثل شيء منه : فهو دائم الإعجاز لجميع الخلق ، يدل على ذلك أمران :-

الأول : أنه نزل في عصر انقفت فيه الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى العصور عند العرب ، وأغزرها مادة في الفصاحة والبلاغة ، وقد حاولوا أن يأتيوا بمثل شيء منه فعجزوا ، وإذا عجز العرب الذين هم أرباب الفصاحة والبلاغة ، كان غيرهم أشد عجزا .

الثاني : قوله تعالى : { قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا } أهـ فإنه يدل على عجز جميع الخلق عن معارضته ، ولذلك كان معجزة خالدة .

[بيان فيما يكون إعجاز القرآن]

الفائدة الرابعة : في بيان جهة إعجاز القرآن .

اعلم أن الجهات التي من أجلها كان القرآن معجزا كثيرة ، منها أنه اشتمل على الفصاحة (ص 111) والبلاغة ، ووصل فيهما إلى الحد الخارج عن طوق البشر ، وإلى الدرجة العليا التي لم تعهد في تراكيب العرب ، ولذلك قصرت عنه درجات بلاغتهم ، حتى أنهم كانوا يطربون لسماعه .

ومنها أنه أخبر بمغيبات صدقتها حوادث الكون ، ومنها أنه شرع للناس أحكاما تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة من العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة وعظمت المضرة في إهمالها ، والانحراف عنها .

ومنها : أنه جاء فيه من الحكم والمواعظ والآداب ما تخشع له الغلوب وتبعت وراءه الهمم .

[الإيمان بالملائكة وأدلته]

ولما فرغ من بيان الإيمان بالأنبياء ، وما لحق به من بيان خصائصه ، وخبر معجزاته ، شرعت في بيان العقيدة الثانية من العقائد السمعية : وهي : الإيمان بالملائكة .

فقلت :-

(74) كَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ * تَفْصِيلُ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ لَنْ تَرَكَهُ

(75) وَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ جِبْرَائِيلُ * مِيكَالُ إِسْرَافِيلُ عَزْرَائِيلُ

(76) ثُمَّ رُفَيْدٌ وَعَبْدٌ وَكَبِيرٌ * وَمُنْكَرٌ مَالِكٌ وَرِضْوَانٌ الشَّهِيرُ

والمعنى : أن الإيمان بالملائكة أمر واجب ، كذلك أن الإيمان بالأنبياء ، وهو العقيدة الثانية من العقائد السمعية التي ثبتت بالنصوص الشرعية ، وكان ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع ، وأدلتها من الكتاب كثيرة :-

منها : قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله }¹ وقوله تعالى : { ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا }²

ومن السنة كسرة أيضا : منها قوله - صلى الله عليه وسلم (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، الخ)³ .

¹ - البقرة : 285 .

² - النساء : 135 .

³ - الحديث سبق تاريخه ، من 25 .

ومن الإجماع : اتفاق علماء الأمة على وجوب الإيمان بهم ، واشتهر بين الناس حتى اشترك في علمه الخاص والعام ، وصار معلوما من الدين بالضرورة .

وحينئذ فهو من الواجب الشرعي وجوب الأصول الذي ينصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره (ص 112) بالكفر ، لأنه أنكر ما أجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه من قبيل الاعتماد لا من قبيل المعرفة .

[وصف الملائكة وطبيعتهم]

والملائكة أجسام نورانية لطيفة ، لهم قدرة على الشكل بالأشكال الحسنة فقط ، ولا تحكم عليهم الصورة ، مسكن غالبيتهم السماء ومنهم من يسكن الأرض ، يسبحون الليل والنهار ، لا يقفرون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، فلا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتأمنون ، ولا يتكاحون ، ولا يتوالدون .

ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ولا بختونة ، فمن وصفهم بذكورة فسق ، ومن وصفهم بأنوثة كفر ، لقوله تعالى : { وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا }¹ وأولى بالكفر من وصفهم بالختونة لمزيد التنقيص ، وهم خلق كثيرون ، لا يعلم عددهم إلا الله ، لقوله تعالى : { وما يعلم جنود ربك إلا هو }² .

ولذلك نص العلماء على أن المطلوب من المكلف : الإيمان بهم إجمالا ، ولا يجب عليه على سبيل التفصيل إلا عشرة منهم ، وهم الذين ثبت تعيينهم بالشخص في القرآن والحديث ، ولذلك قلت في النظم :-

تفصيل عشرة منهمو لن تتركه ، وهم على الترتيب جبرائيل الخ ،
وها أنا أشرحهم على الترتيب :-

¹ - الزخرف : 18 .

² - العنكبوت : 31 .

[بيان أسماء الملائكة الواجب معرفتهم]

واقول : أولهم جبرائيل - بهمز مكسورة ممدودة بعد مد الراء
المقصوحة - ويقال له : جبريل بدون ألف ولا همزة ، والوجه الأول هو
المتعين هنا في النظم ، لأجل الوزن .

وثانيهم ميكائيل - بهمز وياء بعد الكاف الممدودة - ويقال له
ميكال بإسقاط الهمز والياء ، والوجه الأخير هو المتعين هنا في النظم
لأجل الوزن .

وثالثهم إسرافيل - ورابعهم عزرائيل - وهؤلاء الأربعة هم الملائكة
المقربون ، والسفراء المؤمنون - بصيغة اسم المفعول - ويقال لهم
وزراء الرحمن .

وخامسهم رقيب ، وسادسهم عتيد ، وهما الكاتبان ، وسابعهم منكر
وثامنهم نكير ، وهما السائلان ، وتاسعهم مالك - بدون تنوين لضرورة
الوزن - وعاشرهم رضوان : وهما الخازنان ، الأول خازن النار والثاني
خازن الجنة ، و (الشهر) نعت لرضوان - وهو فعيل بمعنى مفعول -
لأنه مشهور عند الناس .

[الإيمان بالكتب السماوية]

ولما فرغت من بيان الإيمان بالملائكة ، شرعت في بيان العقيدة
الثالثة من العقائد السمعية ، وهي الإيمان بالكتب السماوية .

فقلت :-

(77) وَيَرْزُلُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةَ * تَفْصِيلُ أَرْبَعِ أَتَى عَلَاتِيَه

(78) تَوْرَاهُ مُوسَى وَزَبُورُ دَاوُدَا * وَأَنْجِيلُ عِيسَى وَقُرْآنُ أَحْمَدَا

(ص113)

قولنا (ويرزول) متعلق بمحذوف ، دل عليه ما قبله ، تقديره الإيمان
بترزول الكتب ، إلخ . و (السماوية) بخفيف ياء النسب لضرورة الوزن
و (داود) بواو واحدة على لغة ، لأجل الوزن ، و (قرآن) بإسقاط
الهمزة بعد نقل حركتها بالراء الساكنة قبلها ، لأجل الوزن ، وهو لغة
قرأ بها ورش (1) عن نافع ، و (أحمد) اسم من أسماء نبينا محمد -
صلى الله عليه وسلم - .

[حكم الإيمان بالكتب السماوية]

والمعنى أن الإيمان بترزول الكتب السماوية أمر واجب كذلك ، ويلزم
من الإيمان بترزولها : الإيمان بها أيضا ، وهو العقيدة الثالثة من العقائد
السمعية التي ثبتت بالنصوص الشرعية ، وجاء تبويبها بالكتاب والسنة
والإجماع ، وعلمت من الدين بالضرورة ، وأدلت من الكتاب كثيرة : منها
قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله }¹ .

ومن السنة كثيرة أيضا ، منها قوله - صلى الله عليه وسلم -
{ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، إلخ }²
ودليله من الإجماع اتفاق علماء الأمة على وجوب الإيمان بترزولها
والدليل على علمه من الدين بالضرورة : إشتهاره بين الناس حتى
اشترك في علمه الخاص والعام .

وحينئذ فهو من الواجب الشرعي ، وجوب الأصول الذي يتصف من
اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، لأنه أنكر ما أجمعت عليه الأمة
وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه من باب الاعتقاد لا من باب المعرفة .

¹ - البقرة : 285 .

² - الحديث متفق عليه .

[عدد الكتب السماوية المنزلة]

وقد اختلف الروايات في عدد الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه والأصح أنها مائة وأربعة : أما مائة فهي صحف نزل منها خمسون على شيث ، وثلاثون على إدريس ، وعشرة على إبراهيم الخليل ، وعشرة اختلف فيمن نزلت عليه ، والأصح أنها نزلت على موسى قبل التوراة بدليل قوله تعالى : { إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى }¹ . وهي التي سماها المولى بالالواح في قوله تعالى { وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه } الخ ،²

وأما أربعة : فهي الكتب الأربعة المشهورة ، وهي التوراة التي نزلت على موسى ، والزبور الذي نزل على داوود ، والإنجيل الذي نزل على عيسى ، والفرقان الذي نزل على نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - (ص 114)

ولذلك نص العلماء على أن المطلوب من المكلف الإيمان بالكتب السماوية إجمالاً ، ولا يجب عليه منها على سبيل التفصيل إلا الأربعة التي ذكرها الله في كتابه العزيز بأسمائها المخصوصة .

وقد اجتمعت منها ثلاثة في قوله تعالى : { وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان }³ ، وانفرد منها واحد في قوله تعالى : { وآتينا داوود زبوراً }⁴ وبالجملة فالكتب إنما نزلت على بعض الرسل ، وكل من لم ينزل عليه كتاب : فهو مبعوث بشريعة من قبله ، بدليل قوله تعالى : { إن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها السيون } الآية⁵ .

¹ - الأعراف : 18 - 19 .
² - الأعراف : 150 .
³ - آل عمران : 2 - 3 .
⁴ - النساء : 163 .
⁵ - العنكبوت : 44 .

[الإيمان باليوم الآخر]

ولما قرعنت من بيان الإيمان بالكتب السماوية شرعنت في بيان العقيدة الرابعة من العقائد السمعية ، وهي الإيمان باليوم الآخر فقلت :-

(79) وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَفِيهِ قُضِيََتْ * عَشْرَةٌ لَدَى الْكِتَابِ سَمِعَتْ

(80) وَهِيَ النَّشُورُ وَالْحَشْرُ وَالْحِسَابُ * كَذَلِكَ النَّوَابُ وَالْعِقَابُ

(81) ثُمَّ الصَّرَاطُ وَكَذَا السَّمِيرَاتُ * وَالْخَوْضُ وَالْتِيرَانُ وَالْجَنَاتُ

قولنا (واليوم) بالجر ، عطف على نزول الكتب ، والعامل في التابع هو العامل في المبتوع ، وحسبنا فهو مجرور بالباء الخارة للمعطوف عليه . وقد تقدم أنها متعلقة بمحذوف تقديره الإيمان بنزول الكتب ، أي باليوم الآخر ، و (الآخر) نعت لليوم ، ويتعين في الآخر إسقاط الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الساكنة قبلها لأجل الوزن ، وهو لغة لبعض العرب قرأ بها ورش عن نافع ، و (لدى) بمعنى في على حد قوله تعالى { إذ القلوب لدى الحناجر }¹ .

[حكم الإيمان باليوم الآخر]

والمعنى أن الإيمان باليوم الآخر أمر واجب أيضاً ، وهو العقيدة الرابعة من العقائد السمعية التي ثبتت بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة .

أما أدلته من الكتاب والسنة فهي كثيرة ، وقد تقدم بعضها في شرح العقائد الثلاثة التي قبله ، وأما دليله من الإجماع : فهو اتفاق علماء الإسلام على ثبوت البعث بعد الموت ، وأما الدليل على أنه صار معلوماً من الدين بالضرورة ، فهو اشتهاؤه بين الناس حتى (ص 115) اشترك في علمه الخاص والعام .

¹ - غافر : 18 .

وحيث فالإيمان بالنوم الآخر من قبل الواجب الشرعي وجوب الأصول الذي يصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، لأنه أنكر ما أجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه من باب الاعتقاد لا من باب المعرفة .

وسمى اليوم الآخر : لأنه يأتي بعد أيام الدنيا ، وهو يوم القيامة وينفع فيه أمور كثيرة لا تحصى ، ولذلك نص العلماء على أن المطلوب من المكلف الإيمان به إجمالاً ، إلا عشرة من أموره فإنها تجب عليه على سبيل التفصيل ، وهي التي سميت في الكتاب العزيز ، أي ذكرها الله فيه باسمائها المخصوصة ، ولذلك قلت في النظم :-
(ومنه فصلت عشرة لدى الكتاب سميت)

[الإيمان التفصيلي بيوم القيامة]

1 - النشر .

أولها : النشر ، ويقال له النشر ، والمراد به البعث ، وهو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية ، وهو ممكن عقلاً ، وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة .

فيجب الإيمان به ، ويكفر من أنكره والدليل على إمكان البعث عقلاً : أن أجزاء الميت قابلة لإعادة والتأليف والحياة ، والله عالم بأجزاء كل بدن وقادر على إعادتها وتأليفها وإعادة روح الحياة إليها .

وحيث كان الأمر كذلك ، كان البعث ممكناً عقلاً ، والأدلة على وقوع البعث من الكتاب والسنة كثيرة ، منها قوله تعالى : { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا : قل بلى وربي لبعثن ثم لتسوفن بما عملتم وذلك على الله يسير }¹ وقوله تعالى : { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون

¹ - التغابن : 28 .

عليه }¹ وقوله تعالى : { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى }² وقوله تعالى : { وإن الله يبعث من في القبور }³ .

ومنها ما روي أن أبي بن خلف⁴ خاصم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأباه يعظم قد رمى قبله ، فقبضه وقتله ، وقال : يا محمد أتري أن هذا يحيى بعد ما رمى ؟ فقال - عليه السلام - { نعم ويعتلك ويدخل النار }⁵ .

2 - الحشر .

وبانتهما : الحشر ، وهو سوق الناس إلى أرض الموقف التي يقفون فيها لفصل القضاء ، وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة ، فيجب الإيمان به ، ويكفر من أنكره ، والأدلة على الحشر (ص 116) من الكتاب والسنة كثيرة .

منها قوله تعالى : { ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ويحشره يوم القيامة أعمى }⁶ وقوله : { وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا }⁷ وقوله - صلى الله عليه وسلم - : { يحشر المرء على ما مات عليه }⁸ .

¹ - الروم : 28 .

² - طه : 55 .

³ - الحج : 7 .

⁴ - أبي بن خلف ، من مشركي مكة قتله الرسول صلى الله عليه وسلم غلماً فاجده أبي في شعب مكة ، قصة مذكورة في تاريخ ابن هشام في السيرة ، ص 67 / 3 .

⁵ - القصة وردت في أساليب القرآن لسورة يونس في قوله تعالى : { أو تدبر الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين } يونس 77 ، وسبب الآية أن العاصي بن الربيع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعظم ربه ، فقال : يا محمد من يحيى هذا ؟ فقال : الذي جاء بالعلم أمية بن خلف ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : { الله يحييه ويميتك ثم يعيدك ويحشرك جهنم } التسهيل لعلوم التنزيل ، للعلامة الإمام محمد بن أحمد بن حنبل الغرناطي ، (741 هـ) أعني به (2) بعد الله الخالق ، ص 187 ، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم ، الطبعة والثلاث ، بيروت ، لبنان ، 1995 م .

⁶ - طه : 124 .

⁷ - الكهف : 47 .

⁸ - رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { يحشر كل عبد على ما مات عليه } حديث رقم 2878 ، كتاب الفقه ، ص 4 / 2206 .

3 - الحساب . وهو توقيف الله الناس على أعمالهم ، خيرا كانت أو رثا . الحساب ، تفصيلا بعد أخذهم كتبها ، وقد وردت به نورا . فولا كانت أو فعلا ، وأجمع عليه المسلمون ، وعلم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ويكفر من أنكره ، والأدلة عليه من الدين بالضرورة ، فيجب الإيمان به ، { إن الله سريع الحساب } 1 . الكتاب والسنة كثيرة : منها قوله تعالى : { فاسألوا الله عما كنتم تعملون } 2 وقوله تعالى : { فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ويقبلى إلى أهله متسورا } 3 وقوله - صلى الله عليه وسلم - : { خاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا } 4 .

ويكون لكل كافر ولكل مؤمن إلا من استثنى من المؤمنين : ففي الحديث الشريف : { يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا ليس عليهم حساب } فقبل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال : { استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفا : سبعين ألفا } فقبل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال : { استزدته ، فزادني في ثلاث خيرات بيده الكريمة } أه هـ والمراد بالثلاث : ثلاث دفعات من غير عدد ، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب .

وفد اختلف في توقيف الله الناس ؟ ، والراجح أن المراد به أن يكلمهم في شأنها ، وفي كيفية ما لها من الثواب ، وما عليها من العقاب ، فيسمع كلامه القديم ، وهذا الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة ، ولا يشغله محاسبة أحد عن أحد ، بل يحاسب الناس جميعا في وقت واحد حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده .

1 - آل عمران : 199 ، المائدة : 4 ، إبراهيم : 51 ، غافر : 17 .
2 - الانشقاق : 7 - 8 - 9 .

3 - لم ألق على هذا الحديث في مظانته مرفوعا ، ورواه ابن أبي شيبة عن عمرو بن الخطاب أنه قال في خطبته : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزادوا أنفسهم قبل أن قوزوا ، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية " المصنف ، المصدر السابق ، حديث رقم 35600 ، ص 19 / 143 ، وفي بقية المؤلفين عن الإمام البيهقي في حديثه على جوهرة التوحيد ، المسمى نسخة المريد على جوهرة التوحيد ، وقال إنه حديث ، المصدر السابق ،قرة 560 ، ص 260 .
4 - رواد الإمام الشافعي عن أبي أمامة ، وقال عنه : هذا حديث حسن غريب ، حديث رقم 2554 ، ص 45 / 4 ، وما رواه البيهقي عن عمرو بن حزم عن أبيه صلى الله عليه وسلم : أنه يغيب عنهم ثلاثا ، لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ، فقبل له في ذلك قال : { إن ربى - عز وجل - وعني أن يدخل من أمي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ، وإني سألت ربى في هذه الثلاثة الأيام للمزيد ، فوجدت ربى واجدا كريما ، فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا } قال : { قلت يا رب وتبلغ أمي هذا ؟ قال : أكمل لك العدد من الأعراب } حديث رقم 268 ، شعب الإيمان ، ص 202 - 203 / 1 .

وكيفية مختلفة ، فمنه اليسير ، ومنه العسير ، ومنه السر ومنه الجهر ومنه النويخ ، ومنه الفضل ، ومنه العدل ، وحكمته : إظهار تفاوت المراتب في الكمال ، وإظهار فضائح أهل النقص ، ففيه ترغيب في الحسنات ، وزجر عن ارتكاب السيئات .

4 - الثواب . 5 - العقاب . ورابعها : الثواب ، وخامسها العقاب : والمراد بهما الثواب والعقاب على ما قدمه المرء في الدنيا م الطاعات والمعاصي (ص 117) . وقد وردت بهما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأجمع عليهما المسلمون وعلماء الدين بالضرورة ، فيجب الإيمان [بهما] ويكفر من أنكرهما . والأدلة عليهما من الكتاب والسنة كثيرة ، منها : قوله تعالى : { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله ندخله جنتا تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله وينتد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين } 1 وقوله تعالى : { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره } 2 ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - { إن الله لا يظلم المؤمن حسنة } ، أه 3 .

وبالجملة فقد أمر الله المكلفين بالطاعات ، ووعدهم عليها بالثواب ونهاهم عن المعاصي ، وأوعدهم عليها بالعقاب ، والثواب فضل من الله وكرم ، والعقاب عدل من الله وجزاء .

6 - الصراط .

وسادسها : الصراط : وهو لغة الطريق الواضح ، وشرعا جسر ممدود على متن جهنم ، وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأجمع عليه المسلمون في الجملة ، بقطع النظر عن إيقانه على ظاهره ، وهو مذهب أهل السنة ، أو تأويله بالطريق إلى الجنة وإلى النار ، وهو مذهب المعتزلة .

1 - النساء : 13 - 14 .

2 - الزلزلة : 7 - 8 .

3 - رواد الإمام البيهقي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يكاتب عليها في الدنيا } . شعب الإيمان ، حديث رقم 279 ، ص 210 / 1 .

3 - الحساب . وهو توقيف الله الناس على أعمالهم ، خيرا كانت أو رثا . الحساب ، تفصيلا بعد أخذهم كتبها ، وقد وردت به نورا . فولا كانت أو فعلا ، وأجمع عليه المسلمون ، وعلم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ويكفر من أنكره ، والأدلة عليه من الدين بالضرورة ، فيجب الإيمان به ، { إن الله سريع الحساب }¹ الكتاب والسنة كثيرة : منها قوله تعالى : { فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ويقبل إلى أهله ميسورا }² وقوله - صلى الله عليه وسلم - : { خاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا }³ .

ويكون لكل كافر ولكل مؤمن إلا من استثنى من المؤمنين : ففي الحديث الشريف : { يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا ليس عليهم حساب } فقيل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال : { استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفا : سبعين ألفا } فقيل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال : { استزدته ، فزادني في ثلاث خيرات بيده الكريمة } أ هـ والمراد بالثلاث : ثلاث دفعات من غير عدد ، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب .

وفد اختلف في توقيف الله الناس ؟ ، والراجح أن المراد به أن يكلمهم في شأنها ، وفي كيفية ما لها من الثواب ، وما عليها من العقاب ، فيسمع كلامه القديم ، وهذا الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة ، ولا يشغله محاسبة أحد عن أحد ، بل يحاسب الناس جميعا في وقت واحد حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده .

1 - آل عمران : 199 ، المائدة : 4 ، إبراهيم : 51 ، غافر : 17 .
2 - الانشقاق : 7 - 8 - 9 .
3 - لم ألق على هذا الحديث في مظانته مرفوعا ، ورواه ابن أبي شيبة عن عمرو بن الخطاب أنه قال في خطبته : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزادوا أنفسهم قبل أن قوزوا ، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية " المصنف ، المصدر السابق ، حديث رقم 35600 ، ص 19 / 143 ، وفي بقية المؤلف عن الإمام البيهقي في حديثه على جوهرة التوحيد ، المسمى نسخة المريد على جوهرة التوحيد ، وقال إنه حديث ، المصدر السابق ،قرة 560 ص 260 .

4 - رواد الإمام الشافعي عن أبي أمامة ، وقال عنه : هذا حديث حسن غريب ، حديث رقم 2554 ، ص 45 / 4 ، وما رواه البيهقي عن عمرو بن حزم عن أبيه صلى الله عليه وسلم : أنه يغيب عنهم ثلاثا ، لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ، فقيل له في ذلك قال : { إن رأيي - عز وجل - وعني أن يدخل من أمي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ، وإنني سألت ربي في هذه الثلاثة الأيام للمزيد ، فوجدت ربي واجدا كريما ، فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا } قال : { قلت يا رب وتبلغ أممي هذا ؟ قال : أكمل لك العدد من الأعراب } حديث رقم 268 ، شعب الإيمان ، ص 202 - 203 / 1 .

وكيفية مختلفة ، فمنه اليسير ، ومنه العسير ، ومنه السر ومنه الجهر ومنه النويخ ، ومنه الفضل ، ومنه العدل ، وحكمته : إظهار تفاوت المراتب في الكمال ، وإظهار فضائح أهل النقص ، ففيه ترغيب في الحسنات ، وزجر عن ارتكاب السيئات .

4 - الثواب . 5 - العقاب . ورابعها : الثواب ، وخامسها العقاب : والمراد بهما الثواب والعقاب على ما قدمه المرء في الدنيا م الطاعات والمعاصي (ص 117) . وقد وردت بهما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأجمع عليهما المسلمون وعلماء الدين بالضرورة ، فيجب الإيمان [بهما] ويكفر من أنكرهما .

والأدلة عليهما من الكتاب والسنة كثيرة ، منها : قوله تعالى : { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله ندخله جنتا تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله وينتد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين }¹ وقوله تعالى : { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره }² ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - { إن الله لا يظلم المؤمن حسنة }³ ، أ هـ .

وبالجملة فقد أمر الله المكلفين بالطاعات ، ووعدهم عليها بالثواب ونهاهم عن المعاصي ، وأوعدهم عليها بالعقاب ، والثواب فضل من الله وكرم ، والعقاب عدل من الله وجزاء .

6 - الصراط .

وسادسها : الصراط : وهو لغة الطريق الواضح ، وشرعا جسر ممدود على متن جهنم ، وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأجمع عليه المسلمون في الجملة ، بقطع النظر عن إيقانه على ظاهره ، وهو مذهب أهل السنة ، أو تأويله بالطريق إلى الجنة وإلى النار ، وهو مذهب المعتزلة .

1 - النساء : 13 - 14 .

2 - الزلزلة : 7 - 8 .

3 - رواد الإمام البيهقي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يكاتب عليها في الدنيا } شعب الإيمان ، حديث رقم 279 ص 210 / 1 .

واشتهر حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة . فيجب الإيمان به
ويكفر من أنكره . وإلارته عليه من الكتاب والسنة كثيرة . منها قوله
تعالى : { واسمعوا للصراط } : وقوله - صلى الله عليه وسلم
{ يصرب الصراط بين طهراني جهنم . فأكون أنا وأمتي أول من يجوز }

أهـ :
ورده الكفار والمؤمنون حتى الأنبياء والصديقون . ومن يدخل الجنة
بغير حساب . وكلهم ساكنون إلا الأنبياء : فإنهم يقولون : { اللهم سلم
سلم } : والأصح أنه مختلف : فهو رفيق على قوم . وعريض على
آخرين . وليس مرور الناس عليه سواء . بل منهم السالم من الوقوع
في نار جهنم . ومنهم المتلف بالوقوع فيها . إما على الدوام والتأيد
وقم الكفار والمناقون . وإما إلى مده يردّها الله . ثم ينجون .

وقم بعض عصاة المؤمنين . ممن قضى الله عليهم بالعذاب
والعقوب الأول هم السالمون من السيئات . وكذلك أهل رجحان
الأعمال الصالحة ممن خصهم الله بسابقة (ص 118) الحسنى . لكن
بعضهم يجوزه كطرف العين . وبعضهم يجوزه كالبرق الخاطف
وبعضهم يجوزه كالريح العاصف . وبعضهم يجوزه كالطير الطائر
وبعضهم يجوزه كالخواد السابق . وبعضهم يجوزه مشياً . وبعضهم
يجوزه حواً .

وتفاوتهم في المرور عليه . يكون على حسب تفاوتهم في الإعراض
عن المحرمات . فمن كان أسرع إعراضاً عنها . كان أسرع مروراً على
الصراط . والحكمة في مرورهم عليه . ظهور النجاة من النار . وإن
يتخسر الكفار بنجاة المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور .⁴

86 - ج :
1 - روى الإمام البخاري في صحيحه . باب الصراط جبر جهنم . عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
حيث يقول { ... ويعتبر جبر جهنم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجوز . ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم
{ كتاب الرقاق (الصفحة الرابع) ص 1205 } .
2 - روى الإمام البخاري في كتاب الآذان . باب فضل السجود . عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال { ...
يقولون : أنت ربنا فندعوهم بالصراط بين طهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بآيته . ولا يتكلم يومئذ أحد إلا
الرب . وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ... } صحيح البخاري . المصدر السابق . ص 195 - 197 / 1 .
3 - يقول تيجان الأشباة الشكر : فتح بحث زكّام في وصف الصراط :

7 - الميزان .

وسايعها : الميزان : وهو آلة لوزن أعمال العباد . لكن اختلف في
حقيقتها . وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حتى بلغت
صلح النواير . وأجمعت عليه الأمة . وعلم من الدين بالضرورة . فيجب
الإيمان به . ويكفر من أنكره .

وأدله من الكتاب والسنة كثيرة : منها قوله تعالى : { وتضع الموازين
القسط ليوم القيام }¹ وقوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم
المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم }²
وقوله - صلى الله عليه وسلم - : { يوزن يوم القيامة مداد العلماء ومداد
الشهداء : فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء }³ .

وخفة الوزن وثقله على صورته في الدنيا . وقيل على عكس ذلك
فالتقليل يصعد إلى أعلى . والتخفيف ينزل إلى أسفل . لقوله تعالى
{ والعمل الصالح يرفعه }⁴ وهو ميزان واحد على الراجح . له قصة
وعمود . وكفتان . كل كفة أوسع من طباق السموات والأرض . وجبريل
أخذ بعموده . ناظراً إلى لسانه . وميكائيل أمّن عليه . ومحلّه بعد
الحساب . وعلى أنه ميزان واحد لجميع الأمم . وجميع الأعمال . يكون
الجمع في الآتين للعظيم . ولكن لا يكون الوزن في حق كل أحد
لأنه لا يكون للأنبياء . ولا للملائكة . ولا لمن يدخل الجنة بغير حساب
لأنه فرع الحساب . وهؤلاء لا حساب عليهم .

إلى الصراط وهو جبر جهنم * على من الحميم وأعط
السير فوقه السي السقف * من نار أو من حدة ويهر
يزنه جميع الأولسون * والآخرين حتى الصديقين
والأنبياء ومن لا حساب * للجنة يدخل من أي باب
مطلوبة خلاصة العقائد . المصدر السابق . ص 96 .

1 - الأنبياء : 47 .
2 - المؤمنون : 102 - 103 .
3 - روى ابن عبد البر عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء }
وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { للأنبياء على العلماء فضل درجتين . وللعلماء على
الشهداء فضل درجة . جامع بيان العلم وفضله . باب تفضيل العلماء على الشهداء . وما ينبغي في روايته وحسنه . للإمام العلامة أبي
عمر يوسف بن عبد البر المزني القرطبي . (ت 463 هـ) قدم له الأستاذ عبد الكريم الخطيب . ص 59 . دار الكتب الإسلامية .
القاهرة . مصر . الطبعة الثانية . 1402 هـ / 1982 م . روى الإمام السنخاوي في المقاعد الحسنة . المصدر السابق . حيث رقم
1005 . ص 383 - 384 .
4 - فاطر : 10 .

في الجنة ، أي يسكن له على ربوه ، أي محل مرتفع ، فقصص ربه وأنزله إلى بطن الوادي ، والدليل على خلوقهما قوله تعالى : { خالدين فيها ما دامت السموات والأرض }¹ والمراد بالسموات سقفيهما وبالارض أرضهما لا أرض الدنيا .

وأجمع المسلمون على أنه لا نفس الجنة ونعيمها وأهلها ، ولا نفس النار وعذابها وأهلها ، وسندهم في ذلك الكتاب والسنة : أما الكتاب فمنه في شأن المؤمنين قوله تعالى : { ويشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، وأنوا به متشابهها ، ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون }² .

وقوله تعالى أيضا : { لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم }³ ومنه في شأن الكافرين ، قوله تعالى : { إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية }⁴ وقوله تعالى أيضا : { لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك تجزي كل كفور }⁵ .

وأما السنة : فمنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار : نادى مناد بين الجنة والنار : يا أهل الجنة دار خلود بلا موت ، ويا أهل النار ، دار خلود بلا موت }⁶ أه⁷ ، فيزداد أهل الجنة فرحا على فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا على حزنهم .

[الإيمان بالقدر]

ثم شرعت (ص 121) في بيان العقيدة السمعية الخامسة وهي القدر .

- ¹ - مريم : 107 .
- ² - الفرق : 25 .
- ³ - النحل : 56 .
- ⁴ - الحديد : 6 .
- ⁵ - انفطار : 36 .

⁶ - رواه الإمام مسلم في صحيحه ، عن عبد الله بن عمر بإسناد : { ... } أي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يبعث ، ثم ينادي مناد : { كتاب الجنة وسعها نعيمها وأهلها ، حديث رقم 2850 ، ص 2189 / 4 ، وله زوايا أخرى .

فقلت :

- (82) وَبِحَبِّ الْإِيمَانِ أَيْضًا بِالْقَدَرِ * وَمَا اِحتَوَى عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَبِشَرِ
- (83) مِنْ حَبِّ إِنَّهُ لَدَى الْعِلْمِ سَبَقٌ * لَا حَيْثُ مَا اِكتَسَبَ فِي الْقَوْلِ الْآخِرِ
- (84) لِأَنَّهُ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ * بِكُلِّ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ الْحَكِيمِ
- (85) وَقُوْعُهُ مِنْ كَائِنٍ وَكَائِنَاتٍ * رَغْمَ أَنْوْفِ الْقَدَرِيَّةِ السُّفَاتِ

(لدى) في البيت الثاني : بمعنى (في) على حد قوله تعالى : { إذ القلوب لدى الحناجر }¹ أي في الحناجر ، و (اكتسب) ماض مشي للمجهول ، و (رغم) مصدر بمعنى اسم فاعل منصوب على الحال من فاعل لفعل محذوف ، والتقدير : أقول ذلك حالة كوني راغما لا يوق القدرة .

والمعنى أنه يجب الإيمان أيضا بالقدر - بفتح الدال - وبكل (ما احتوى) أي ، اشتمل عليه من خير وشر ، وهو العقيدة الخامسة من العقائد السمعية التي وردت بها النصوص الشرعية ، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومعلوم من الدين بالضرورة .

[الدليل على وجوب الإيمان بالقدر]

ودليله من الكتاب قوله تعالى : { إنا كل شئ خلقناه بقدر }² ومن السنة قوله - صلى الله عليه وسلم - : { ويؤمن بالقدر خيره وشره }³ الخ⁴ ومن الإجماع : اتفاق علماء الإسلام على وجوب الإيمان به والدليل على أنه صار معلوما من الدين بالضرورة : اشتهاؤه بين الناس

¹ - غافر : 18 .

² - القدر : 49 .

³ - الحديث سبق تخريجه .

حتى اشترك في علمه الخاص والعام ، فكلمهم يقولون : القدر يعلى
الحذر ! ويقولون أيضا : المقدر كائن ، وما أشبه ذلك .

[حكم الإيمان بالقدر]

وحين يكون الإيمان به من قبل ما يجب شرعا : وجوب الأصول
وهو الذي يصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، لأنه أنكر ما
أجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه من باب الاعتقاد
الذي يجب وجوب الأصول ، لا من باب المعرفة التي يجب وجوب
الفروع .

لكن ، قال العلامة السجوري في حاشيته على الجوهرة ، ما نصه :-
والإيمان بالقضاء والقدر يستدعي الرضى بهما ، فيجب الرضى بالقضاء
والقدر ، واستشكل² بأنه يلزم على ذلك الرضى بالكفر والمعاصي
لأن الله (ص 122) قضى بهما ، وقدرهما على من فعلهما ، مع أن
الرضى بالكفر كفر ، والمعاصي معصية ! .

وأجيب بما قاله السعد³ من أن الكفر والمعاصي مقضى ومقدر ، لا
قضاء وقدر ، والذي يجب الرضى به : إنما هو القضاء والقدر لا
المقضى والمقدر ، وفيه أنه لا معنى للرضى بالقضاء والقدر إلا الرضى
بالمقضى والمقدر .

والذي حققه الخالي⁴ في حاشيته : أن الكفر والمعاصي لهما
جهتان : جهة كونهما مقضيين ومقدرين لله ، وجهة كونهما مكسبين

¹ - قال تعالى : وما كان منكم من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وفي سورة النمل ،
قال ابن عباس : قال الله سبحانه وتعالى على الماء : إن كان بارحا فلا عليه قطر . له الماء في كل يوم الأرض كما
يرى الإنسان الشيء الساقط على وجه الأرض ، ويعرف كم مسطرة بعد من وجه الأرض ، فكان في المظهر نافع من الأرض ، وقال
له : الكفر من هذا ، أنه يرى الماء في يوم الأرض ، وأن المصطفى لم يصب له الحدة في ذلك فحينئذ ، قال ابن عباس : ويحك إنه
قال قول الله عز وجل : وما كان منكم من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم .

² - نقل محقق كتاب حاشية السجوري على جوهرة التوحيد بولته - (هذا الإشكال غير ظاهر ، لأن الرضا بالقضاء غير الرضا
بالمقضى ، والرضا بالرضا بالقضاء والقدر لا يعرض على الله في فعله وقدره ، ويعتقد أنه لم يقض ، وإن كان لا يعلمها
، وذلك يمنع من الرضا بالمقضى والمقدر بل يعرض على الكافر في اختياره الكفر والتكذيب له ، لهذا الجواب عند التأمل هو عين
جواب الخالي الأبي ، فافهم لا سيما غير ظاهرة ، ص 187 هامش رقم (1) .

³ - السعد : الإمام سعد الدين بن مسعود الهروي الخراساني العلامة الفقيه الأديب المتفاني الشهير بالفتاوى ، له مؤلفات كثيرة في
التفسير والحديث والفقه وغيرها ، توفي بمصر سنة 792 هـ ، فيه التراجم المصدر السابق ، ص 429-430 .

⁴ - هو أحمد بن موسى الشهير بالهالي ، تلميذ الشيخ الرومي الهلي ، له عدة مؤلفات منها جاشية على شرح السعد على الشفا
الشفية ، توفي سنة 870 هـ ، فيه التراجم ، المصدر السابق ، ص 132 .

للخبر ، فيجب الرضى بهما من الجهة الأولى لا من الجهة الثانية ، انتهى
بجوري¹ .

[رأي المؤلف في تحقيق الإيمان بالقدر]

ولذلك اخترت في هذا النظم ما حققه الخالي ، حيث قلت :-
(من حيث أنه لدى العلم سبق .. إلخ)

أي إنما يجب الإيمان بالقدر من حيث إنه سبق في علم الله ، لا من
حيث إنه اكتسب ، أي أوقعه العبد بكسبه واختياره في القول اللاحق
أي الأرجح في النظر .²

ثم عللت وجوب الإيمان بالقدر بقولي :-

(لأنه تعلق العلم القديم .. إلخ)

أي إنما وجب الإيمان بالقدر ، لأنه تعلق العلم التجريبي القديم بكل
ما سبق في علم المولى الحكيم وقوعه ، من كائن وكائنات ، وهذا
التعليل يدل على أن القدر يرجع لتعلق العلم بالكائنات قبل وجودها
لا لتعلق القدرة بوجودها ، خلافاً للاجهوري ومن تبعه ، وكون القدر
يرجع لتعلق العلم لا لتعلق القدرة هو مذهب الماتريدية ، فقد نقل
عنه أنهم عرفوا القدر : بأنه علم الله أزلا بجميع الكائنات وأحوالها
التي تكون عليها حال وجودها ، وهو معنى قولنا في هذا النظم :-

(لأنه تعلق العلم القديم بكل ما سبق في علم الحكيم .. إلخ) .

وإنما اخترت مذهب الماتريدية لأنه صريح في كون المولى - عز
وجل - يعلم الكائنات قبل وجودها إجمالا وتفصيلا ، وهو المراد من
عقيدة القدر : لأن أهل السنة إنما صرحوا بها للرد على القدرة الذين

¹ - خاتمة الإمام السجوري على جوهرة التوحيد ، المصدر السابق ، فقرة 355 ص 187 .
² - يفتي أن الشيخ محمد صالح قريع (المؤلف) لا يتفق مع محقق كتاب حاشية الجوهري على جوهرة التوحيد ، ولا مع قول السيد
الذكور ، ويرجع قول الخالي في أن الكفر والمعاصي لهما جهتان ، كونهما مقضيين ملادين لله ، وجهتا كونهما مكسبين لله
لرضا لهما من الجهة الأولى لا من الثانية ، فالأول يتصل في العقيدة ، أي الإيمان بما قدره الله ، والثاني لا يتصل على الرضا
بالعلم المخالف للشرعية الإسلامية ، والله أعلم .

خاصاً في القدر والقوا في نفيه حتى قالوا : لا قدر والأمر أتف ، أي لا علم لله بالكائنات قبل وجودها ، وإنما يستأنف علمها حال إيجادها (ص 123) ولذلك قلت : - (رعم أنوف القدرية النفاة)

[بيان طائفة القدرية وعقيدتهم]

أي أقول : القدر هو علق العلم القديم بكل ما سبق في علم الله وقوعه من الكائنات ، حالة كوني راعياً أنوف طائفة القدرية (المنفات) أي الذين نفوا القدر بقولهم (لا قدر والأمر أتف) وسبوا لله الجهل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .¹

والنفاة : جمع ناف ، كفاض وقضاة ، وغار وغزاة ، وزام وزماة ولقبوا بالقدرية لخصوصهم في القدر ومبالغتهم في نفيه ، ولا يقال منبت القدر أحق بنسبه إليه ، لأننا نقول : كما يصح أن ينسب منبه إليه ، كذلك يصح أن ينسب إليه نافية إذا بالغ في نفيه .

وهؤلاء انفرصوا من قبل نشأة الإمام الشافعي² - رحمه الله - وأما القدرية الذين ينسبون أفعال العباد إلى قدرهم مع إطباقهم على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها ، فقد تقدم الرد عليهم فيما سبق بقولنا : - (فلم يكن يخلق إلا الرب ، إلخ) ، وهم المعتزلة لأنهم يسمون بالقدرية أيضاً .

1 - القدرية هم دعاة القدر ، الذين يقولون : لا قدر والأمر أتف ، أي مستأنف ، وهذا نفى لعلم الله تعالى السابق ، واستعان الله لا يعلم إلا بعد حدوثها ، وهذا قول على الضلال وهو كفر بالله تعالى ، وتكذيب للمعلوم من الدين بالضرورة ، والمجاهد الصحيح الذي تناقروا عليه أشك الكتاب والسنن أثبات علم الله تعالى السابق ، وأنه كتب مقادير الخلائق جميعاً قبل أن يخلقهم ، وأنه لا يقع في كونه إلا ما شاء وأراد ، قال تعالى : (إذا قلتم شيء خلقهم بقدر) القمر : 49 " مركز القوى ، إسلام ويب ، القدرية عليهم وآراء عليهم ، شبكة المعلومات الدولية ، 2016/10/6 م . وجاء في بيان من يؤيد عن حقيقة قول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أمة مجبورين ، وسبوا هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ، من مذهبهم فلا تشبهوا أهلهم ، ومن مذهبهم فلا تعزلوهم ، وهم شعبة التجادل ، وحق على الله أن يطلعهم بالتجادل) عن أبي داود ، بإسناد صحيح في دواء سليمان بن الأشعث المصنف في الأثر ، كتاب السنة ، حديث رقم 4660 ، ص 221 / 4 - قال الربيع الثوري ، وفار الحديث ، القاهرة ، 1408 هـ / 1988 م .

2 - يمسى بن جويرين العجلي بن عثمان بن شافع القرظي ، شافعي المجازي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وأبوه شافع الشافعي ، وقد تفرع له من قبل إلى منهج أبي حنيفة ومعتزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق لثقله ، وبعد مصرته مؤلفات - تولى سنة 304 هـ ، معجم المؤرخين ، المصدر السابق ، ص 32 / 9 .

ومن هنا تعلم أن القدرية : قديمتان ، الأولى : وهي التي تنكر علم الله بالإنشاء قبل وقوعها ، وثانية : وهي التي تنسب أفعال العباد إلى قدرهم ، ومذهب الثانية وإن كان باطلاً ، إلا أنه أخف من مذهب الأولى ، لأن مذهب الأولى كفر ، حيث نسبت إلى الله الجهل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

[الإيمان بالقضاء]

تم شرعت في بيان عقيدة القضاء :

قلت :

- (86) كَذَلِكَ يَقْضِي الَّذِي الرَّبُّ حَكَمَ * وَخَطَّةَ لَبْدَى النَّوْحِ الْعَلَمِ
- (87) لِأَنَّهُ إِرَادَةُ اللَّهِ الْعَلِيِّ * مَعَ التَّعَلُّقِ الْقَدِيمِ الْأَرِيِّ
- (88) لَهَا يَخْصِصُ الَّذِي قَدْ سَبَقَ * فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ تَكُونُ مُطْلَقًا

(كذا) (الكاف للتسبيه ، والجار والمجرور متعلق بوصف لمصدر محذوف ، و (القضاء) في النظم مقصور لصرفه الوزن ، ومعلقه - بقع اللام - محذوف أيضاً .

والمعنى : أنه يجب الإيمان بالقضاء ، كما وجب بالقدر الذي تقدم ذكره ، ولما كان القضاء في اللغة يطلق على معان مختلفة ، منها الحكم ، ومنها الصنع ، كما في المختار والقاموس¹ والمراد هنا الأول على الأصح خلافاً (ص 124) لصاحب المختار² قلت :

(كذا) (القضاء الذي الرب حكم به ، إلخ)

1 - جاء في ترتيب القاموس المحقق : القضاء : والقصر : الحكم ، فخصي عليه بقضي قضيا ، وقضاء وقضيه - وهي الأسماء - وأصح وأتم وأبين ، والقاضية : التولية ، مادة (ق) من ي ، المختار السابق ، ص 642 / 3 .
2 - جاء في مختار الصحاح شرح معاني أبي بكر بن عبد القادر القرظي : القضاء - الحكم والعمير ، والقاضية والقاضي - القضاء ، وكان بعض الصنيع والتقدير ، مادة (ق) من ي ، ص 264 ، تحقيق أحمد إبراهيم زهرة ، دار الكتاب العربي .

أي (كذلك) يجب الإيمان بالقضاء الذي حكم الرب به على عباده وخطه لدى اللوح : أي في اللوح المحفوظ (العلم) أي فلم القدرة الإلهية . وهو العقيدة السادسة من العقائد السبعية التي وردت بها النصوص الشرعية ، بل هو آخر عقائد التوحيد .

[حكم الإيمان بالقضاء]

وهو واجب بالكتاب والسنة والإجماع ، ومعلوم من الدين بالضرورة ودليله من الكتاب قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)¹ ومن السنة قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي عن رب العزة : (من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي ، فليطلب ريا سواني)² ومن الإجماع اتفاق علماء الإسلام على وجوب الإيمان به والدليل على علمه بالضرورة - أي بالبداهة - اشتهاؤه بين الناس حتى اشترك في علمه الخاص والعام .

وحسنه فهو من الواجب بالشرع ؛ وجوب الأصول . وهو الذي ينصف من اعتقده بالإيمان ، ومن أنكره بالكفر ، لأنه أنكر ما أجمعت عليه الأمة ، وعلم من الدين بالضرورة ، ولأنه من باب الإيمان الذي يجب وجوب الأصول لا من باب المعرفة التي تجب وجوب الفروع - كما تقدم - في هذا الشرح غير مرة .

ثم عللت وجوب الإيمان بالقضاء بقولي :-

(لأنه إرادة الله العلي ، الخ)

أي إنما وجب الإيمان بالقضاء ؛ لأنه إرادة الله العلي القدير ، مع تعلفها التجيزي القديم الأزلي ، بتخصيص الممكن الذي سبق في علم الله أنه يكون مطلقاً ؛ سواء كان خيراً أو شراً ، وهذا التعليل يدل على أن القضاء يرجع لتعلق الإرادة التجيزي القديم لا لتعلق العلم ، لأن

¹ - الإبراهيم 23 .

² - لم ألق عليه فيما بين يدي من المصادر ، وفي سلسلة الأحاديث المشعقة والموسوعة للشوخ الألباني ، قال عنه : حديث صحيح جداً ، حيث رقم 505 ، شبكة المطبوعات الدولية .

تعلفه يسمى قدراً - كما تقدم - ولا لتعلق القدرة التجيزي الحادث لأن تعلفها يسمى إيجاداً وخلقاً لا قضاء ، خلافاً لمن قال بذلك .

وكون القضاء يرجع لتعلق الإرادة لا لتعلق العلم ، ولا لتعلق القدرة ، هو مذهب الأشاعرة ، فقد نفل عنهم أنهم عرقوا القضاء بأنه إرادة الله أزلاً للكانات على ما تكون عليه فيما لا يزال ، وهو معنى قولنا في هذا النظم :-

(لأنه إرادة الله العلي مع التعلق القديم الأزلي لها بتخصيص ، الخ)

(ص 125) وإنما اخترت في القضاء مذهب الأشاعرة دون مذهب الماتريدية ؛ لأنه صريح في كون الإرادة تتعلق بالكانات قبل وجودها وتخصيصها على وفق علمه ؛ وهو المراد من عقيدة القضاء لأهل السنة .

إنما صرحوا بها للرد على المعتزلة في قولهم : إن الإرادة تخصص على وفق الأمر لا على وفق العلم ، وفي قولهم : إن الله لا يريد الشرور والقيائح .

[الماتريدية والأشاعرة من أهل السنة]

(فإن قلت) : قد لفقت في القدر والقضاء حيث اخترت في القدر مذهب الماتريدية ؛ وفي القضاء مذهب الأشاعرة ؟ !

(قلت) : ليس في كلامنا تليفق أصلاً ؛ لأن مذهبنا في العقائد هو مذهب أهل السنة ، والماتريدية والأشاعرة كلاهما من أهل السنة ومنزلهم في مذهب أهل السنة ؛ كمنزلة البصريين والكوفيين في مذهب أهل النحو .

ولا يخفى على أحد أن ابن مالك¹ لما نظم الألفية في النحو جرى فيها تارة على مذهب البصريين ، وتارة على مذهب الكوفيين

¹ - محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأنطلي ، نحوي ، لغوي ، فري ، مغربي ، مشارك في الله والأصول والخصب ، له تصانيف كثيرة له في النحو مشهورة ، توفي بدمشق سنة 672 هـ ، معجم المؤلفين ، المصدر السابق ، ص 234 / 235 .

ولم يعب ذلك أحد عليه ، لأن مذهب البصريين ومذهب الكوفيين يرجعان لمذهب واحد ، وهو مذهب أهل النخوة ، وكذلك مذهب المنازعية ومذهب الإباضية يرجعان لمذهب واحد ، وهو مذهب أهل السنة .²

تنبيه [بيان المؤلف في شرح السمعية]

قد جرت عادة المؤلفين بذكر السمعية من غير اصدارها وبالاقتصار على السنة التي ذكرناها ، وجعل ما وجب منها تفصيلاً داخلها ، فبعدهم الإيمان بالرسول الخمس والعشرين داخل في عموم الإيمان بالأنبياء ، والإيمان بالملائكة العشرة داخل في عموم الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب الأربعة داخل في عموم الإيمان بالكتب السماوية ، والإيمان بالأمور العشرة المعينة من اليوم الآخر داخل في عموم الإيمان باليوم الآخر ، وكل ما سبق في علم الله داخل في عموم الإيمان بالقدر .

وحينئذ تكون جملة السمعية ستة فقط ، وقد تقدم أن السويات عشرة والإلهيات خمسون ، فالحملة ست وستون (ص 126) عقيدة هذا ما درسناه وفهمناه ونقلناه عن أسلافنا - رحمهم الله - .

خاتمة في اندراج العقائد تحت الشهادات

(89) وكل ما قدمته بحويه * معنى الشهادات فأرغب فيه

(90) فإنه شرط لنفع من نطق * بكلمة الإخلاص في القول الآخر

(91) ولو على الإجمال في العبادة * وفي اعتناق الدين خذ إقادة

1 - راجع شرح السبكي على الآية أن ملك السمعي الجهة المرجوة ، دراسة ونطق على سعة التنبؤ ، بشر كلمة الدعوة الإسلامية ، حرر في : ليبيا ، المسيلة لثروة 17 ، ثقافة الإقليم .
2 - يقول العلامة الأستاذ محمد مهدي الدين بعد التمهيد في مقدمة كلمة التصديق في تصديق : " يكون من بني قراء التوراة (كتاب لوط) يشتمل على مائة الف مسائل الخلافية بين النجوى والصحة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة " التصديق في مسائل الخلاف بين النجوى : المصنفين : الكوفيين ، للشيخ الإمام كما سبق أبو البركات عبد الرحمن الأندلسي الشافعي ، دار الخلافة ، مكتبة الشافعي للنشر ، قرطاج ، 2003 .

لما فرغت من بيان العقائد على سبيل التفصيل ، شرعت في إعادة ذكرها على سبيل الإجمال فقلت : (وكل ما قدمته بحويه ، إلخ) أي كل ما قدمته من العقائد بحويه - أي بضمه ويجمعه - معنى الشهادات ونقما : -

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وحين كان معنى الشهادات جامعاً ، لذلك فأرغب فيه ، أي اجتهد في تحصيله ، لأنهم نصوا على أنه شرط صحة ، لنفع كل من نطق بكلمة الإخلاص ، (في القول الآخر) الذي عليه النقول عند أهل العلم ، وقد قال الشيخ مبارزة في شرحه على قول صاحب المرشد المعنى : -

قواعد الإسلام خمس وأحاديث * وهن الشهادات شرط الأقبال مانصه - -

القاعدة الأولى : الشهادات ، أي النطق بهما مع فهم معانيهما ولو على جهة الإجمال ، وقال العلامة السجوري في حاشيته على الجواهر : قد نص العلماء على أنه لا بد من فهم معانيهما ولو إجمالاً والا لم يقع النطق بهما . أ - هـ : وقال العلامة الدسوقي في حاشيته على أم المراهقين : فإذا ذكرها ولم يعرف معناها : فلا نواب له أصلاً . أ - هـ .³

فتحصل من كلامهم : أن فهم المعنى شرط فيها ، لكنهم حققوا فيه فجعلوا فهم المعنى الإجمالي كافياً ، كان يفهم الناطق بها أنها تدل على أن الله إله واحد ، وأن محمداً رسوله ، مع اعتقاد ذلك بالقلب

1 - مختصر ذكر الشرح والتميز : المعنى : على منظومة المرتبة المعنى ، للشيخ مبارزة ، مختصر سابق ، ص 83 .
2 - يقول الإمام السجوري : " قوله (شهادتان) إجمالاً أي : الشهادتان المذكورتان في الإسلام لأن هو الأصل القديم . والجمع لما تقدم من العقد لما هو معنى الشهادتين لا لغرض " حاشية على جواهر التوقيف : المختصر السابق ، ص 208 .
3 - قال الإمام السجوري : " والحاصل أن من ينطق بكلمة الشهادة فإن كان يقف في تركها ولا يعرف المعنى التي تدل عليه ، ولا يفهم أصلاً ، بل لا يسأل عن معناها " يقول : سمعت الشيخ يقول : ذلك طرفة ، فيها لا يجهل من الإيمان بمعنى أن هو من العبادة بالقلب ولا نقاداً له بتكرار " حاشية العلامة الشيخ محمد السبكي على أم المراهقين ، ص 191 . فليحذركم بحسن التنبؤ .

وهذا المعنى متيسر لكل من شرع الله صديقه للإسلام . وليس فيه عسر على أحد ، ولذلك قلنا :
(ولو على الإجمال في العبادة وفي اعتبارنا الدين) . وقولنا :
(قد إفاده) بكلمة ليست (ص 127) .

[أنواع العقائد الدينية]

والخلاصة : أن العقائد الدينية ثلاثة أنواع : الإلهيات ، وسموات
وسمعات ، وكلها تتضمنها كلمة الشهادة : وهي :
لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وبين ذلك أن كلمة الشهادة تستعمل على حملين ، الأول : لا إله إلا
الله ، والثانية : محمد رسول الله ، أما لا إله إلا الله ، فإنها تدل على نفي
الالوهية عن غير الله ، وإثباتها لله تعالى ، فهي تدل صراحة على وحدة
الله في الألوهية ، لأن معنى الإله هو المستعنى عن كل ما سواه
المفتقر إليه كل ما عداه .

وإذا ركبناه مع لا النافية ، والا الاستثنائية ، وأثبتنا بعدها بلفظ
الجلالة ، صار اللفظ المركب (لا إله إلا الله) ومعناه الإجمالي بحسب
اللغة لا بحسب العرف الذي يقدم ذكره : لا مستغنيا عن كل ما سواه
ومفتقرا إليه كل ما عداه ، إلا الله .

[كيفية دخول صفات الله في القسم الأول من الشهادة]

ويلزم من كونه مستغنيا عن كل ما سواه : أن يكون واجب الوجود
والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والاستغناء عن المحل
والمخصص ، لأنه لو لم يجب له هذه الصفات ، لكان حادثا ، والحادث
يفتقر إلى محدث ، فلا يكون مستغنيا عن كل ما سواه .

ويلزم من استغنائه عن كل ما سواه أيضا : أن يكون منزها عن
التفاني ، ويدخل في ذلك وجوب السمع له - تعالى - والبصر والكلام

وجوب لوازمها ، وهي كونه - تعالى - سميعا وبصيرا ومكلما .
ويلزم منه أيضا أن يكون منزها عن الخشخشة والافتقار إلى مؤثر معه
بالعبادة ، لأن ذلك يعنى ، والتفاني في حق الله تعالى محال .

ويؤخر عنه أنه لا يجب عليه فعل شيء من العبادات ، ولا تركه ، إذ
لو وجب عليه تعالى شيء منها عقلا ، كاللواط مثلا ، لكان - جل وعز -
مستغنيا إلى ذلك الشيء لتكمله به غرضه ، إذ لا يجب في حقه تعالى
إلا ما هو كمال له ، كيف وهو - جل وعز - العفى عن كل ما سواه
فهذه أربع عشرة عقيدة ، ثلاث عشرة واجبة ، وعقيدة واحدة حادثة ،

[استحالة الأضداد عن الله تعالى]

وحيث ثبت (ص 128) له هذه الصفات ، استحالت عنه أضدادها
وهي أربع عشرة أيضا ، تؤخذ بالقياس من الصفات السابقة ، فلا تطلق
بذكرها ، وإذا صغينا هذه الأضداد للصفات السابقة ، صار الجمع
ثمانية وعشرين عقيدة داخله تحت استغنائه - جل وعز - عن كل ما
سواه .

ويلزم من افتقار كل ما عداه إليه : أن يكون متصفا بالقدرة
والإرادة ، والعلم ، والحياة ، ولوازمها ، وهي كونه تعالى قادرا ومريدا
وعالما ، وحيا ، وأن يكون متصفا بالوحدانية في الذات والصفات
والأفعال ، لأن المصنف بالعجز والكراهة والجهل والمعاد ولوازمها
وهي كونه عاجزا ، وكارها ، وجاهلا ، وميتا ، والمتصف بالبعد لا يفترق
إليه كل ما عداه .

ويلزم من افتقار كل ما عداه إليه أيضا : أن يكون منزها عن مؤثر
معه بالطبع ، ومنزها عن مشارك له في القدم ، إذ لو كان معه مؤثر
بالطبع ، أو كان له شريك في القدم ، لما افتقر إليه كل ما عداه .

فهذه إحدى عشرة عقيدة واجبة ، وحيث ثبت له هذه الصفات استحال عنه أصدادها ، وهي إحدى عشرة أيضا ، تؤخذ بالضد من الصفات السابقة ، فلا تطلق بذكرها .

وإذا ضمنا هذه الأصداد للصفات السابقة : صار الجميع اثنين وعشرين عقيدة داخله تحت افتقار كل ما عداه إليه ، وإذا ضمنا ما دخل تحت الافتقار إلى ما دخل تحت الاستغناء : صار الجميع خمسين عقيدة داخله تحت (لا إله إلا الله) .

[العقائد التي تدخل تحت القسم الثاني من الشهادة]

وأما (محمد رسول الله) : فإنها تدل صراحة على نبوت الرسالة لنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - من قبل الله - عز وجل - ولزم من نبوت الرسالة له من قبل الله أن يكون واجب الانصاف بالامانة والصدق ، والبلغ ، والعظامة ، وجائز الانصاف بالأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مرتبة النبوة .

فهذه خمس (ص 129) عقائد ، أربع واجبة وعقيدة جائزة وحيث ثبت له هذه الصفات : استحال عنه أصدادها ، وهي : الخيانة والكذب ، والكتمان ، والبلادة ، وعدم جواز الأعراض البشرية التي لا تدفع في منصب النبوة ، فهذه الأصداد الخمسة إذا ضمت للخمسة السابقة : صارت جملة النبوات عشر عقائد .

ولزم من وجوب انصافه - صلى الله عليه وسلم - بالصدق ، أن يكون كل ما أخبر به حقا وصدقا ، وقد أخبر - صلى الله عليه وسلم - بأن الله بعث أنبياء ورسلا لهداية الخلق وارشادهم ، وأخبر أيضا بأن الله ملائكة ، لا يعلم عددهم إلا الله - عز وجل - وأخبر أيضا بمجيء اليوم الآخر ، وما يقع فيه من أحوال وأهوال ، وأخبر أيضا بنبوت القدر : خيره وشره : خلوه وشره ، وأخبر أيضا بنبوت القضاء الذي حكم الله به على عباده ، وكتبه في اللوح المحفوظ بقلم قدرته .

فهذه ست عقائد سمعية ، لا أصداد لها ، وإذا ضمت إلى العشرة النبوية : صارت الجملة ست عشرة عقيدة داخله تحت (محمد رسول الله) وإذا ضمنا الست عشرة إلى الإلهيات الخمسين السابقة : وجدنا جملة العقائد التوحيدية : ستا وستين عقيدة داخله تحت (الشهادتين) .

ولذلك قال قطب أهل السنة : محمد بن يوسف السنوسي ، في عقيدته أم البراهين ، ما نصه : فقد بان لك بضم كلمة الشهادة مع فله حروفها لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان في حق مولانا - جل وعز - وفي حق رسله - عليهم الصلاة والسلام - أه .¹

هذا ما يتعلق بذكر العقائد على سبيل الإجمال في حال اندراجها تحت الشهادتين ، بعد ذكرها على سبيل التفصيل .

[معنى الشهادتين على التفصيل]

تم شرعت في بيان معنى الشهادتين على سبيل التفصيل :-
فقلت (ص 130) :-

(92) وَفَهْمُ مَعْنَاهَا عَلَى التَّفْصِيلِ * أَلْبَغُ فِي نَوَائِهَا الْجَزِيلِ

(93) فَكَثُرَتْ مِنْ ذِكْرِهَا مُسْتَحْضِرًا * لِمَا حَوَتْ تَلَّ مَقَامًا أَكْبَرًا

(94) فَلَبَّيْهَا أَفْضَلُ ذِكْرٍ وَرَدًا * وَفِدْيَةٌ أَيْضًا مِنَ النَّارِ عَذَا

(95) وَهِيَ عَلَامَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ * مِنْ كُلِّ شَخْصٍ كَانَ فِي الْكُفْرَانِ

(96) كَذَا عَلَى سَعَادَةِ الَّذِي خَتِمَ * لَهُ بِهَا فِي حَالِهِ التَّرَعُ الْكَلِمُ

¹ - جامع مهمات القرون ، المصدر السابق - ص 10 .

ولا يسهل الوصول إلى العبودية المختصة عادة إلا بالدوام على ذكر
(لا إله إلا الله) ليلا ونهارا ، مع تعلق القلب بالله وحده ، والجوع
والسهر ، والاعتزال عن الناس ، والصمت إلا عن ذكر الله ، وهو
المسمى بالمجاهدة ، قال الله تعالى : { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبيلا وإن الله لمع المحسنين }¹.

[فوائد كلمة الإخلاص]

ثم اعلم أن كلمة الإخلاص : لها فوائد زائدة على غيرها ، منها : أنها
أفضل الأذكار ، وألها أشربت بقول :
(فإنها أفضل ذكر وردا)

ف (الفاء) للتعليل ، وجملة أن واسمها وخبرها في قوة التعليل لما
قبلها ، أي وإنما أمرت بالآثار من ذكر (لا إله إلا الله) لأنها
أفضل ذكر ورد في الأحاديث النبوية ، فقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة

منها : قوله - صلى الله عليه وسلم - : { أفضل ما قلته أنا والنبئون
من قبل ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له }² رواه مالك³ في موطأه
زاد الترمذي⁴ في روايته : { له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء
قدير }⁵ وروى الترمذي أيضا والنسائي⁶ أنه - صلى الله عليه وسلم -
قال : { أفضل الذكر لا إله إلا الله : وأفضل الدعاء الحمد لله }⁷ وروى

1 - المكنوت : 69.
2 - رواه الإمام مالك في الموطأ عن عبد الله بن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة
والفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) } كتاب القرآن ، تعلق عليه أ - سعيد الحارم ، حديث رقم 497
هـ ، ص 131 ، دار الفوائد للحديث 1409 هـ / 1389 م.
3 - أبو عبد الله بن أبي خازم بن عمرو بن أبي أصبح الأصبهاني المدني ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ، أخذ العلم عن عدة
هذه ، وله مؤلفات منها كتاب الموطأ ، توفي بالمدينة سنة 197 هـ ، له ترجمة طويلة في وفيات الأعيان ، رقم 550 هـ ، ص 3-4 / 476
مجمع بن عيسى بن سورة الترمذي ، أبو عيسى ، محدث ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، له مؤلفات منها الجامع الصحيح ، توفي سنة
بقرم 279 هـ ، مجمع المؤلفين ، ص 104 - 105 / 11.
4 - رواه الإمام الترمذي في الجامع الصحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، بهذه الصيغة التي ذكرها المؤلف ، وقال عنه :
هذا حديث حسن قريب من هذا الوجه ، أبواب الدعوات ، حديث رقم 3655 هـ ، ص 213 / 5.
5 - أحمد بن علي بن شعيب الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي ، له عدة مؤلفات في الحديث ، توفي بأرملة سنة 303 هـ ، هنية
المؤلفين ، المصدر السابق ، ص 56 / 5.
6 - الجامع الصحيح للترمذي المصدر السابق ، أبواب الدعوات ، حديث رقم 3443 هـ ، ص 130 / 5 ، قال عنه هذا حديث حسن
عزيب ، لا تعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، ورواه الإمام النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي

الترمذي أيضا ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : { النسيح
نصف الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، ولا إله إلا الله ليس لها وزن
إله حجاب حتى تخلص إليه }¹.

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { أسعد الناس بشقايتي يوم
القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا مخلصا من قلبه }² ومنها ، قوله
- صلى الله عليه وسلم ، لابي هريرة³ - رضي الله عنه - : { يا أبا
هريرة ، إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا
الله : فإنها لا توضع في ميزان : لأنها لو وضعت في ميزان من قالها
صادقا ، ووضعت السماوات السبع والأرضون السبع ، وما قهن ، كانت
لا إله إلا الله أرجح من ذلك }⁴ هـ.

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { من قال : لا إله إلا الله
مخلصا دخل الجنة }⁵ وقال أيضا : { لتدخلن الجنة كلكم إلا من تأبى
ويشرد عن الله يشرود البعير عن أهله ، قيل : يا رسول الله : من الذي
تأبى ؟ قال : من لم يقل لا إله إلا الله }⁶.

(ص 303 هـ) دراسة وتحقيق الدكتور فاروق جمادة ، حديث رقم 831 ص 480 ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المغرب ، الطبعة
الأساسية ، 1401 هـ / 1981 م.
1 - الجامع الصحيح ، للترمذي ، المصدر السابق ، أبواب الدعوات ، حديث رقم 3584 هـ ، ص 197 / 5 ، قال عنه : هذا حديث
عزيب من هذا الوجه ، وليس بإسناد قوي.
2 - رواه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب الحرس على الحديث ، عن أبي هريرة ، بإسناد (من إله) صحيح البخاري
المصدر السابق ، ص 33 / 3.
3 - أبو هريرة البوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوس هو ابن عثمان بن عبد الله بن كعب بن العازب ، وقد
أخلف في اسمه واسم أبيه ، وقيل كل اسمه في الجاهلية (عبد شمس) وفي الإسلام عبد الله ، أسلم عام خير وشهد مع رسول الله
بترامة ورأيت عليه رعدة في العلم ، وكان ينور معه حيث دار ، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضر
ما يحضر سائر المهاجرين والأنصار ، توفي سنة 59 هجرية ، الاستيعاب ، المصدر السابق ، ترجمة رقم 376 هـ ، ص 858-852
4 - رواه الإمام البخاري في إحياء علوم الدين كتاب الأذكار والدعوات ، فضيلة التلليل ، ص 297 / 1 ، وعلى طبع الإمام عبد
الرحيم العراقي في كتابه ، المعنى عن حمل الأسفار في الأسفار ، تخرج ما في الإحياء من الأخبار ، هاشم لكاتب ، بركة وصية
أبي هريرة موضوعة ، وما رواه الإمام النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة عن أبي سعيد الغدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(: يا موسى لو أن أهل السموات السبع وأرضها غفروا ، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة ، ماتت بين لا إله إلا الله
(حديث رقم 834 هـ ، ص 482.
5 - رواه الإمام البخاري في إحياء علوم الدين ، كتاب الأذكار والدعوات ، فضيلة التلليل ، ص 297 / 1 ، قال عنه الإمام عبد الرحيم
العراقي : أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف.
6 - رواه الإمام البخاري في هذه الصيغة ص 297 / 1 ، وما رواه الإمام البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : { كل أميئ يخلطون الجنة إلا من تأبى ، قالوا : يا رسول الله ومن تأبى ؟ قال : من تأبى فعل الحق ومن عصى
فعلني ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ص 139 / 8.

[وجوب الإكثار من كلمة الإخلاص]

فاكثروا من قول (لا إله إلا الله) قبل أن يحال بينكم وبينها : فإنها كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة الحق ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة .

أ هـ .¹

ومن فوائد كلمة الإخلاص : أن ذكرها سبعين ألفا يسهل الاقتداء بكون فداء لصاحبه من النار ، وإلى هذه الفائدة أشرت بقولي : -
(وفدية أيضا من النار غدا)

ف (الواو) للعطف ، و (فدية) بالرفع (ص 133) عطف على خبر إن التي في أول البيت : فهي في حيز التعليل أيضا ، أي ، ولأنها فدية من النار غدا ، أي يوم القيامة ، فقد روي أن من قالها سبعين ألف مرة كانت له فداء من النار ، أ هـ .

[من قال لا إله إلا الله سبعين مرة]

ونقل عن الشيخ أبي زيد القرطبي² أنه قال : سمعت في بعض الآثار أن من قال : لا إله إلا الله سبعين ألف مرة : كانت له فداء من النار ، فعملت بذلك رجاء بركة الوعد ، وادخرتها لنفسى ، وعملت منها لأهلى³ .

وكان إذ ذاك بيت معنا شاب ، كان يقال إنه يكتشف في بعض الأوقات بالجنة والنار ، وكان في نفسي منه شيء ، فاتفق أن أستدعانا

¹ - رحمه الله أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، المصنف السابق ، فضيلة التهليل ، ص 297 - 298 / 1 .

² - رحمه الله غير النحس بن إسماعيل بن رجا ، أبو زيد الدققي لم القرطبي ، الفقيه ، الحافظ ، الصالح ، كان له رحلات استوطن في أقطاب الدنيا ، وهو الذي أنزل الكتب المعروفة بالندبية ، وكان من أجداد المصنفين والأخبار الصالحين ، توفي سنة 201 هـ .

³ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إله إلا الله كانت له كفارة لكل ذنب) الحديث ورد في التلخيص لمصنف القليل الشهير لأمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن علي ، وعق عليه الشيخ أحمد المصاري بما يلي : قوله (كانت له كفارة لكل ذنب) ظاهره حتى للكثير وذلك لخداها المزاوي عاقبة ، واحتراز أن تكون سبعين ألف مرة ورد بها أثر ، بأنه السلك الأقرب المستدل إلى مذهب الإمام مالك الجزء الثاني ، ص 543 ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي ، مصر ، 1372 هـ / 1953 م .

بعض الأخوان إلى منزله ، فبينما نحن تناول الطعام ، والشاب معنا إذ صاح صيحة منكبة ، واجتمع في نفسه ، وهو يقول : يا عم هذه إيمان في النار ، وهو يصيح بصياح عظيم ، لا ينك من سمعه أنه على أمر .

فلما رأيت ما به : قلت اليوم أجرب صدقه ، فأنهمني الله تعالى بالصدق بما عندي من السبعين ألفا ، ولم يطلع على ذلك أحد ، إلا الله تعالى ، فقلت في نفسي : إن الأثر حق ، والذين رواه لنا صادفون اللهم اجعل السبعين ألفا فداء لهذه المرأة أم هذا الشاب من النار فما استتممت الخاطرة في نفسي : حتى قال : يا عم ها هي أخرجت والحمد لله .

فحصلت لي فائدتان : إيماني بصدق الأثر ، وسلامي من الشاب بعد علمي بصدقه ، أ هـ .¹

ولذلك قال ابن حمدون في حاشيته على شرح ميارة للمرشد المعين ، ما نصه : هذا الحديث وإن أنكره الحفاظ ، حتى قال ابن حجر² في جواب له : إنه موضوع ، لا يحل روايته إلا مع بيان حاله ، لكن اعتمد فيه كلام أنمة الكشف الذين فراسهم لا يخطيء ، وقد كوشقوا بصدق ما دل عليه ، وجرى عليه عمل الناس شرقا وغربا ، وحضوا عليه .

وفعله الشيخ محيي الدين بن العربي³ وأبو زيد القرطبي (ص 134) . المالكي ونظراؤهما ، وذكره القرافي⁴ في الفرق الثاني

¹ - المستطرف في كل فن مستظرف ، للشهاب الدين محمد الإسماعيلي ، (ت 850 هـ) تقديم وتحقيق د / حسين مراد ، ص 713 .

² - دار العلم والمعرفة - مؤسسة المطبوعات والنشر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ / 2006 م .

³ - رحمه الله أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأندلسي الشافعي ، له مؤلفات ، توفي بمكة سنة 973 هـ ، معه التلخيص ، ص 1 / 152 .

⁴ - محمد بن علي بن محمد الطائي الحنطلي محيي الدين المعروف بابن عربي الشهير بتلخيص الأكراد بالله سنة 580 هـ وله مصنفات كثيرة ، توفي بدمشق سنة 638 هـ ، له ترجمة طويلة في هيئة العارفين ، ص 114 - 121 / 6 .

⁵ - أحمد بن أبي العلاء إبراهيم ، شهاب الدين أبو العباس القرافي ، له مؤلفات كثيرة ، منها أواز البوق في نواحي القروق ، توفي سنة 684 هـ ، هيئة العارفين ، ص 99 / 5 .

والسبعين . ونحوه للحطاب¹ في الجنائز² ولمصطفى الرماضي³ في الإجارة .

ولا فرق في ذلك بين أن يجعله قداء لنفسه ، أو لغيره ، ولو بأجرة ولو في أيام متعددة ، وأبقاها في رمضان أفضل .

ثم إن ظاهر الحديث الاقتصار على النهيل ، وهو ظاهر كلام جمع من الأئمة ، وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي⁴ : لا بد من الجمع بين (لا إله إلا الله) و (محمد رسول الله) بحيث لو ترك محمد رسول الله ، ولو مرة واحدة ، لم يحصل الفداء ، وينبغي أن يقال بعده (صلى الله عليه وسلم) مرة أو مرتين أو ثلاثا ؛ للخروج من وعيد النخل ، ومما ورد أنه فداء من النار أيضا ؛ قولك (سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) ، ألف مرة⁵ .

[قراءة سورة الإخلاص مائة ألف مرة]

وكذلك سورة الإخلاص مائة ألف مرة ، وفي رواية ألف مرة ، وفي رواية مائة مرة ، وكذلك قولك : اللهم اني أصبحت أشهدك ، وأشهد ملائكتك ، وحملة عرشك ، وجميع خلقك ، أنك أنت الله ، وحده لا شريك لك ، وإن محمدا عبدك ورسولك ، أربع مرات ، وكذلك اثنا عشر

¹ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الراسبي الأصل ، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالحطاب الراسبي المالكي ، له عدة مؤلفات ، منها ما هو هذا المختار في شرح مختصر الشيخ خليل ، وهو في سنة 994 هـ ، هدية العارفين ، ص 142 / 6 .
² - قال إمام الحطاب في شرح ما رواه في مختصر الشيخ خليل (وفي رواية بعد موته) : وكذلك النهيل الذي عاده الناس ويعملونه اليوم يعني أن يعمل ويقتدى في شكله على عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا هو التلاقي واللقاء ، وبالله التوفيق .
³ - وهو بالهليل المذكور في شرح الشيخ أبو عبد الله محمد السنوسي في آخر شرح طبعته الصغير وفي كتاب العلوم الفخرية .
⁴ - هو المختار لشرح مختصر خليل ، كتاب الجنائز ، ص 238 / 2 ، جدار الزكاة الضيقة ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، 1412 هـ .
⁵ - 1392 هـ .

¹ - الشيخ الإمام القدوة مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماضي ، نسبة إلى قرية صغيرة بمسكنة ، المشهور بالحقيق والتحرير والعمارة في الدين ، رحل في عصر جليل العظمى ، من مؤلفاته شرحه على متن المنوسية ، كان جديا في عهده أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، تعريف الخلف رجال شاف - أبي القاسم محمد الخطابي السبسي من إزاهيم الخوان ، 578 - 579 ، تحقيق دا / محمد أبو الأدهن ، و قد طبع - نشر مؤسسة الرسالة ، المكتبة العظيمة ، جامع الزاوية ، تونس ، الطبعة الأولى 1402 هـ / 1982 م .
² - محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي ، مالكي المذهب ، أديبا في التصنيف والحديث ، له تصانيف ، توفي سنة 1085 هـ ، هدية العارفين ، ص 294 / 6 .
³ - قال الشيخ محمد بن ناصر الدرعي : ويتفق الحديث والحق بالقاء أن أهدي له ، وبهالكة الفداء وصفتة : لا إله إلا الله محمد رسول الله يعني ألف مرة ، ولا يجوز صلى الله عليه وسلم إلا في المرة الأولى ، وإن سكت هل أكثاله فليست به ، وإن شاء كماله به ، والقول الثاني في القاء اسمه الله الرحمن الذي عشر ألف مرة بعد التلوة مرة فقط ، وإن سكت هل أكثاله فليست بذلك ، ولا يندم معه صلى الله عليه وسلم . إلخ . الأخوية التصورية في مسائل الدالية ، للإمام العارف الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ، طبعة حجرية ، ص 33 ، مطبعة المعارف العامة بباريط ، المغرب ، طبع ولم 386160 .

ألفا من البسملة . وألف من الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - مطلقا ، انتهى¹ .

ومن فوائد كلمة الإخلاص أيضا : أن الشارع جعلها علامة على الإيمان ، ولم يقبل من أحد الإسلام إلا بها ، وإلى هذه القاعدة أنشئت بقولي : -

(وهي علامة على الإيمان * من كل شخص كان في الكفران)

في (الواو) للعطف ، والجمله الاسمية معطوفة على ما قبلها ، فهي في فوه التعليل أيضا ، أي ، ولأنها علامة على الإيمان على ما قبلها ، فهي كان في الكفران ، أي في الكفر ، سواء كان فيه بالإصابة أو بالارتداد عن دين الإسلام ، فإذا قالها : فهي علامة على أنه آمن ودخل في الدين واستحق الحقوق الإسلامية ، وصار له (ص 135) ما لنا ، وعليه ما علينا .

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة ، منها : قوله - صلى الله عليه وسلم - { أمرت أن أقابل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله }² .

ولذلك قال قطب أهل السنة ، محمد بن يوسف السنوسي³ ، في أم البراهين : ولعلها لاختصارها مع اشتغالها على ما ذكرناه ؛ جعلها الشرع ترجمة على ما في القلب من الإيمان ، ولم يقبل من أحد الإسلام إلا بها ، فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها ، مستحضرا لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب - إن شاء الله تعالى - ما لا يدخل تحت حصر ، أ هـ⁴ .

¹ - قال الشيخ محمد بن ناصر الدرعي : والوجه الثالث في القداء (أن هو الله أحد إلخ) مائة ألف ، ولا يصح معها التسعة إلا في المرة الأولى بعد الدعاء فقط ، ولا يصح معها ألف عليه وسلم ، إلى إلخ ، والله أعلم بخبر هذه التوجه ، وبهالكة منها أولى إليها .
² - الحديث سبق تحريره .
³ - مؤلف أم البراهين ، تقدمت ترجمته .
⁴ - جمع مهملة الفنون ، المصدر السابق ، ص 10 .

ومن فوائد كلمة الإخلاص أيضا ، أنها علامة على سعادة كل من ختم له الكلم بها في حالة نزح روحه ، وإلى هذه الفائدة أشرت بقولي

(كذا على سعادة الذي ختم له بها في حالة النزح الكلم)

فقولنا (كذا) متعلق بخبر لمبدأ محذوف تقديره ، وهى كذا ، أي كما تقدم في كونها علامة ، و (على سعادة) متعلق بالكاف ، لما فيها من معنى الشبه ، أي هي تشبه علامة الإيمان في كونها علامة على سعادة (الذي ختم) بالبناء للمجهول ، صلة الذي ، والمجرورات الثلاثة متعلقة بختم . و (الكلم) بالرفع المقدر ، هو نائب فاعل ختم والتقدير ختم له الكلم بها في حالة النزح ، والأصل ختم الله له الكلام بها في حالة نزح الروح .

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة أيضا ؛ منها ما رواه الإمام أحمد والبخاري¹ عن أبي ذر² - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : { ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك ، إلا دخل الجنة } قال أبو ذر³ : قلت : وإن زنى (ص 136) وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال في الرابعة : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر⁴ .

وفي رواية : { أتاني آت من ربي ، فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ دخل الجنة } فقال له أبو ذر⁵ : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق { أ هـ }⁶ ، ومنها قوله - صلى

¹ - الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي - أبو عبد الله ، محدث ، حافظ ، فقيه ، مؤرخ ، مشارك في عدة علوم ، روى في طلب العلم بشر محلي الأمصار ، له مؤلفات منها الجامع الصحيح ، توفي سنة 256 هـ ، معجم المؤلفين ، ص 52 - 53 .

² - أبو ذر الطفاري ، قيل أن اسمه جندب بن جندب ، وهو أكثر وأصح ، من غفار ، كان من كبار الصحابة ، فقيه الإسلام ، ثم انصرف إلى بلاده فقام حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، توفي بأبوابه سنة 24 هـ ، له ترجمة طويلة في الاستيعاب ص 793 - 795 .

³ - رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الناس ، روى عليه الإمام البخاري : هذا عند الموت أو قبله إذا تكلم وتذم وقال : لا إله إلا الله غفر له ، المصدر السابق ، ص 43 / 7 - 8 .

⁴ - رواه الإمام البخاري في صحيحه ، باب الجائر ، المصدر السابق ، ص 69 / 2 .

الله عليه وسلم - : { من دخل القبر بلا إله إلا الله ، خلاصه الله من النار } أ هـ¹ .

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة } أ هـ² ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله } أ هـ³ ، ومنها ما روى عن أنس⁴ - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : { لا إله إلا الله فمن الجنة } أ هـ⁵ ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { لا إله إلا الله فمن الجنة } أ هـ⁶ ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : { لا إله إلا الله فمن الجنة } أ هـ⁷ .

ومنها ما رواه ابن حبان⁷ بسند صحيح عن عثمان بن عفان⁸ - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : { إنني لأعلم كلمة لا يقولها عبد خفا من قلبه ، فيموت على ذلك ، إلا حرمه الله على النار (لا إله إلا الله) أ هـ⁹ ، ومنها ما رواه الطبراني¹⁰ في الأوسط بسند حسن عن علي - كرم الله وجهه¹¹ - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم يدخل النار { أ هـ¹² .

¹ - رواه الإمام السنائي في عمل اليوم والليلة ، عن زيد بن خالد عن أبيه ، حديث رقم 1111 ، ص 596 ، وعليه تطبيق من الأستاذ الدكتور فاروق خضاعة ، محقق الكتاب ، بيان الحديث لم يرد في السنة ، وإسناده واحد وفيه أمور .

² - رواه الإمام السنائي في عمل اليوم والليلة ، المصدر السابق ، حديث رقم 1114 ، ص 597 .

³ - روى الإمام البخاري : قيل لو مات من ماله : { لا إله إلا الله } أ هـ⁴ ، ولكن ليس مفتاح إلا أنه استدل بأن حديثه بمفتاح لم يستدل فتح الله ولا لم يفتح الله { صحيح البخاري ، باب الجنائز ، المصدر السابق ، ص 69 / 2 .

⁴ - لمعه أنس بن مالك بن زيد الأنصاري التجاري ، خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عمره عشر سنوات عندما قدم النبي إلى المدينة ، مات سنة ثلاث وتسعين للهجرة ، الاستيعاب ، المصدر السابق ، ترجمة رقم 86 ، ص 90 - 91 .

⁵ - رواه الإمام العراقي في الأحياء ، كتاب الإنكار والدعوات ، فضيلة التكميل ، ص 298 / 1 ، وعلق عليه الإمام العراقي مع جمعة من الأحاديث بقوله : ولا يصح شيء منها .

⁶ - روى القرطبي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إذا احتضر الميت فقلوه لا إله إلا الله ، فإنه ما عبد يظلم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، باب ثلث الموت لا إله إلا الله ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ، قدم له عماد زكي الشيرازي ، ص 33 ، المكتبة التراثية ، القاهرة ، عصر 20 - 3 .

⁷ - محمد بن حبان بن أحمد بن محمد التميمي البصري الشافعي ، محدث ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه لغوي ، له مؤلفات منها المعتمد الصحيح في الحديث ، توفي سنة 354 هـ ، معجم المؤلفين ، ص 173 / 9 .

⁸ - رابع الخلفاء الراشدين - رضي الله عنه - تقدم ذكره .

⁹ - رواه الإمام السنائي في عمل اليوم والليلة عن طائفة من عبدة الله ، برواية أخرى ذات المعنى ، المصدر السابق ، حديث رقم 1098 - 590 .

¹⁰ - سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، محدث ، حافظ ، ولد بطنجة بالشام ، ثم رحل في طلب الحديث ، له مؤلفات منها : المعجم الثلاثي ، الكبير ، والأوسط ، والصغير ، وغيرها ، توفي باصبهان سنة 360 هـ ، معجم المؤلفين ، ص 253 / 4 .

¹¹ - رابع الخلفاء الراشدين - رضي الله عنه - تقدم ذكره .

¹² - رواه الإمام مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة } ، صحيح الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، المصدر السابق ، حديث رقم 94 ، ص 95 / 1 .

وبالجملة : فالنطق بالشهادتين هو خير العمل عند حضور الأجل اللهم أحينا عليها ، وأمنا عليها ، وأنفعنا بها عند الشدائد والحاجات إليها يا رب العالمين ، يا الله .

وفي البيت الآخر براعة مقطع : ويقال لها أيضا براعة اختتام ، وهي أن يأتي المتكلم في آخر كلامه بما يدل على انتهائه ، فقولنا : -

(كذا على سعادة الذي ختم * له في حالة النزاع الكلام)
يدل على تمام الكلام وانتهائه ، والحمد لله على التمام ، ونسأله حسن الختام ، بحاء سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه أفضل الصلاة وأزكى السلام . (ص 137) .

[دعاء ختم الكتاب]

ولما فرغت من بيان ما يتعلق بكلمة الإخلاص ، شرعت في دعاء الختم :-

فقلت :-

(97) قَاخَيْمَ إِلَهِي بِالشَّهَادَتَيْنِ * كَلَامًا عِنْدَ حُضُورِ الْحَيِّ

(98) وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْوَالِدِينَ * وَلِشَوْحِنَا وَكُلِّ الْمُسْلِمِينَ

(99) وَانْفَعْ بِهَذَا النِّظْمِ كُلَّ سَامِعٍ * وَقَارِيءٍ وَكَاتِبٍ وَطَائِعٍ

(100) بِحَاوِي خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ * عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

(101) ثُمَّ عَلَى الْآلِ وَكُلِّ الصَّحْبِ * إِلَى رِضَاةٍ عَنْ كَسْرِ الْقَلْبِ

(102) فَرَبِّوْا الَّذِي اعْتَنَى وَنَظَّمَهُ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ تَمَّ

(103) وَحِينَئِذٍ تَسْمَعُونَ خَالِقِي * سَمِيَّتَهُ لَبَّ الْعَقَائِدِ النَّقِي

[شرح أبيات ختم الكتاب]

(البقاء) للتفريع ، أي حيث كانت كلمة الإخلاص علامة على سعادة من ختم الله له بها ، فأدعو الله أن يختم لنا بها ، أي أقول : (أختتم الهى بالشهادتين) أي يقول : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كلامنا عند حضور الحين ، أي عند محيء أجلنا المسمى . (وأغفر لنا) مفعوله مخذوف ، تقديره أغفر لنا ذنوبنا (ولجميع الوالدين) بكسر الدال على صفة الجمع ، ليشمل الأجداد ، لأنهم من حملة الأباء . (ولشَوْحِنَا) في العلم : لأنهم هم السبب في وصولنا إلى هذا الخير (وكل المسلمين) ، أي ولكل المسلمين من غير تخصيص : لأن الدعاء إذا كان أعم : يكون أقرب للإجابة .

(وانفع بهذا النظم كل سامع ، إلخ) أي اجعله نافعا لكل من سمعه سماع قبول ، لا سماع سخط واعتراض ، (وكل من قرأه كذلك ، وكل من كتبه أو طبعه) ولا يكونان إلا من أهل القبول ، بخلاف السامع والفارء - كما لا يخفى - .

وقولنا (بحاء خاتم النبئين الكرام) الباء للتوسل ، والجار والمجرور طلبه الأفعال الثلاثة قبله ، على سبيل التنازع ، أي اختتم بالشهادتين كلامنا : بحاء خاتم النبئين . (وأغفر لنا ولجميع الوالدين ، إلخ) بحاء خاتم النبئين . (وانفع بهذا النظم كل سامع ، إلخ) بحاء خاتم النبئين وإنما توسلت بحائه - صلى الله عليه وسلم - لقوله في الحديث الشريف : { توسلوا بحاهي فإن جاهي عند الله عظيم } أ هـ¹ .

وقولنا (ص 138) ، (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، جملة دعائيه فيها معنى الإنشاء : لأن معناها : اللهم آدم عليه أفضل الصلاة وأزكى

1 - يقول الشيخ محمد الحسن الشاذلي : أما ما يتكرره عوام الناس ويقولون بسم الله الرحمن الرحيم قبل الدعاء فإني أجزي عن الله عظيم ، فهذا حديث موضوع ليس كحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يوجد في شيء من أصول الحديث في كتب الحديث المعروفة ، لا يوجد في شيء منها ، فذلك لا يوثق به . في أجابته عن سؤال : التوسل بحائه هل هو جائز أم ممنوع ، نقل عن موقعه ، الإندراج بتاريخ 9 شوال 1429 هـ الموافق 2008/10/9 ، وفي كتاب القضاء الصادر للشيخ ابن أبي عمير ، يقول عليه أنه حديث موضوع ، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه ، كما ذكره عن رضي الله عنه لعرفنا ذلك بعد موته ، ولم يندخلوا عنه إلى العباس مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم ، من 415 ، وفي موضع آخر يقول : التوسل بالأنبياء والمصلحين يكون باسرين : إما بطاعتهم واتباعهم وإما بدعائهم وشفاعتهم ، أما مجرد دعاء الشافي وتوسلهم بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له : فلا يفتحه وإن عتده جاهد أعداه عند الله تعالى ، من 422 ، القضاء الصراط المستقيم مشكلة أصناف الجحيم ، شرح الإسلام ابن تيمية ، (ج 728 هـ) مطابع المجد التجارية ، د - ست ، ولا مكان الطبع .

السليم . (ثم على الأمل) أي ثم أدمهما على الله . والمراد بهم في مقام الدعاء : أمه إخوانه . فتشمل كل مؤمن ولو عاصيا . (وكل الضحى) أي . وعلى كل الضحى . والمراد بهم صحابته - صلى الله عليه وسلم - الذين اجتمعوا به في حال حياته . بعد بعثته . اجتماعا معارفا على وجه الأرض مؤمنين به . وماتوا على ذلك .

وفولنا (إلى رضاه) الصبر فيه عائد على المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وفولنا (عن كسر القلب) متعلق برضاه . وكسر بمعنى مكسور . كتحريك . بمعنى مجروح . والمعنى اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه . صلاه . وسلاما دائمين متلازمين . من غير قيد برهان ولا حصر بعدد . إلى أن يرضى عن كسر القلب بسبب تقصيره في أداء الواجبات . وقصوره عن عليه النفس المربكية للمنهيات حتى يقينه . ويسمع فيه . ويدعوه إلى الشراب من حوضه المورود يوم القيامة .

وفولنا (قريو) بالخبر مع التوسل . يدل من كسر القلب . كمررت بزيد أخيك . أي كسر القلب الملفف . بقريو - بكسر القاف وتشديد الراء - (الذي اعنى) أي أقسم بهذا التأليف (ونظمه) بنية إعانة الطلاب على حفظ العقائد وفهمها .

وفولنا : (والحمد لله الذي قد نممه) معناه : وهما أنا أنشئ التاء على الله الذي أعاننا على تمامه . ف (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) : وفولنا : (وحيثما تم بعون خالقي سميت . . إلخ) معناه : أبى سميت هذا النظم (لب العقائد) حينما تم بعون الله تعالى . وفولنا (النقي) نعت للـ . ومعناه : الصافي . اللهم صف قلوبنا وأهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

[دعاء الختم]

(ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا . ربنا فاعف . ص 139) لنا دنوبنا . وكفر عنا سيئاتنا ونوفنا مع الأبرار . ربنا وإنا ما وعدتنا على رسلك ولا نخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)

صدق الله العظيم

وتأت الفراغ من تبيح كتابه عشية الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان عام 1399 هـ تسعة وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية . على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . نعم آيات النظم مائة وستان لا غير .

إلى هنا انتهى النص المحقق من كتاب لب العقائد الكبير . والحديث بالذكر أن النظم في الأصل يتكون من مائة وبنس . ولكن أضيف بنا بقله من كتاب لب العقائد الصغير . وبسبب ذلك في موضعه فأصبح النظم الذي يضم الكتاب يتكون من مائة وثلاثة آيات على ما يرى القارئ الكريم فيما بعد . وقد وقع الفراغ من تحقيقه وكتابه يوم السبت 30 من ربيع الثاني 1438 هـ الموافق 28 من شهر يناير 2017 م . والحمد لله رب العالمين .

واسأل الله تعالى أن يتغمد مؤلفه الشيخ العلامة محمد مفاج قريو برحمته . وأن يحترقه الله خير الجزاء على ما دون من علم وما قدم من عمل في مجال التدريس والوعظ والإرشاد والفتوى . وأن يجعل عملي خالصا لوجه الله الكريم . وأن يتقبلني بقبول حسن وأن يقدر لي دنوبى . ويقدر للوالدين ويرحمهما . إنه سميع عليم وبالإجابة جدير . وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

محقق الكتاب

أ. د. محمد . 193 - 194

أ. د. محمد . 195

أ. د. محمد . 196 . وهو الكتاب رقم 26 . وهو الكتاب رقم 27 .

- (1) - الحمد لله وصلى الله * على نبينا ومن تلاه
- (2) - هذه عقائد التوحيد * في رجز مختصر مفيد
- (3) وحكمها لله أو لرسول * يؤخذ من أقسام حكم العقل
- (4) وكلها واجبة بالشرع * على المكلف ينص قطعي
- (5) ولم يجب وجوب أصل إلا * إيمان من كلف ليس إلا
- (6) لأنه اكتفى به نينا * من كل إنسان به قد أمنا
- (7) وما سواه مطلقا لم يجب * إلا وجوب الفرع في شرع النبي
- (8) ولو أدلة العقائد على * ما اختاره المحققون فضلا
- (9) ولم يجب منها وجوب عن * إلا الذي أحمل دون مئين
- (10) على خصوص قدير تمكنا * من نظر دون سواه قاطنا
- (11) فتكفي العاجز بالتقليد * للغير في عقائد التوحيد
- (12) وتكفي القادر في حصول * معرفة بمحمل الدليل
- (13) أما مفصل الدليل والنظر * فوجبا كفاية فيما اشتهر
- (14) وختمه الأصول للإيمان * ست ينص المصطفى العدناني
- (15) إيماننا بالله ثم الرسول * والكذب والأملال أهل الفصل
- (16) آخر الأيام أيضا والقدر * وفي جميع الست تفصيل طهر
- (17) فكل ما دل على الكمال * يجب لله على الإجمال

- (18) وقصبت من ذلك عشرون صفة * يجب فهمها لأجل المعرفة
- (19) وهي الوجود قدم ثم البقا * وخلف خلق وغياء مطلقا
- (20) ووحدته وقدرته إرادته * علم حياة خالف عبادة
- (21) وسمعته وبصرته ثم الكلام * وقادير ثم مسرد في الدوام
- (22) وعالم حتى سمع وبصر * ومكلم بلا اللفظ الشهر
- (23) ثم الوجود صفة نفسية * وخمسة من بعدها سلبية
- (24) وسعة من بعدها معاني * وبعد ذلك سبعة نوابي
- (25) تدعى في الاصطلاح معنوية * على طريق مثبت الحالية
- (26) واستبيط البعض من السلبية * عقائدا أربعة ضمنية
- (27) وهي تنزه الإله عن عرض * وعن مؤثر بقوة الغرض
- (28) وعن مؤثر بطبع قاعلم * وعن مشاركة له في القدم
- (29) وأما تعلقت بست صفات * من المعاني وهي ما سوى الحياة
- (30) فالقدرة الإرادة القديمتان * بالممكنات كلها تعلقات
- (31) والسمع والبصر فيما حررا * تعلقا بكل موجود يرى
- (32) والعلم والكلام قد تعلقا * بحملة الأقسام فيما حقا
- (33) وقدرة الله لذتنا أثرت * وفق الإرادة التي قد خصصت
- (34) على وفاق علمه لا الأمر * ولا الرضى أيضا فحقق وأدر
- (35) وكل ما في علمه قد سبقا * بأنه يكون ممن خلقا
- (36) برئده منهم ولو شررا ولو * ظلما لبعضهم وكفرا قد حكوا
- (37) لعلمه بأنهم لم يرجعوا * وأن غير الكفر ليس يقع

- (38) من كُتِبَ جهل كل ما استحال * في العلم لم يردّه ربّ ذو الخلال
(39) ولم يقع منه خير على * أفعال الاختيار عند العقلاء
(40) لأنّه كلّفهم ، فلو خير * لم يقع للتكليف معنى وأثر
(41) ولأنّ الخير وفاق الأمر * والشر في حق الغضاة قانر
(42) وخصّ نفع الخير بالذي أراد * لكنه يمتكّن الذي أراد
(43) أن يفعل الشر بالاختيار * لأنّه في العلم هو الجارى
(44) وليس يُعذر لسلب الاعتذار * بالرّسل والعقل وخرق الاختيار
(45) ويستحيل صد ما تقدّم * من الضعاف والعقائد اعلمّا
(46) وكل نص أوهم الشبهة قد * أوله بلائق أهل الرشد
(47) وجاز لإله أن يفعل ما * أمكن أو شرّكه متقدّم
(48) فلم يكن يخلق إلا الرّب * لكن بدا من العباد الكسب
(49) فيما به كلّفهم من خير * والاكتمال فى ارتكاب الشر
(50) ومنه أنّه يراه المؤمنون * يدون كيف فى الجنان بالعيون
(51) ويستحيل عنه حتم الفعل * ولو صلاحاً مثل نعت الرّسل
(52) لكنه وجب بالوقوف * وضدّه صار من الممتنع
(53) فيجب الإيمان بالإرسال * ووصف كلّ الرّسل بالكمال
(54) وقصّلت من ذلك الأمانة * والصّدق والتّليغ والقطانة
(55) ويستحيل صدّها وأولوا * ما يؤهم الذنب بمعنى يفعل
(56) وجاز أن يتصفوا بالعرض * غير المضير كتحفيف المرض

- (57) ويستحيل صد ما جاز فلا * إفسراط لا يقرط عندنا اعتقلا
(58) دليل كسل واجب لله * وجوز خلصه بلا استثناء
(59) وكل ما جاز دليله * غناه عن جميع ما يفعله
(60) فلم يكن لاحتاجه ما خلفا * بل للذي فى علمه قد سبقا
(61) ثم دليل واجبات الرّسل * وقبوع معجزاتهم بالفعل
(62) لأنّها كقوله تعالى * صدق هذا العهد فيما فلا
(63) وكل ما جاز على الجميع * دليلة بهادة الوقوع
(64) وواجب إيماننا بالآسيا * وقصص من فى الكتاب سماً
(65) هم آدم إدريس نوح هود * صالح إبراهيم لوط بعد
(66) كذاك إسماعيلهم إسحاق * يعقوب ثم يوسف المضاعف
(67) أيوب ذو الكفل كذا شعيب * موسى وهارون الأخ الخيب
(68) نمت إلياس وعده السبع * سونس داوود سليمان أسع
(69) وزكريّا كذاك يحيى * عيسى وطه ساطع المحيا
(70) أكثرهم فى الفضل أهل العزم * وأفضل الكل نبى الختم
(71) وخير ما خصّ به نبينا * عموم نفعه إلى الخلق أقطبا
(72) وخير معجزاته ما بقيت * خالدة تخلو قلوباً هديت
(73) وتستقر قلب كل من كفر * وهى كلام الله معجز البشر
(74) كذلك الإيمان بالملائكة * تفصيل عشرة منهم لو نتركه
(75) وهم على الترتيب جبرائيل * ميكال إسرافيل عزرائيل

- (76) ثم رغبني وعشيد وتكسّر * ومُنكر مالك ورضوان الشهر
(77) وبشّول الكتب السماوية * بفصل أربع أنس علانية
(78) نورا موسى ونبور داودا * وإنجيل عيسى وقبران أحمدا
(79) واليوم الآخر وميته فصلت * عشرة لدى الكتاب سميت
(80) وهن الشور والخسر والحساب * كذلك النواب والعقاب
(81) ثم الصراط وكذا الميزان * والخوص والشران والجان
(82) وجب الإيمان أيضا بالقدر * وما احتوى عليه من خير وشر
(83) من حيث أنه لدى العلم سبق * لا حيث ما اكتسب في القول الأحق
(84) لأنه تعلق العلم القديم * بكل ما سبق في علم الحكيم
(85) وفوعة من كائن وكائنات * رُغم أنوف القدرة الشفان
(86) كذا بالفضا الذي الرب حكم * وخطه لدى السلوح العلم
(87) لأنه إرادة الله العلى * مع التعلق القديم الألى
(88) لها بتخصيص الذي قد سبقا * في العلم أنه يكون مطلقا
(89) وكل ما قدمته بخوبه * معنى الشهادة قارغب فيه
(90) فإنه شرط لنفع من تطق * بكلمة الإخلاص في القول الأحق
(91) ولو على الإجمال في العيادة * وفي اعتناق الدين خذ إفاده
(92) وفهم معناها على التفصيل * أبلغ في نواياها الجرب
(93) فأكثر من ذكرها مستحضرا * لما حوت تمل مقاماً أكبرا
(94) فإنها أفضل ذكر وردا * وفدية أيضا من النار عدا
(95) وهى علامة على الإيمان * من كل شخص كان في الكفران

- (96) كذا على سعادة الذي ختم * له بها في حالة النزاع الكلم
(97) فاختم إلهي بالشهادتين * كلامنا عند حضور الحين
(98) واغفر لنا ولجميع الوالدتين * وليشوخنا وكل المسلمين
(99) وانفع بهذا النظم كل سامع * وقارئ وكاتب وطابع
(100) بجاه خاتم النبيين الكرام * عليه أفضل الصلاة والسلام
(101) ثم على الال وكل الصخب * إلى رضا عن كسير القلب
(102) فرتو الذي اعتنى ونظمه * والحمد لله الذي قد نمة
(103) وحيثما تم يعون خالقي * سميت لب العقائد النقي

انتهى نظم لب العقائد الكبير